

# الْمَدْحُلُ الْمُفِيدُ

## لِيُعَلِّمُ لِتَوْجِيدِ

إعداد

د. أَعْمَشُ الْعَزِيزُ بْنُ أَعْمَشَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهِيَّبِيِّ

كتبة العزرة وأصول الدين - فتنم العصبية

مادعة أم القرى

مَدْارُ الْأَوْرَاقِ الْقَانِفِيَّةِ

ح دار الأوراق الثقافية ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدی، عبد العزیز احمد محسن

المدخل المفيد لعلم التوحید / عبد العزیز احمد محسن الحميدی

جدة، ١٤٣٦هـ

٢٩٤ ص ١٧ X ٢٤ سم

ردمک ٩٧٨-٩٠٣-٩٠٦٤١-١-٤

١- التوحید - ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

١٤٣٦/٣٧٧١ دیوی ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٧٧١

ردمک ٩٧٨-٩٠٣-٩٠٦٤١-١-٤

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٦ م - ٢٠١٥ م

دار الأوراق الثقافية

المملكة العربية السعودية

ص ب : ١٥٥٣٣ جدة ١٤٥٤ +٩٦٦ ٢٦٨٠٣٠٢

تليفاكس: +٩٦٦ ٥٠٥٣١٨٧٦٧ +٩٦٦ ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

الادارة: +٩٦٦ ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

جدة : +٩٦٦ ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

المدينة المنورة : +٩٦٦ ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

Medina: +٩٦٦ ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

E:mail:admin@alawraq.net

[www.alawraq.net](http://www.alawraq.net)



daralawraq

# الْمَلَكُ خَلَ الْمَفِيلَ

لِيُنَاهِيَ الْتَّوْجِيدَ

إعداد

د. عبد العزيز بن أحمد بن محسن المحيمري

كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة

بما ينفع أم القرى

١٤٣٦هـ

مَطَارُ الْأَوْرَاقِ الْثَقَافِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا، وسیئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد.

فإن معرفة أصول الدين الذي بعث الله بها نبيه محمداً ﷺ. أمر في غاية الأهمية. بل في غاية الضرورة؛ لأن به الفلاح والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة.

ومعرفة العقائد المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ. وما كان عليه سلف الأمة الأولون. هو أشرف المعارف وأجل العلوم.

وهذا الكتاب قُصد منه تقريب هذه العقائد الشريفة، وتسهيل معرفتها وأدلةها. لذلك هو مدخل عام وتعريف جملي. بعقائد أهل السنة والجماعة ليسهل فهمها واعتقادها وبناؤها على أدلةها من الكتاب والسنة.

وقد سميته: (المدخل المفيد لعلم التوحيد).

وقد رتبته على ثلاثة مقدمات وخمسة أبواب وخاتمة.

المقدمة الأولى: في أسماء هذا العلم الشريف.

المقدمة الثانية: الأصول العامة لأهل السنة والجماعة.

المقدمة الثالثة: خصائص وسمات أهل السنة والجماعة.

الباب الأول: الإيمان بالله تعالى.

الباب الثاني: الإيمان بالملائكة.

الباب الثالث: الإيمان بالأئية والكتب المنزلة.

الباب الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر.

الباب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

ثم خاتمة فيها مقاصد الكتاب.

ثم ذكرت قائمة بأسماء مصادر الكتاب ومراجعه.

والله أعلم أن ينفع به، وأن يتقبله بفضله إنه سميع عليم.

د/ عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي

كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة

جامعة أم القرى

١٤٣٥ هـ

## المقدمة الأولى

### أسماء هذا العلم الشريف

لهذا العلم الشريف «علم الاعتقاد» أسماء متعددة اصطلاح عليها العلماء، وكثير استخدامهم لها وسموا مؤلفاتهم في الاعتقاد بها، فهي أسماء شريفة تنبئ عن فحوى هذا العلم العظيم، ومنزلته الكبيرة، وأهميته العظيمة.

(١) السنة: كثر عند العلماء الأولين استخدام هذا الاسم عنواناً على الاعتقاد وعنونوا به كثيراً من مؤلفاتهم ومدوناتهم في الاعتقاد، وفيه دلالة على أن علم الاعتقاد من أهم وأعظم ما بينه النبي ﷺ ودعا إليه وفصله تفصيلاً، وتلقاه عنه أصحابه كما أوحاه الله إليه ولا يزال هذا العلم يتلقاه الخلف عن السلف ويطلبه اللاحق عن السابق، فليس هو آراء اجتهادية، ولا قياسات عقلية، وإنما هو سنة نبوية سنها لنا، ودلنا عليها نبينا ﷺ، وقام بها ودعا إليها بعده أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

وقد سمي كثير من الأئمة مؤلفاتهم التي ألفوها في الاعتقاد بهذا الاسم الشريف «السنة»، من ذلك:

أـ أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> رحمه الله. وأول هذه الرسالة قول الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا....» وذكر الاعتقاد.

(١) هي رسالة عبدوس بن مالك العطار عن الإمام أحمد. انظرها في شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي (١٥١/١)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٢١٦)، ولها طبعة مستقلة، ط دار المنار (١٤١١هـ).

بـ- كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد. وهو كتاب حافل جامع لآثار  
كثيرة عن السلف في مسائل الاعتقاد<sup>(١)</sup>.

(٢) الشريعة: ومن أسماء هذا العلم عند العلماء (الشريعة) لأن أصول  
ومسائل وأدلة علم الاعتقاد كلها مشروعة منزلة من عند الله تعالى. وقد بلغها  
صاحب الشريعة رسول الله ﷺ أتم البلاغ وبينها أحسن البيان.

وقد سمي الإمام أبو بكر الأجري كتابه الحافل الذي صنفه في الاعتقاد (كتاب  
الشريعة<sup>(٢)</sup>)

وكتاب: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية. للإمام ابن بطة العكبري<sup>(٣)</sup>.

(٣) التوحيد: ومن اسمه يظهر المراد منه فهو علم يبحث في توحيد الله  
تعالى وإفراده بالعبادة والتائليه. وأفعال الربوبية. وما يستحقه من الأسماء الحسنی  
والصفات العلی. وقد سمي بعض الأئمّة ما يؤلفونه في ذلك بهذا الاسم ومن  
ذلك:

أـ- كتاب «التوحيد» للإمام ابن خزيمة رحمه الله<sup>(٤)</sup>.

بـ- كتاب «التوحيد» للإمام ابن منده رحمه الله<sup>(٥)</sup>.

جـ- كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(١) طبع في جزأين بتحقيق الدكتور / محمد سعيد القحطاني. دار ابن القيم (١٤٠٦هـ)  
وأعيد طبعه في دار ابن الجوزي (١٤٣١هـ).

(٢) طبع بتحقيق الدكتور / عبد الله بن عمر الدميري، دار الفضيلة الرياض (١٤٢٨هـ).

(٣) مطبوع في عدة أجزاء محققاً، دار الراية - الرياض (١٤١٥هـ).

(٤) مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد (١٤١٨هـ).

(٥) مطبوع بتحقيق الدكتور علي ناصر فقيهي، مكتبة الغرباء (١٤١٤هـ).

(٤) أصول الدين: ومعناه أن الدين كله يبنى على أصول متينة من العقائد الجليلة. هي أصل الدين وجذوره. وهي تشمل مسائل العلم ودلائله أيضاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذكر قولًا أو تعمل عملاً؛ كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد، أو دلائل لتلك المسائل»<sup>(١)</sup>.

ومن المؤلفات الإعتقادية التي صنفها الأئمة تحت اسم «أصول الدين»:

أ- كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام هبة الله الالكائي - رحمه الله - وهو كتاب حافل جامع لأثار كثيرة عن السلف في مختلف أبواب الإعتقداد<sup>(٢)</sup>.

## مقدمة

(١) الدرء (٢٧/١).

(٢) طبع بتحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان - رحمه الله - . دار طيبة - الرياض. في عدة أجزاء.

## المقدمة الثانية

### الأصول المنهجية العامة لأهل السنة والجماعة

**أهل السنة والجماعة:** هم الباقيون على صراط الله تعالى المستقيم، المتمسكون بسنة وهدى رسوله ﷺ.

قال الإمام أبو محمد بن حزم - رحمه الله -: «أهل السنة والجماعة الذين نذكرهم ومن عدتهم فأهل بدعة. فإنهم الصحابة رضي الله عنهم. وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمهم الله تعالى - ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ومن اقتدى بهم من العوام في شرق البلاد وغربها رحمة الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأهل السنة الباطنة والظاهرة كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرورًا بالآخر، وهؤلاء المسلمين حقًا والباقيون على الصراط المستقيم، الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧١/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤١/٢-٤٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤٨٢/٢).

وطلت راية الفرقة الناجية عالية خفاقة تجمع تحتها كل من أراد له ربه النجاة وأراد له أن ينأى بنفسه بعيداً عن تلك الرایات الضالة المضلة، فيتمسك بالجماعة التي كان عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الأبرار رضوان الله عليهم وتابعوهم بإحسان، ومن سار على دربهم وتمسك بهديهم ممن جاء بعدهم.

ولقد ضربت هذه الجماعة الطاهرة والفرقة الناجية بجذورها في أعماق الزمان والمكان فأثمرت شجرتها المباركة كل خير عرفته هذه الأمة على مدار تاريخها الطويل، وعلى امتداد أرضها شرقاً وغرباً.

فلقد تربى في ظل هذه الرأية كل الأئمة الأعلام وسلف الأمة الأخيار الذين حافظوا على تراث هذه الجماعة وأضافوا إليه عصارة فكرهم وعلمهم. بل وحياتهم، وجالحتوا في سبيل نقله لمن بعدهم نقينا صافياً واضحاً جلياً، كما تلقوه هم عن قبلكم. وتميزت هذه الجماعة بمنهجها وعلومها وفقها الخاص بها، كما تميزت بسلوكها، ساروا به بين الناس يلتزمون به، ويصبرون عليه، ويدعون إليه ويجاهدون دفاعاً عنه ويرفعون رايته ويحفظونه في كتبهم للأجيال التي تجيء بعدهم وتلتزم بمنهجهم وتسير على دربهم.

ولما تميز كل زمان ومكان بظروف خاصة به، وملابسات وفتن وابتلاءات تختلف ما عدah من أماكن وأزمنة أخرى، فقد كان الناس في كل زمان ومكان يلجأون أمام هذه المحن إلى تراث علماء أهل السنة والجماعة يطلبون منهم الجواب ويفحصون عندهم عن طريق الحق والصواب.

ومع كثرة الأهواء والبدع وتنوع الفتن. والتباس الحق بالباطل والسنة بالبدعة. صار تميز سبيل الحق والنجاة عن سبيل الضالين وتمييز الحق من الباطل والسنة من البدعة. هو الواجب الأعظم اليوم، ولذلك فإن معرفة الأصول المنهجية العامة

لأهل السنة والجماعة وكذلك معرفة خصائصهم وسماتهم مما يعين على معرفة الحق وأتباعه.

وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأصول المنهجية:

**الأصل الأول: الاعتصام بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة. ووجوب التسليم بهما.**

من القواعد الدينية المهمة التي درج عليها سلف الأمة التسليم التام المطلق لله تعالى في قوله وأمره، وحكمه وشرعه، والتسليم للمبلغ عن الله وهو رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا التسليم هو حقيقة الإيمان فلا يصح الإيمان ولا يستقيم الإسلام بدون تحقيق التسليم التام للملك العلام جل وعلا ولرسوله خير الأنام. عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله -: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»<sup>(١)</sup>.

وقال شارح الطحاوية - رحمه الله -: «لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليها ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه»<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر قال شارح الطحاوية: «فالواجب كمال التسليم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكًا أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم. فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان.. فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٦١) طبعة دار البيان.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٦١) طبعة دار البيان.

غيره ولا يوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبة وطائفته ومن يعظمه. فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره وإلا فوّضه إليهم. وأعرض عن أمره وخبره، وإلا صرفة عن مواضعه. وسمى تحريفه تأويلاً وحملأ فقال: نزوله ونحمله. فلأن يلقى العبد ربّه بكل ذنب - ما خلا الإشراك بالله - خير من أن يلقاء بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعُد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ. فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبة؟! بل كان الفرض المبادرة إلى امثاله ولا يعارض نصه بقياس بل يهدُر الأقيسة. ويتلقي نصوصه بالقبول ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً. نعم هو مجهول. وعن الصواب معزول<sup>(١)</sup>.

وقد قرر الله تعالى هذه القاعدة تقريراً عظيماً في كتابه الكريم:

[١] قال تعالى: ﴿فَلَا وَرِيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِنَهَمَ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا فَصَبَّيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

يقول الإمام محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله-: «في هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلد وترتجف له الأفئدة؛ فإنه أولًا أقسم سبحانه بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون، فنفي عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحى عباد الله حتى يحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ثم لم يكتفى سبحانه بذلك حتى قال: ﴿ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا فَصَبَّيْتَ﴾ فضم إلى التحكيم أمراً آخرًا، هو عدم وجود حرج.. فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً حتى يكون من صميم القلب عن رضاً واطمئنان واثلاج قلب وطيب نفس،

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١٦٦).

ثم لم يكتف بهذا كله بل ضم إليه قوله: ﴿وَيُسْلِمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً، ثم لم يكتف بذلك بل ضم إليه المصدر المؤكّد فقال ﴿تَسْلِيمًا﴾ فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه وسلم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات الدالة على ذلك أيضاً:

[٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «فهذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ه هنا ولا رأي ولا قول»<sup>(٢)</sup>.

[٣] ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَمَا أَئْتُكُمُ الرَّسُولُ فَحَذِّرُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَمُوا وَأَنْقَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: ٧].

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على ذلك.

وهكذا كان سلف هذه الأمة وصدرها الأول لذلك انطلقا بكل قوة ونشاط وعزّم في ميادين العمل والعبادة والجهاد حتى ارتفع منار الدين وساد سلطانه.

قال الإمام محمد بن شهاب الزهري - رحمه الله -: «من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعليينا التسليم»<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير (٤٨٤ / ١).

(٢) تفسير القراءان العظيم (٤٩٠ / ٣).

(٣) صحيح البخاري (١٥٤ / ٩).

ومن القواعد المقررة في الإسلام والمعلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى لم يترك خلقه هملاً. بل أمر بعبادته وحده لا شريك له وتوحيده وجعل ذلك حقاً له على عباده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّاً وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِعَبْدُونِ﴾ [سورة النازيات: ٥٦].

وكذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليبين للناس ما هو مطلوب منهم ولبيين لهم ما يتقوون، وأمر الناس بطاعة الرسل وحصر التلقي في أمر الدين والشرع والاعتقاد على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقط إذ هم المبلغون عن الله دينه وشرعيه.

ولو أراد الله أن يترك العباد وشأنهم في ذلك كل يعبد الله كما يشاء وبالكيفية التي يريد لما أرسل الرسل ليبلغوا الناس الدين ولما تحمل الرسل عليهم السلام تلك المشاق العظيمة والبلاء الكبير ولما ناجزوا أقوامهم وحاربوهم وقاتلواهم.

كل هذا يدل دلالة قاطعة على أنه لا يجوز لأي مسلم أن يتلقى اعتقاداً ولا شرعاً ولا حلالاً ولا حراماً من غير الوحي الكريم الذي هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

يقول تعالى في بيان أن الوحي هو مصدر الدين والإيمان ﴿وَكَذَلِكَ أَوْجَحْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا نَّهَىٰ بِهِ مَنْ نَّشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

فسمى تعالى وحيه روح لأن به حياة القلوب وجعله مصدر الإيمان فلا عقيدة صحيحة مستقيمة إلا ما كانت متلقاة عن طريق الوحي.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرْكُمْ بِالْوَحْيٍ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ أَعْلَمُ بِمَا يَوْلُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِحَاجَةٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَحْسَفُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق ٤٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنّة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة) كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتمد بالكتاب والسنّة كان من أولياء الله المتقيين وحزبه المفلحين وجنته الغالبين»<sup>(١)</sup>.

وكان هذا الأصل من الأصول التي اتفق عليها سلف هذه الأمة، فكان ذلك من أعظم نعم الله عليهم، يقول شيخ الإسلام: «وكان من أعظم الأصول المتفق عليها اعتمادهم بالكتاب والسنّة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتبعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط، أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله، ولا قياسه ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدي ودين الحق وأن القرءان يهدي للتي هي أقوم»<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا هو منهج الأنئمة السابقين، قال الإمام محمد بن سيرين: « كانوا لا يختلفون عن ابن مسعود في خمس، إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير السنّة سنّة محمد، وشر الأمور محدثاتها، وأن أكثى الناس تقى وأن أحمق الحُمُق الفُجُور»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعـة (١/٨٥).

و عن عثمان بن حاضر الأزدي: قال قلت لابن عباس أوصني؛ قال: عليك بالاستقامة واتباع الأثر وإياك والتبدع<sup>(١)</sup>.

و عن مالك بن أنس قال: «كان عمر بن عبد العزيز يقول: سن رسول الله ﷺ و ولة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله، وقوه في دين الله من اهتدى بها فهو مهتدٍ ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها، اتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاحه جهنم وساعته مصيرًا»<sup>(٢)</sup>.

و عن الزهرى قال: «كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»<sup>(٣)</sup>.

و قد عبر الإمام اللالكائي عن هذه الحقيقة الناصعة في أول كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" بقوله: أما بعد: فإن أوجب واجب على المرء معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله عباده من فهم توحيد وصفاته وتصديق رسالته بالدلائل واليقين والتوصيل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين. ثم قول رسول الله ﷺ و أصحابه الأئمّة والمتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضللون. وهذه الوصايا الموروثة المتبوعة والآثار المحفوظة المنقولة. وطرائق الحق المسلوكة والدلائل المشهورة والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من خاصة الناس وعمتهم من المسلمين واعتقوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين.

(١) سنن الدارمي (٥٣ / ١).

(٢) كتاب الشريعة للأجري (٣٠٧ / ١١) برقم (٩٢).

(٣) سنن الدارمي (٤٥ / ١).

ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهدتدين. واقتضى آثارهم من المتبعين واجتهد في سلوك سبيل المتقين وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فمن أخذ مثل هذه الحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أمن في دينه التبعية، في العاجلة والأجلة، وتمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها<sup>(١)</sup>.

**الأصل الثاني:** الإيمان عند أهل السنة يشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات فهو قول وعمل. وهو أصل وله شعب متعددة وكل شعبة من شعب الإيمان تسمى إيماناً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة. أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان» متفق عليه والله لفظ لمسلم.

وترجم عليه الإمام البخاري في الصحيح فقال: باب أمور الإيمان<sup>(٢)</sup>.

فالإيمان عندهم حقيقة مركبة من الأقوال والأعمال والاعتقادات قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالأخر»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الأوزاعي -رحمه الله-: «لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل. ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة... فمن آمن بلسانه. وعرف بقلبه. وصدق بعمله. فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه. ولم يصدق بعمله لم يقبل منه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١٠-١١).

(٢) الحديث في البخاري برقم (٩) وفي مسلم برقم (٥٨).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (٥٦/٥).

وكان في الآخرة من الخاسرين»<sup>(١)</sup>.

فظهر أن الإيمان اسم يشمل جميع الاعتقادات الواجب اعتقادها والأعمال الواجب عملها وحتى المستحبة، والأقوال الواجب قولها، والمستحبة أيضاً.

فهو اسم يشمل جميع الاعتقادات والعبادات القولية والعملية.

ولكن شعب الإيمان نوعان من جهة ذاتها.

ونوعان من جهة حكمها وتأثيرها في الإيمان.

فأما من جهة ذاتها فنوعان:

**الأول**: شعب إيمانية باطنة محلها القلب والنفس.

ويدخل في هذا النوع جميع الاعتقادات القلبية وجميع الأعمال القلبية مثال ذلك:

(١) قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه. وترجم عليه البخاري -رحمه الله-:  
 (باب: حب النبي ﷺ من الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

(٢) قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» متفق عليه. وترجم عليه البخاري رحمه الله:  
 باب: حلاوة الإيمان<sup>(٣)</sup>.

(٣) قوله ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار» متفق

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري (١/٢٧).

(٣) صحيح البخاري (١/٢٩).

عليه. وترجم عليه البخاري: حب الأنصار من الإيمان<sup>(١)</sup>.

والنوع الثاني: شعب إيمانية ظاهرية محلها اللسان والجوارح.  
فيدخل في هذا النوع جميع العبادات الظاهرة كالصلوة والزكاة والحج  
والجهاد وذكر الله ونحوها.

ومن تراجم البخاري في كتاب الإيمان من الجامع الصحيح.

باب: الصلاة من الإيمان.

باب: الزكاة من الإيمان.

باب: صوم رمضان من الإيمان.

باب: إتباع الجنائز من الإيمان. وغيرها.

وأما من جهة حكمها وتأثيرها في الإيمان فهي نوعان كذلك.

النوع الأول: شعب يلزم من زوالها زوال الإيمان وفقده.

فلا إيمان بدونها. فهي شعب أصلية ركنية لا تحتمل السقوط والزوال.

كشعبة: التصديق: تصديق الله ورسوله عليه السلام.

وشعبة: النطق بالشهادتين.

وشعبة: الصلاة على الصحيح المحقق عند أهل السنة.

النوع الثاني: شعبة لا يلزم من زوالها زوال الإيمان وإنما ينقص ويضعف  
لكنه لا يزول. ومن هنا قال أهل السنة بأن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالعلم وفعل  
الطاعات والتقرب إلى الله بالقربات. وينقص بالجهل وترك الطاعات وفعل  
المحرمات.

(١) صحيح البخاري (١/٣٠).

قال الإمام البخاري - رحمه الله - (باب: الإيمان وقول النبي ﷺ بنى الإسلام على خمس. وهو قول وعمل ويزيد وينقص، قال تعالى: ﴿لَزَادُوا إِيمَنًا مَعَ إِيمَنِهِمْ﴾ ﴿وَزَدَنَهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَبَزَدَ اللَّهُ أَذْرِكَ أَهْدَنَهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَنَا زَادُهُمْ هُدًى وَأَنَّهُمْ فَقُورُهُمْ﴾ ﴿وَبَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَنًا﴾ ﴿أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَنًا﴾ ﴿فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنًا﴾ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَنًا وَسَلِيمًا﴾. والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وستاناً فمن استكملاها استكمل الإيمان ومن لم يستكملاها لم يستكمل الإيمان، فإن أعيش فسأبينها لكم حتى تعمروا بها، وإن أنا مت فما أنا على صحبتكم بحريرص<sup>(١)</sup>.

والناس يتفاصلون في هذا الباب ويتفاوتون تفاوتاً عظيماً لا يحصيه إلا الله تعالى فمنهم أصحاب المقامات الرفيعة الذين إيمانهم مشرق كالشمس ومنهم من يضعف الإيمان في قلبه حتى يكون كمثال ذرة.

ومن هذا النوع شعبة إماتة الأذى عن الطريق ونحوها.

وبقية الشعب منها ما يكون إلى النوع الأول أقرب ومنها ما يكون إلى النوع الثاني أقرب<sup>(٢)</sup> والله أعلم.

الأصل الثالث، يعظمون أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ويحسنون الثناء عليهم ويرون عدالتهم وإنما يفهم الكتاب والسنة بفهمهم وإجماعهم حجة شرعية لا يجوز خلافها.

هذا أصل عظيم من أصول السنة ويتبيّن بمسائل.

(١) صحيح البخاري (٩-٨/١).

(٢) انظر لتفصيل أنواع شعب الإيمان كتاب «الصلة» للإمام ابن قيم الجوزية (٢٥-٣٠).

**المسألة الأولى:**

أهل السنة يعظمون الصحابة الكرام، ويحبونهم ويعتقدون أنهم أفضل أصحاب لأفضل نبي وأنهم جيل الأمة الأول، ورعيتها المقدم على أكتافهم وبعلمهم وعملهم وجهادهم قام الدين. وبه هم قاموا وعن طريقهم وصلنا كتاب الله تعالى غصاً طرياً كما أنزل وبرواياتهم وصلتنا سنة رسول الله ﷺ. وأحواله على التمام والكمال.

**قال الإمام البخاري:** «باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»<sup>(١)</sup>.

**قال رسول الله ﷺ:** «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدهماً ولا نصيفه»<sup>(٢)</sup>.

**وقال ﷺ:** «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويحيونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»<sup>(٣)</sup>.

**المسألة الثانية:**

الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ثقات بتعديل الله تعالى لهم. صادقون لا يكذبون فيما يرونه عن رسول الله ﷺ.

**قال الخطيب البغدادي رحمه الله:** «إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣/٣).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (١٩٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٠).

الله تعالى وإنباره عن طهارتهم و اختياره لهم في نص القرآن فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرَجْتُ لِلنَّاسِ﴾ .. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَأْتُونَكُمْ مَحْمَنَتَ السَّجَرَةِ﴾ الآية. وذكر آيات متعددة إلى أن قال: (في آيات يكثر إيرادها. ويطول تعدادها. ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك، وأطيب في تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم) ثم ذكر بعض الأحاديث في ذلك .. ثم قال: «وجميع ذلك يتضمن طهارة الصحابة والقطع على تعديلهما وزناهتم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له .. إلى أن قال: على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين المذكرين الذين يجيئون من بعدهم لأبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أبو زرعة الرazi - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدها من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يحرروا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة. والجرح بهم أولى وهم زنادقة»<sup>(٢)</sup>.

### المسألة الثالثة :

أجمع أهل السنة على أن الصحابة بعضهم أفضل من بعض وفي كل خير وأن أفضلهم الخليفة الراشدون الأربع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وأن هؤلاء

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب (٤٨-٤٩).

(٢) المصدر السابق (٤٩).

الأربعة بعضهم أفضل من بعض، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة. وأفضلهم جميعاً الصديق الأكبر أبو بكر. وهو أجرد الناس وأولهم بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.

فهو صاحب رسول الله ﷺ الخاص به، وصديقه الأقرب ونصيره وزيره من أول يوم بعث فيه رسول الله ﷺ إلى آخر يوم في حياته، وصاحب في سفر الهجرة ورفيقه في الغار ﴿فَانِّي أَشَّرُ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَحِّهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبه: ٤٠].

**قال الإمام البخاري:** رحمه الله: «باب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ...». وأخرج حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخier بين الناس في زمان النبي ﷺ فنخier أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم»<sup>(١)</sup>. وأخرج عن عمرو بن العاص ﷺ قال: «قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعد رجالاً»<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن علي بن أبي طالب قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر، قلت: وأنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

#### المسألة الرابعة:

السکوت عما شجر بين الصحابة من خلاف وقتل. وسلامة الصدور لهم

(٢) البخاري (٣٦٦٢).

(١) البخاري (٣٦٥٥).

(٣) البخاري (٣٦٧١).

وأنهم كانوا يجتهدون متأولين بما جرى بينهم، وبعضهم أقرب للحق والصواب من بعض كما قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لما سئل عن الموقف مما جرى بين الصحابة من قتال في الجمل وصفين فقال - رحمه الله -: «تلك دماء طهر الله سيفي منها فأطهر لسانني منها»<sup>(١)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فمن جزم في واحد من الصحابة بأن له ذنبًا يدخل به النار قطعًا فهو كاذب مفتر، فإنه لو قال ما لا علم له به لكان مبطلاً فكيف إذا قال ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه فمن تكلم فيما شجر بينهم، وقد نهى الله عنه من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل فهو ظالم معتدٍ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: « واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا والمصيب يؤجر أجرين»<sup>(٣)</sup>.

## سُورَةُ الْمُنْتَهَى

(١) انظر كتاب العواصم من القواسم في تحقيق موافق الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ للإمام أبي بكر ابن العربي الإشبيلي. تحقيق محب الدين الخطيب.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٢).

(٣) فتح الباري (١٣/٣٤).

### المقدمة الثالثة

#### سمات ومميزات أهل السنة والجماعة

تميز أهل السنة بسمات عظيمة وخصائص جليلة سنجملها فيما يلي:

١ - أهل السنة هم أعلم الناس بأحوال وسنن وشمائل رسول الله ﷺ ولذلك فهم أقرب الناس إليه وأولى الناس به. ولا معصوم عندهم سواه ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لَذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهَذَا الَّتِي وَالَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْ أَمْمَوْنَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ومن المعلوم: أن أهل الحديث والسنة أخص بالرسول واتباعه فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم... فإنه متى كان الرسول أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقوامهم قولًا وحالًا: لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: «فأهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في ما أمر. وليس هذه المنزلة لغيره من الأئمة»<sup>(٢)</sup>.

فأهل السنة ليس لهم اسم إلا السنة، فعنها يصدرون، وإليها يردون وبها

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٠-١٤١) باختصار.

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣٤٦).

يتسمون، ولذلك فهم أولى الناس أن يكونوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية لأنه ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ. وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله. وأعظم معرفة وتميزاً بين ما صح منها وما نسب إليها. فليس لأحد طريق ولا سبيل إذا أراد أن يعرف أحوال رسول الله ﷺ وسنته وأقواله وسيرته إلا طريق وسبيل أهل السنة وكتبهم ومصنفاتهم وأقوال محدثيهم في التضعيف والتصحيح. والتعديل والتجریح وأقوال فقهائهم. مثل استخراج المعانی منها. وإعلاء المبني عليها.

٢ - ومن خصائص وسمات أهل السنة: أن إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين. حجة شرعية صحيحة يجب المصير إليها وإتباعها. لأنهم لا يجتمعون على ضلاله. فإن جماعهم لا يكون إلا معصوماً.

قال الله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْنَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلَّ مَنْ نُصِّلِهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» [١١٥] (النساء: ١١٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلاله»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام البخاري في الصحيح: «باب ما ذكر النبي ﷺ وحضر على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة وما كان فيهما من مشاهد النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار...»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «فقال لي قائل: مما حجتك في أن تتبع ما اجتمع الناس عليه مما ليس فيه نص حكم لله ولم يحكوه عن رسول الله ﷺ؟

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح.

(٢) الجامع الصحيح (٩/٧٤).

فقلت له: «فكنا نقول بما قالوا به اتباعاً لهم، ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله ﷺ لا تعزب عن عامتهم، وقد تعزب عن بعضهم، ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف سنة رسول الله ﷺ ولا على خطأ إن شاء الله»<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وسموا أهل الجماعة: لأن الجماعة هي الاجتماع ضدّها الفرق، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة<sup>(٢)</sup> جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنية أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثُر الاختلاف وانتشرت الأمة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام ابن عبد البر: «وعندي أن إجماع الصحابة لا يجوز خلافهم لأنَّه لا يجوز على جميعهم جهل التأويل. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ دليل على أن اجتماعهم إذا اجتمعوا حجة على من خالفهم كما أنَّ الرسول ﷺ حجة على جميعهم»<sup>(٤)</sup>.

٣- ثباتهم على الحق وصبرهم عليه. وعدم تقلبهم وتخبطهم وتذبذبهم كما هو حال أهل الأهواء ومتبعي الشهوات.

وهذا ناتج عن اليقين الذي هم عليه بأنَّ ما يعتقدونه ويعملون به هو الهدى والصواب لذلك هم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم.

(١) الرسالة (ص ٤٧١).

(٢) وهي القرآن والسنة والإجماع.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٧ / ٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٣١٤).

في صحيح البخاري في قصة هرقل عظيم الروم: أنه سأله أبو سفيان عن من أسلم مع النبي ﷺ فقال: هل يرجع أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه ساخطاً له؟! فقال أبو سفيان لا.

فقال هرقل: كذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم وصالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتروا بأنواع الفتنة وهذه حال الأنبياء وأتباعهم.. وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»<sup>(٢)</sup>.

٤- اتفاقهم في أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان وهذا أمر مشهود لا يجحده أحد.

يقول قوام السنة الأصبهاني -رحمه الله- في وصف هذا الأمر: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قد يهمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار. وسكنون كل واحد منهم قطراً من الأقطار. وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقوا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد وهل على الحق دليلاً أبين من هذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري (٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٥١).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤-٢٢٨).

والسبب في اتفاقهم أنهم أخذوا دينهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأورثهم ذلك الاتفاق والائلاف، وأهل الأهواء والبدع جعلوا دينهم تبعاً لعقولهم وآرائهم وأذواقهم فأوردتهم الافتراق وكثرة الخلاف.

٥- اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أصول الدين هي الأسلم والأعلم والأحكم.  
لا كما يفترىه أهل الكلام والفلسفة من قولهم: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

«فقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف»<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: «فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدل والخصام، والزيادة والنقصان على مقدار الحاجة لم يكن عِيَّا ولا جهلاً ولا قصوراً، وإنما كان ورعاً وخشية لله واستغلاً عما لا ينفع بما ينفع»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ابن الماجشون -رحمه الله-: «عليك بذر زور السنة فإنها بإذن الله لك عصمة فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها وإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعomp، فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا وبصراً نافذاً كفوا ولهم كانوا على كشفها أقوى. ويتفصيلها لو كان فيها خير أخرى وإنهم لهم

(١) مجموع الفتاوى (٩/٥).

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (٦١).

السابقون.. ولقد وصفوا منه ما يكفي وتكلموا بما يشفي، فمن دونهم مقصراً. ومن فوقهم مفرطاً. ولقد قصر دونهم أناس فجفوا. وطمح آخرون فغلوا. وإنهم فيما بين ذلك على هدى مستقيم»<sup>(١)</sup>.

٦- أهل السنة والجماعة أرحم الناس بالناس وأنفع الخلق للخلق، وأشرح الناس صدراً. وأكرم الناس سجايا، يقيمون الصلوات، ويتركون المنكرات، يفسحون السلام، ويطعمون الطعام، ويصلون بالليل والناس نيا، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات وهو لها سابقون.

يصدق فيهم قوله تعالى: «تِنَّ أَهْلَ الْكِتَبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّلَوُنَ مَا يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَنَّهَا أَئَلَّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ»<sup>(١٢)</sup> «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآتَيْوْهُمْ الْأَخْرِيِّ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّابِرِينَ»<sup>(١٣)</sup> «وَمَا يَفْعَلُوْا مِنْ حَيْثُ فَلَئِنْ يُكَفِّرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيْهِ بِالْمُتَّقِيِّنَ»<sup>(١٤)</sup> [سورة آل عمران ١١٥-١١٣].

قال الإمام الطبرى - رحمه الله -: «وذلك أن معنى قوله: «قائمة» مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفريائه وشرائع دينه، والعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير، من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «وقوله: «وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسله، وتصديق محمد ﷺ وما جاء به، «وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» وينهون الناس عن الكفر بالله، وتكذيب محمد ﷺ وما جاءهم به من عند الله،...» «وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»: يبتدرؤن فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معالجتهم مناياهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية انظر مجموع الفتاوى (٤/٨-٧).

(٢) تفسير الطبرى (٣/٤٠٠).

(٣) تفسير الطبرى (٣/٤٠٢).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني في رسالة اعتقاد أصحاب الحديث: «ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها ويتوافقون بقيام الليل. وبصلة الأرحام، وإشارة السلام وإطعام الطعام، والرحمة للفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين والتعطف في المأكولات والمشرب والملابس والمنكح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، وتحابون في الدين ويتbagضون فيه»<sup>(١)</sup>.

٧- وأهل السنة والجماعة لا يرون الجدال والمراء في الدين، ويكرهون الخلاف قال الإمام ابن بطة العكبري - رحمه الله -: «فاعلم يا أخي أبي لم أرأ الجدال والمناقضة والخلاف والمماحلاة والأهواء المختلفة والأراء المخترعة من شرائع النبلاء، ولا من أخلاق العقلاة ولا من مذاهب أهل المروءة ولا مما حكي لنا عن صالح هذه الأمة ولا من سير السلف»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام مسلم بن يسار - رحمه الله -: «إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وفيها يتلمس الشيطان زله»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»<sup>(٤)</sup>.

وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: «ومما أنكره السلف: الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام

(١) اعتقاد أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني (٢٨).

(٢) الإبانة (٢/٥٣١).

(٣) المصدر السابق (٢/٤٩٧).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٠٣).

وإنما أحدث الجدال والمراء بعدهم، قال بعض السلف: إذا أراد الله بعد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعد شرّاً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل .....

وقال الإمام مالك -رحمه الله-: الجدال والمراء في العلم يذهب بنور العلم، وقال: «المراء في العلم يقسي القلب ويورث الصغينة».

وقال الإمام جعفر الصادق -رحمه الله-: «إياكم والخصومات في الدين، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق». وكلام السلف في هذا كثير جداً.

وقد فتن كثير من المتأخرین بهذا وظنوا أن من كثر كلامه وجداه وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم من ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أکابر الصحابة وعلمائهم، كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم كيف كان كلامهم أقل من غيرهم وهم أعلم وأفضل.. فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال والمجادلة، ولكنه نور يقذفه الله في القلب يفهم به العبد الحق ويقبله ويميز بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجذرة محصلة للمقاصد...).<sup>(١)</sup>.

-٨- أهل السنة والجماعة من أبعد الناس عن التكفير والتبديع والتضليل والتفسيق إلا بمسوغ شرعي واضح، وبعد الدعوة والبيان وإقامة الحجة وتوسيع الخلل والصبر على المخالف، ويرون أن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وصلاح ذات الين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبيّن له المحجة، ومن ثبت

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (٣١-٣٧) باختصار.

إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدولون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَمِنْ لِلَّهِ شُهَدَاءِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرُ مَنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدः٨] ويرحمون الخلق، ف يريدون لهم الخير والهدى والعلم لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «فلهذا كان أهل العلم والسنّة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ فليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزنّا حرام لحق الله تعالى.

وكذلك التكبير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله وأيضاً فإن تكبير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجّة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر»<sup>(٣)</sup>

وآخر حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٦٦).

(٢) كتاب الاستغاثة في الرد على البكري (١ / ٣٨٠).

(٣) المصدر السابق (١ / ٣٨١ - ٣٨٢).

ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني<sup>(١)</sup>

وقال الإمام البخاري أيضًا: باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية وآخر حديث انس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبية»<sup>(٢)</sup>

وحدث ابن عباس قال: قال: النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»<sup>(٣)</sup>

٩ - ويرى أهل السنة وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين وحضور الجمع والجماعات والأعياد مع أئمة المسلمين وجماعتهم ولا يتزعون يدًا من طاعة، ولا يفرقون الجماعة ولا يخرجون على جماعة المسلمين وأنتمهم ولا يحملون السلاح على المسلمين. وهم دعاة جماعة وألفة. وخير ورحمة.

قال الإمام الطحاوي رحمة الله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا ولو لامة أمرنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرها بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، وتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث رقم (٧١٣٧).

(٢) حديث رقم (٧١٤٢).

(٣) حديث رقم (٧١٤٣).

(٤) شرح الطحاوية (ص ٣٦٤).

ويؤمنون بما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَّلُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ نَأْوِيلًا﴾ [الإنسان: ٥٩].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام البخاري في أول كتاب الأحكام من الجامع الصحيح: باب: قول الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

وأخرج حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»<sup>(٢)</sup>

وقال الإمام البخاري أيضًا: باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية وأخرج حديث أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «اسمعوا وأطعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»<sup>(٣)</sup>

وحدث ابن عباس قال: قال: النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»<sup>(٤)</sup>

## مختصر

(١) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) حديث رقم (٧١٣٧).

(٣) حديث رقم (٧١٤٢).

(٤) حديث رقم (٧١٤٣).

## الفصل الأول

### الإيمان بالله تعالى وشرماته

معرفة الله تعالى هي غاية الغايات، ومتى الطلب، وأعظم الضرورات، وعبادته والتوكيل عليه وتفويض الأمور إليه هو متى الطلب وغاية القصد.

والإيمان بالله تعالى يتحقق إذا آمن الإنسان بربوبيته تعالى وخلقته للعالم وتوجه الإنسان إلى الله تعالى بالطلب والقصد والعبادة والتوكيل، وإذا عرف العبد ربها تعالى بما له من جميل الصفات وبديع الأسماء.

أولاً: توحيد الربوبية. ويتحقق بأن يؤمن العبد بأن الله هو رب العالمين وخلق الخلق أجمعين.

وبأن الله تعالى هو الملك الحق له ملك السموات والأرض وما فيهن، وبأن الله تعالى هو الصمد المهيمن لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

وبأن الله تعالى هو الحي القيوم، القائم بشؤون خلائقه إيجاداً وإعداماً، وخلقها وإنشاء، وإحياء وإماتة، ورزقاً وغير ذلك.

والإيمان بوجود الخالق تعالى له دلائله العظيمة الشاهدة بحق على وجود الإله الخالق الحق الواحد الأحد جل جلاله.

(١) فأعظم وأهم هذه الدلائل هو الفطرة التي فطر الله خلقه عليها. فالله تعالى خلق عباده مفطورين على معرفته والإيمان به والتسليم له وال الحاجة إليه. والفقير الشديد له. والشعور الدائم بالاضطرار إليه واللجوء إليه.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَجْهَكُ الَّذِينَ حَسِيقًا قَطَرَتْ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا

بَدِيلٌ لِعَلْقَلِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي تُمْسِكُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾  
مُنْبِينَ إِلَيْهِ وَأَقْوَهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا  
دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاتٍ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرَحُونَ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٣٢-٣٩].

فطر الله تعالى الخلق على الإيمان به، ومعرفته، والإسلام له.

قال الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله: «فطرت الله التي فطر الناس عليها» قال: «الإسلام مذ خلقهم الله، من آدم جميعاً يقررون بذلك»<sup>(١)</sup>.

وُنصِبَتْ كَلْمَةُ «فَطَرَتْ» عَلَى الْمُصْدَرِ، وَالتَّقْدِيرِ: فطر الله الناس فطرة.

و «منيبين إليه» أي راجعين إلى الله، مقبلين عليه.

قال الإمام ابن كثير: «فسد وجهك، واستمر على الدين، الذي شرعه الله لك من الحنيفة ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة؛ التي فطر الله الخلق عليها.

فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره.

ومعنى «لا تبديل لخلق الله»، لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب، وهو معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بايه، ومعناه أنه تعالى ساوي بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبرى (١٠/١٨٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٩٣).

فمن آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ، وأناب إلى الله، وأقام الصلاة، فهو على دين الله، مستقيماً على فطرته التي فطره ربها عليها، فليس هو إذن من المشركين، الذين علامتهم أنهم فرقوا دينهم فكانوا شيئاً كل حزب بما لديهم فرحون.

الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوكُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ مِنْهُنَّ هُوَ فِي شَقَاقٍ بَعْدِي ﴾ [فصلت: ٥٢].

إإن تكذيبهم للحق، وإعراضهم من بعد أن قامت الحجة عليهم، بشبهة: «إنا وجدنا آباءنا على أمة»، وإننا وجدنا أصحابنا، وجماعتنا على طريقة، وإننا على آثارهم مقتدون.

إإن ذلك منهم ظلم شديد لأنفسهم، استحقوا به عقوبة عظيمة الأثر، أن لا يهدى لهم الله تعالى بعد ذلك إلى استيقان الحق، ولا فهمه، فضلاً عن اتباعه، وهذا تدمير عظيم لفطرتهم التي فطراهم ربهم عليها ومنع من استصلاحها كما قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِ كَذَّالِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال تعالى في سورة يونس:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ، مِنْ قَبْلِ كَذَالِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ ﴿٧٤﴾ [يونس: ٧٤].

وقال تعالى في الأنعام:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْنَتِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ مَا يَهْدِي لَيَقُولُنَّ إِلَيْهَا قُلْ إِنَّمَا أَلَّا يَنْتَهِ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَرِّكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَنُقْلِبُ أَفِعَادَهُمْ وَأَنْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ

وَنَذَرُهُمْ فِي طُفْقَنِهِ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهم، في تفسير قوله: «وَنَذَرْتُ أَفِيدَهُمْ»: «لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء ورددت عن كل أمر»<sup>(١)</sup>. وال الصحيح أن «الكاف» في قوله تعالى «كما»، هي للتعليل.

ولها نظائر في القرآن، كقوله تعالى:

«وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَنَّكُمْ» [البقرة: ١٩٨].

وقوله تعالى:

«فَإِذَا آمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢٣٩].

قال الإمام ابن حجر الطبرى رحمة الله: «فاذكروا الله في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له والحمد له والثناء عليه، على ما أنعم عليكم من التوفيق لإصابة الحق، الذي ضل عنه أعداؤكم»<sup>(٢)</sup>.

والله تعالى خلق الناس ليتمموا بعبادته ويترzinوا بمعرفته ويخرجوا من الظلمات إلى النور بالإيمان به واتباع رسالته، وهو تعالى الخالق العليم القدير الحكيم الخير. فلا بد أن يكون خلقهم على الهيئة التي ترشحهم لمعرفته، وفطرهم من أصل خلقهم على الإيمان بربهم «أَسْتَبِرْتُكُمْ فَأَلْوَبَّلُّتُكُمْ»، وقد نصت الآية السابقة. على أن الله تعالى فطر العبادة على معرفته وخلقهم على الهيئة التي ترشحهم لمعرفته والإيمان بها.

وإنما تعطل الفطرة عن حقيقتها وتصرف عن وظيفتها. لأمرتين اثنتين:

(١) تفسير الطبرى (١٩٤ / ٧).

(٢) المصدر السابق (٣٣٧ / ٣).

الأمر الأول: ما يطأ عليها من محرفات وما يغشاها من صوارف فتفسد وتعطل، فإذا جاءت شرائع الله على أيدي رسله وافت فطرًا فاسدة ونفوساً مظلمة، ولذلك يقع التكذيب من أكثرهم. في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدُهُ، أَوْ يُنَصِّرُهُ، أَوْ يُمَجِّسَانِيهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسْنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه فاقرأوا إن شئتم قوله تعالى: «فِطَرَ اللَّهُ أَلَّا يَفَرَّ  
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِلُ لِخَلْقَ اللَّهِ ذَلِكَ الْدِيْنُ الْقَيْمَ» [الروم: ٣٠] <sup>(١)</sup>.

والثاني: الإعراض عما أعده الله تعالى لجلاء الفطرة وتكميلها، وهو اتباع الرسل فيما أرسلوا به. قال تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْجَبَنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ مَدْرِي مَا أَكَتَبْ وَلَا أَلِيمَنْ» [الشوري: ٥٢]، وقال تعالى: «مَا أَيَّلَهُمْ مِنْ ذِكْرِنِ رَبِّهِمْ مُخْدِثٌ إِلَّا سَمَعُوهُ وَهُمْ يَأْمَجُونَ» [الأنبياء: ٢]، وقال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٨٩].

وذلك أن النفس البشرية مفطورة على الفقر وال الحاجة فلا بد لها من مطلوب مراد تطليبه ضرورة بفطرتها الفقرة المحتاجة، وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها وحقيقة تركيبها، لا يتصور قط أن تكون نفس الإنسان غير مريدة ولا طالبة لمراد لها مطلوب لها، وذلك لأنه لا يتصور استغناءها من كل وجه، بل هي فقيرة من كل وجه.

إذا تصورنا ذلك وهو تصور مطابق للواقع من أحوال النفس البشرية فإن المراد المطلوب الذي تطليبه النفس البشرية وتریده، إما أن يكون مرادًا لنفسه أو

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

مرادًا لغيره. والمراد لغيره لابد ضرورة أن ينتهي إلى مراد لنفسه.

فإذا كان إذن لابد للإنسان الفقير المضطر من مراد لنفسه مطلوب لذاته، فإن هذا لابد أن ينتهي إلى الإله الحق الغني بذاته المطلوب لذاته وذلك لابد ضرورة أن يكون الله الأول الذي ليس قبله شيء، الغني الذي لا يحتاج لشيء. وكل شيء إليه محتاج، ومن الممتنع أن تكون النفس البشرية مقطورة على أن تأله غير الله رب العالمين، وذلك لوجوه عديدة:

منها: أنه ليس مخلوق معين من المخلوقات بأولى من غيره أن يكون إلهاً لبقية المخلوقات لاشتراكه معها في صفة المخلوق المسبوق بالعدم المدرك بالفناء الموصوف بالنقص والفقر مثلها تماماً وهذا المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ فَآذَعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ومنها: أن المشركين في الأرض لم يتفقوا على إله واحد معين من هذه المخلوقات؛ بل عبد كل قوم ما استحسنوه.

ومنها: أن ذلك المخلوق إن كان ميتاً فالحي أكمل من الميت، فيمتنع أن يكون الناس مفطورين على عبادة ميت فضلاً عن جماد، وإن كان حياً فهو أيضاً مرید يطلب إلهاً فلابد أن ينتهوا جميعاً الآلهة وعابدوها إلى إله أول غني خالق مدبر.

وهذا هو المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَنْتَعِزُ إِلَى ذِي الْعِظَمَاتِ سَبِيلًا﴾ [٤٢] شيخ له التمئذن السابعة والأرض <sup>(١)</sup> ومن فِيهِنَّ فَإِنِّي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْتَعِيْضُ بِهِمْ، وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيْحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا﴾ [٤٣] [الإسراء: ٤٢-٤٤].

قال الإمام الطبرى رحمة الله: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أنت معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لا بُغْتَ تلك الآلهة القرابة من الله ذي العرش العظيم، والتمسك بالزلفة إليه، والمرتبة منه»<sup>(١)</sup>.

فتَبَيَّنَ أَنَّ لَابْدَ مِنْ إِلَهٍ مُعِينٍ، هُوَ الْمُحْبُوبُ الْمُطْلُوبُ لِذَاهِهِ مِنْ كُلِّ الْمُخْلُوقَاتِ، وَمِنْ الْمُمْتَنَعِ أَنْ يَكُونَ هَذَا غَيْرُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَزَمَ فَطْرَةً وَعُقْلًا وَشَرْعًا: أَنْ يَكُونَ إِلَهُ الْحَقِّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُطْلُوبُ الْمُرْغُوبُ الْمُحْبُوبُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعُلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، وَأَنَّ كُلَّ مُولُودٍ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَدٌ مُفْطُورٌ عَلَى مَحْبَةِ إِلَهِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

(٢) وَمِنْ الْبَرَاهِينِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجْهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْمَدِيرِ. دَلِيلُ الْخَلْقِ وَالْعُنَيْةِ فَإِنَّ الْعُقْلَ الْصَّرِيحَ وَالْعُقْلَ الْمُعْتَدِلَ قَائِمٌ عَلَى أَنْ كُلَّ سَبَبٍ لَابْدَ لَهُ مِنْ مُسَبِّبٍ، وَكُلَّ أَثْرٍ لَابْدَ لَهُ مِنْ مُؤْثِرٍ، فَوِجْدَنُ هَذَا الْعَالَمِ الْمُخْلُوقِ الْمُتَقْنِ الْمَدِيرَ أَحْسَنَ التَّدِبِيرِ وَأَبْدِعَهُ لَابْدَ ضَرُورَةً أَنْ يَدْلِي عَلَى وَجْهِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ الْمَدِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَّذِي أَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السَّجْدَة: ٧]، وَالَّذِي صَنَعَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَتَقْنَهُ ﴿صَنَعَ اللَّهُ أَلَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النَّمْل: ٨٨].

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْبَرَهَانُ الْعَظِيمُ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْطَّورِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ خُلِقُوا أَسْنَاتُهُنَّ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوْقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [الطَّور: ٣٥-٣٦]، وَهَذَا بَرَهَانٌ قَاهِرٌ وَقَسْمَةٌ حَاسِرَةٌ تَوَصِّلُ إِلَى نَتْيَاجَةٍ حَتَّمِيَّةٍ أَنْ لَهُذِهِ الْمُخْلُوقَاتِ خَالِقًا عَظِيمًا عَلِيمًا حَكِيمًا مَدِيرًا، وَهُوَ أَنَّ الْمُحَدِّثَ لَابْدَ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾ [الطَّور: ٣٥].

(١) تفسير الطبرى جامع البيان (٨/٨٤).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٦٥-٤٦٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إِنَّ هَذَا تَقْسِيمٌ حَاسِرٌ: أَخْلَقُوا مِنْ  
غَيْرِ خَالقِ خَلْقَهُمْ؟ فَهَذَا مُمْتَنَعٌ فِي بَدَائِهِ الْعُقُولِ.

أَمْ خَلَقُوا أَنفُسَهُمْ؟

فَهَذَا أَشَدُ امْتِنَاعًا.

فَعْلَمُ أَنَّ لَهُمْ خَالِقًا خَلْقَهُمْ.

وهو سبحانه ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بدويهية مستقرة في النفوس لا يمكن لأحد إنكارها؛ فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعى وجود حادث بدون محدث أحدهه ولا يمكنه أن يقول: «هذا أحدث نفسه»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ  
غَيْرِ رَبِّ، وَمَعْنَاهُ: أَخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ خَلْقَهُمْ فَوْجَدُوا بِلَا خَالقَ، وَذَلِكَ مَا لَا  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ، لِأَنَّ تَعْلُقَ الْخَلْقِ بِالْخَالقِ مِنْ ضَرُورَةِ الْأَسْمَاءِ، فَلَا بَدْ لَهُ مِنْ خَالقَ،  
إِنْ أَنْكَرُوا الْخَالقَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَوْجَدُوا بِلَا خَالقَ، أَمْ هُمُ الْخَالقُونَ، لِأَنفُسِهِمْ، وَذَلِكَ  
فِي الْبَطْلَانِ أَشَدُ، لِأَنَّ مَا لَا وَجْدَ لَهُ كَيْفَ يَخْلُقُ، فَإِذَا بَطَلَ الْوَجْهَانَ قَامَتِ الْحَجَةُ  
عَلَيْهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ خَالِقًا فَلِيُؤْمِنُوا بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هَذَا الْمَقَامُ فِي إِثْبَاتِ الرِّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ  
الْأَلْوَهِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أَيْ: أَوْجَدُوا مِنْ غَيْرِ  
مَوْجَدٍ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنفُسَهُمْ؟ أَيْ: لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلْ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ

(١) كتاب الرد على المنظقيين (٢٥٣).

(٢) معالم التنزيل (٧/٣٩٣).

وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكونوا خلقوا من غير شيء، أي بدون خالق أصلاً.

والثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم.

والثالثة: أن يكونوا خلقهم خالق غير أنفسهم.

ولا شك أن القسمين الأولين باطلان، وبطلاهما ضروري كما ترى فلا حاجة إلى إقامة الدليل عليه لوضوحيه، والثالث هو الحق الذي لا شك فيه وهو جل وعلا خالقهم المستحق منهم أن يعبدوه وحده جل وعلا<sup>(٢)</sup>.

فمما تقدم نعلم ونؤمن أن كل ما سوى الله تعالى وهو هذا العالم علويه وسفليه مخلوق كائن بعد أن لم يكن وهو حادث بنوعي الحدوث الذاتي والزمني، أما الحدوث الزمني فالمراد به أن كل ما سوى الله تعالى مسبوق بالعدم، وأما الحدوث الذاتي فالمراد به أن كل ما سوى الله تعالى محتاج مفتقر في وجوده إلى موجد يوجده<sup>(٣)</sup>.

ونعلم ضرورة أن الموجودات جميعها يجب أن تنتهي إلى موجد أو جدها. وهذا الموجد يجب ضرورة أن يكون موجداً خالقاً أولاً ليس قبله شيء وجوده ذاتي. لم يسبق بالعدم.

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٩).

(٢) أضواء البيان (٤/٣٦٨).

(٣) انظر: الذخيرة في المحاكمة بين الغرالي والحكماء، لعلاء الدين الطوسي (٦٥-٦٦).

هذا البرهان العظيم المعجز البليغ الذي تسلّم به وبنتيجه الضرورية كل العقول الصحيحة ولا يمكن رده إلا بالمكابرة والعناد.

وإن غاية نتائج الفلسفه والعقلاه في وصولهم إلى إثبات خالق علیم قدیر مدبر لهذا العالم لا تخرج عن هذا البرهان العظيم مع تطويل العبارات والإغراء في الجدلیات والتصورات والفرضيات.

لتأخذ مثالاً لذلك: «رينيه ديكارت»<sup>(١)</sup>: اتخذ ديكارت الشك منهجاً للبحث عن الحقيقة والوصول إلى اليقين، وبحث عن طريق المادة والوجود وطرق قوانين الحتمية الفيزيائية.

وخلص إلى أن وسائل حصول المعرفة للإنسان إما الحواس التي ندرك بها المحسوسات، وأما العقل الذي ندرك به المعقولات، ثم شكك في هذين المصادرين فالحواس كثيراً ما تخدعنا والعقل كثيراً ما يخطئ.

ثم توصل إلى حتمية وجود الله خالق هذا العالم والبرهان على ذلك هو ذلك البرهان العظيم: الاستدلال على الخالق بدليل وجود المخلوقات.

يقول ديكارت: «لماذا يستحيل عليّ أن أنكر هذه الحقيقة القائلة: أنا أفكّر إذاً أنا موجود. أنا موجود إذاً فمن أوجدني؟! ومن خلقني؟! إنني لم أخلق نفسي، فلابد لي من خالق، وهذا الخالق لابد أن يكون (واجب الوجود) وغير مفتقر إلى من يوجده، أو يحفظ له وجوده، ولا بد أن يكون متصفًا بكل صفات الكمال، وهذا

(١) فيلسوف فرنسي (١٥٩٦-١٦٦٠) من أشهر كتبه: التأملات الميتافيزيقية والمبادئ الفلسفية من رواد منهج الشك، وخلص من خلال البرهان الأوتولوجي وبرهان فكرة الكامل إلى أن الله موجود وهو صاحب منهجة: أنا أفكّر إذن أنا موجود. موسوعة أعلام الفلسفة (٤٥٣-٤٥١/١).

الخالق هو الله بارئ كل شيء<sup>(١)</sup>.

ويتوصل بعده «بيلز باسكال<sup>(٢)</sup>» إلى نفس البرهان فيقول: «إن أدراكتنا لوجود الله هو من الإدراكات الأولية، التي لا تحتاج إلى جدل البراهين العقلية، فإنه كان يمكن أن لا أكون، لو كانت أمي ماتت قبل أن أولد حيًّا، فلست إذن كائناً (واجب الوجود)، ولست دائمًا أو (لا نهائياً)، فلابد من كائن واجب الوجود، دائم لا نهائي يعتمد عليه وجودي، وهو الله الذي ندرك وجوده إدراكاً أولياً، بدون أن تدور طفي جدل البراهين العقلية»<sup>(٣)</sup>.

فهذا البرهان قاطع والمنازع فيه مجادل بالباطل. مكابر للحق.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمة الله: «الملكون، الملك الأعظم، والمراد بملكون السموات والأرض مجموع العالم، لأن الاستدلال به على قدرة الله وصفاته ووحدانيته أظهر، فإن العالم في جملته لا يمكن أن يكون قدِيمًا أزلِيًّا، ولا نزاع بين علماء الكون في إمكانه، ولا في حدث كل شيء منه،... وهو لا يمكن أن يكون من عدم محض، لأن العدم المحض لا حقيقة له في الخارج؛ بل هو أمر فرض فلا يعقل أن يصدر عنه وجود، ولا يمكن أن يكون بعضه قد أوجد البعض الآخر، وهذا بديهي... فلابد إذاً من أن يكون صادرًا عن وجود آخر غيره وهو الله واجب الوجود.

وإذا كانت البُرة تدل على البعير، والأثر على المسير، أفلا يدل هذا الملكون العظيم على أن مصدره واحد، وتديره راجع إلى علم علیم واحد وحكمة حكيم

(١) نقلًا عن كتاب قصة الإيمان: نديم الجسر (١٢٧-١٢٨).

(٢) فيلسوف فرنسي (١٦٢٣-١٦٦٢م) خلص في فلسفته إلى الفصل بين المعرفة العقلية والمعرفة القلبية، موسوعة أعلام الفلسفة (١/٢٣٢).

(٣) نقلًا عن قصة الإيمان: نديم الجسر (١٣١).

واحد، سبحانه وتعالى ﴿أَمْ حَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾٢٥﴿ أَمْ حَلَقُوا أَسْمَنَوْتَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾٢٦﴾ [الطور: ٣٦-٣٥]﴾<sup>(١)</sup>.

إن الاعتراف بوجود خالق مدبر لهذا العالم اعتراف ضروري يفرض نفسه بقوة حتى على كبار الملاحدة المنكرين، وذلك لقوة البرهان، فوجود مخلوقات متحركة لا بد أن يتنهى ضرورة إلى خالق أول مدبر خارج عن هذه المخلوقات.

هذا الفيلسوف «ديفديهيم»<sup>(٢)</sup> رائد مذهب الشك والإلحاد يعترف بضرورة هذا البرهان في نهاية المطاف.

يقول هيوم: «إذا أمعنا النظر فنحن لا نرى القوانين والأسباب، وإنما نرى الحادثات والنتائج فنقول بالعلية والضرورة من غير أن نراهما، فإذا ضربنا إحدى كرتني (بلياردو) تأخذ الثانية فتتحرّك أيضًا فالذى نراه بحواسنا هو هذا القدر، فالحوادث تريننا أنفسها دون عللها وأسبابها»<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر الفيلسوف الشهير «عمانوئيل كانت»<sup>(٤)</sup>: «بأن البرهان العقلي الخالص

(١) تفسير المنار (٩/٤٥٧).

(٢) فيلسوف إيرلندي (١٧١١-١٧٧٦ م) أشهر مؤلفاته: التاريخ الطبيعي للدين. ورسالة في الطبيعة البشرية. رفض في فلسفته تجاوز الظواهر المحسوسة وأنه لا وجود لأي شيء خلق هذه الظواهر المحسوسة وأن قانون السبيبة وهو ما هو إلا مجرد تتابع الظواهر باستمرار لا يتجاوز كونه عادة بحثة. موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٥٧٤).

(٣) نقلًا عن كتاب: القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، لمصطفى صبّري (٣١).

(٤) عمانوئيل كانت المتوفي سنة ١٨٠٤ م صاحب المؤلفات الشهيرة في نقد بنية العقل وأهمها كتابه «نقد العقل الخالص» و«نقد العقل التطبيقي» وتوصل إلى عجز العقل عن التمييز بين الخير والشر ونقده في فهمه لغائية الأشياء ووجودها. انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٤٤).

يؤدي حتماً إلى إثبات وجود الله ببراهين كوسموЛОجية<sup>(١)</sup> بناءً على العلة الغائية معتمداً على مبدأ السببية - بأن كل سبب لابد له من مسبب - ومبدأ الغائية وبرهن العقل أيضاً عن وجود الله ببرهان أو نتولوجى<sup>(٢)</sup> يخلص إلى حتمية وجود الله<sup>(٣)</sup>.

فلقد دلت هذه الآيات العظيمة من سورة الطور على استخدام هذا البرهان برهان السببية. لضرورة أن شيئاً لا يمكن أن يوجد نفسه ضرورة أن كل موجود مخلوق لابد له من موعد خالق مصور عليم قدير حكيم خبير.

**﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾**<sup>(٥)</sup> [الطور: ٣٥-٣٦].

وهذا رجل من المشركين - وهو جبير بن مطعم - كان غافلاً عن هذا البرهان من صرفاً عنه. حتى سمع النبي ﷺ يتلو هذه الآيات فكشفت عنه قناع الجهل ورفعت عنه غشاوة الكفر وبددت ظلمات الشرك. وفتحت له باب الإيمان واليقين. ومعرفة ربها وخالقه وإلهه الحق.

في الصحيح عن جعفر بن مطعم رضي الله عنه، قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: **﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾**<sup>(٦)</sup> **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾**<sup>(٧)</sup> **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ حَرَازٌ رَّيْكٌ أَمْ هُمُ الْمُصَنَّطُونَ ﴾**<sup>(٨)</sup> قال: كاد قلبي أن يطير»<sup>(٩)</sup>.

(١) مفهوم الكون.

(٢) مفهوم الوجود.

(٣) موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٤٨).

(٤) صحيح البخاري (٤٨٥٤).

وفي رواية: «وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي»<sup>(١)</sup>.

وكان جibir قد أتى مع وفد المشركين في شأن فداء أسارى بدر<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركتها بلطيف طبعه، وذلك من قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقيل: معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقتا من غير شيءٍ أى هل خلقو باطلًا لا يؤمنون ولا ينهون، وقيل: المعنى ألم خلقو من غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق، فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً، ثم قال: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أى إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السموات والأرض وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة، ثم قال: ﴿بَلْ لَا يُؤْفَقُونَ﴾ فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه، فلهذا انزعج جibir حتى كاد قلبه يطير ومال إلى الإسلام<sup>(٤)</sup>.

فلا بد ضرورةً علميةً وعقليةً وفطريةً أن تنتهي جميع المخلوقات إلى خالق أوجدها وأبدعها، ومن العدم أنشأها.

ولابد أن يكون هذا الخالق هو الأول الذي ليس قبله شيءٍ ووجوده ذاتي. وهو الله الخالق البارئ المصور.

(١) البخاري (٤٠٢٣).

(٢) البخاري (٣٠٥٠).

(٣) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨ / ٢٣٤ - ٢٣٥).

فإذا تبين هذا، وعلمنا أن أطراف الزمان بداية ونهاية، وأطراف المكان تحيط كل ما سوى رب العالمين جل وعلا.

وحتى العرش العظيم الذي هو سقف العالم وأكبر المخلوقات وأعظمها يشمله ذلك.

فله بداية، وله نهاية، فحكم الفناء يشمله عقلاً وأصلاً لو لا أن الله تعالى أباه استثناءً وقدراً.

فلنعلم أن المخلوقات جميعاً يجب ضرورة عقلاً وشرعًا أن تنتهي في بداياتها إلى خالق خلقها، وموجد أوجدها من العدم، وإلى أول ليس قبله شيء بلا بداية.

ويجب ضرورة عقلاً وشرعًا أن الخالق تعالى له وصفان:

الوصف الأول: أن وجوده ذاتي لم يستفده من غيره؛ لأنه لو استفاد وجوده من غير لازم من ذلك التسلسل في العلل والمؤثرات الذي يُسمى الدور القبلي، وقد اتفق العقلاً على أن منع ذلك ضرورة عقلية.

كما أنه ضرورة شرعية.

وهذا متفق عليه عند الفلاسفة والمتكلمين. وأرباب العقليات.

قال أبو علي بن سينا: «كل سلسلة مترتبة من علل ومبررات كانت متناهية أو غير متناهية فقد ظهر أنها إذا لم يكن فيها إلا معمول احتاجت إلى علة خارجة منها لكنها يتصل بها لا محالة طرف. وظهر أنه إن كان فيها ما ليس بمحمول فهو طرف ونهاية. فكل سلسلة تنتهي إلى واجب الوجود بذاته»<sup>(١)</sup>.

(١) الإشارات والتنبيهات (١٩٨).

وقال محمد بن عمر الرازى: «مدرس العالم إن كان واجب الوجود فهو المطلوب وإن كان جائز الوجود افتقر إلى مؤثر آخر. فإذا أراد يدور أو يتسلسل فهما باطلان أو ينتهي إلى واجب الوجود وهو المطلوب... فثبت وجوب انتهاء الممكنتات بأسرها إلى الواجب، ومتى ثبت كونه واجباً لذاته ثبت أنه قد تم أزلبي باقٍ أبدى»<sup>(١)</sup>.

وقال سيف الدين الآمدي: «و عند ذلك فإذا أردت أن يقف الأمر على موجود هو مبدأ الموجودات غير مفتقر في وجوده إلى غيره، أو يتسلسل الأمر إلى غير النهاية فإذا كان الأول؛ فهو المطلوب، وإن كان الثاني، فهو الممتنع»<sup>(٢)</sup>.

وقد وافق شيخ الإسلام ابن تيمية على أصل هذا الدليل بأسلوب آخر ونفى التسلسل بأوجه عدة<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد أخبر سيد المرسلين ﷺ بأن وسواس التسلسل هذا مما يورده الشيطان على قلوب الناس حتى يصلهم إلى الخالق الذي ابتدأ الأشياء كلها فيذهب الشيطان ليطرد هذا التسلسل ويمده إلى ما وراء الله. فأرشد فداه أبي وأمي إلى علاج ذلك وقطعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والقرآن فيه شفاء لما في الصدور من الأمراض. والنبي ﷺ علم أن وسواس التسلسل في الفاعل يقع في النفوس، وأنه معلوم الفساد بالضرورة، فأمر عند وروده بالاستعاذه بالله منه والانتهاء عنه»<sup>(٤)</sup>.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرین (٣٤٢-٣٤٤) ب اختصار.

(٢) أبكار الأفكار (١/٢٢٨).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٣٦٣).

(٤) الدرء (٣٠٦/٣)، وانظر (١/٣٦٣).

وَسَلَمَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلَيُسْتَعِدْ بِاللَّهِ وَلِيُتَبَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي مسلم: «فَلَيُقُلُّ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعند أحمد والبزار من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: كَانَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَمَا كَانَ قَبْلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

في فتح الباري: «قال المهلب قوله صريح الإيمان يعني الانقطاع في إخراج الأمر إلى ما لا نهاية له فلا بد عند ذلك من إيجاب خالق لا خالق له»<sup>(٤)</sup>.

وفي الفتح أيضاً: «قال ابن التين لو جاز لمخترع الشيء أن يكون له مخترع لسلسل فلا بد من الانتهاء إلى موجد قديم والقديم من لا يتقدمه شيء ولا يصح عدمه وهو فاعل لا مفعول وهو الله تبارك وتعالى»<sup>(٥)</sup>.

وفي أيضاً: «قال ابن بطال: فإن قال الموسوس: فما المانع أن يخلق الخالق نفسه؟ قيل له: هذا ينقض بعضه بعضاً، لأنك أثبتت خالقاً وأوجبت وجوده، ثم قلت يخلق نفسه، فأوجبت عدمه، والجمع بين كونه موجوداً معدوماً فاسد لتناقضه؛ لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله»<sup>(٦)</sup>.

فالنبي ﷺ قد دلّ على مجتمع العلاج القاطع لهذا الوسواس التسليلي المشكك والمحير.

(١) صحيح البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) مسلم (١٣٤).

(٣) مسنده الإمام أحمد (٩٥٦٢)، ومسند البزار (٨٨٠٠).

(٤) فتح الباري (٢٨ / ٣٤).

(٥) المصدر السابق (٢٨ / ٣٥).

(٦) المصدر السابق (٢٨ / ٣٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالنبي ﷺ أمر بطريقة البرهان حيث يؤمر بها، ودل على مجاميع البراهين التي يرجع إليها غاية نظر النظار، ودل من البراهين على ما هو فوق استنباط النظار، والذي أمر به في دفع هذا الوسواس ليس هو الاستعاذه فقط، بل أمر بالإيمان، والاستعاذه، والانتهاء ولا طريق إلى نيل المطلوب من النجاة إلا بما أمر به لا طريق غير ذلك وهذا يتضح بوجوهه:

الوجه الأول: البرهان الذي يتأصل بالنظر فيه العلم لا بد أن يتنهى إلى مقدمات ضرورية فطرية؛ فإن كل علم ليس بضروري لا بد أن يتنهى إلى علم ضروري، إذ المقدمات النظرية لو أثبتت بمقدمات نظرية دائمًا لزم الدور القبلي، أو التسلسل في المؤشرات في محل له ابتداء، وكلاهما باطل بالضرورة واتفاق العقلاء... فلا بد من علوم بديهية أوليه ينتدؤها الله تعالى في قلب الإنسان وغاية البرهان أن يتنهى إليها، ثم تلك العلوم الضرورية قد يعرض فيها شبّهات ووساوس، مثل الشبهات التي يوردونها على العلوم الحسية والبديهية... والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان؛ لأن غاية البرهان أن يتنهى إليها، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث... وإذا تبين هذا فالوسوسة والشبهة القادحة في العلوم الضرورية لا تزال بالبرهان، بل متى فكر العبد ونظر أزداد ورودها على قلبه، وقد يغلبه الوسواس حتى يعجز عن دفعه ويعجز عن حل الشبهة الواردة فتنقلب حيرة وشكًا، وربما وقلقاً. وهذا إنما يزول بالاستعاذه بالله، فإن الله هو الذي يعيذ العبد ويجيره من الشبهات المضلة، والشهوات المغوية، ولهذا أمر العبد يستهدي ربه في كل صلاة فيقول ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٦] صَرَطَ الَّذِينَ أَعْصَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَفْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَضَالَّنَّ﴾ [١٧] [الفاتحة ٦ - ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْعَدَ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٦] [فصلت: ٣٦].

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ أمر مع الاستعاذه بالانتهاء إعلاماً منه بان هذا السؤال هو نهاية الوسواس فيجب الانتهاء عنه ليس هو من البدائيات التي يزيلها ما بعده، فإذا وصل العبد إلى غاية الغايات، ونهاية النهايات، وجب وقوفه، فإن النفس تطلب سبب كل حادث وأول كل شيء حتى تنتهي إلى الغاية والمتىهى، والغاية والمتىهى من جهة البداية هو الله الخالق الأول، والغاية والمتىهى من جهة النهاية هو الله الباقي الآخر جل وعلا.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ أمر العبد أن يقول: «آمنت بالله ورُسْلِه» وهذا من باب دفع الضد الضار بالضد النافع، فإن قوله: «آمنت بالله ورسليه» يدفع كيد الشيطان ويرد كيده في نحره ويرغمه ويعكس عليه مقاصده من إفساد إيمان المؤمن وإدخال الريب والشك عليه، ويدفع عن قلبه الوسواس الفاسد.

ولذلك فإن اسم الشيطان «الوسواس الخناس»؛ فإنه جاثم على فؤاد ابن آدم فإن ذكر الإنسان الله، خنس هذا الخناس، واختفى وذل، وإذا غفل الإنسان عن ذكر الله تعالى تمكّن منه فوسوس، وأورد عليه الشبهات المضلة، والشهوات المغوية، وذكر الله تعالى يُدفع به ما يضاده من الوسوسة القادحة في العلوم الضرورية الفطرية، فإذا الشيطان رأى قوة المؤمن وثباته على الحق اندفع عنه وإنما رأه قابلاً للشكوك والشبهات، مستجبياً للوسواس والخطرات، غير مستعيد بالله وغير دافع لها، أورد عليه من ذلك ما يعجز عن دفعه.

وكن أيها العبد المؤمن ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْنَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلاقٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ نَذَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

الوجه الرابع: إن كثيراً من العلوم تكون ضرورية فطرية؛ فإذا طلب الإنسان أن يستدل عليها خفيت وقع فيها شك، إما لتطويل المقدمات، وإما لما في ذلك من

خفائها، أو لكلا الأمرين، والإنسان قد يعجز عن إقامة دليل ونظمه، إما لعجزه عن تصوّره وإما لعجزه عن التعبير عنه؛ وإن أمكن نظم الدليل والتعبير عنه فقد يحصل العجز عن إزالة الشبهات المعاشرة له»<sup>(١)</sup>.

ومن أحسن ما يستدل به في هذا الموضوع قوله تعالى في سورة النجم: «وَأَنَّ  
إِلَى رَبِّكَ الْمُتَّهِنِ» [النجم: ٤٢].

فإن هذه الآية العظيمة على وجازتها إلا أنها وضعت الحد لشبهة وسواس التسلسل ورد كيد الشيطان، بالإخبار بتمام العلم أن الله الأول الممتهن إليه بداية فهو الأول فليس قبله شيء وكذلك فإن الله الآخر الممتهن إليه مصيرًا ومرجعًا، فالمسير إليه والمثال والمرجع كما قال: «إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى» [العلق: ٨].

والأئمة المفسرون يذكرون عند هذه الآية معناً لطيفاً.

فقد أسنـد الإمام أبو الحسين البغوي رحـمه الله هـذا الحديث عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضـي الله عنـه عنـ النبي ﷺ في قوله تعالى: «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ  
الْمُتَّهِنِ» قال: «لا فـكرة فيـ الـرب»<sup>(٢)</sup>.

وهـذا مـثـلـ ما روـيـ عنـ أبي هـرـيـرةـ مـرفـوعـاـ: «ـتـفـكـرـواـ فـيـ الـخـلـقـ وـلـاـ تـفـكـرـواـ فـيـ  
الـخـالـقـ فـإـنـهـ لـاـ تـحـيـطـ بـهـ الـفـكـرـةـ»<sup>(٣)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٣٠٨-٣١٩) بتصرف واحتصار.

(٢) تفسير البغوي (٧/٤٣٧)، وعزاه السيوطي في الدر المثور (٧/٦٦٢) للدارقطني في الأفراد.

(٣) هذا الحديث حسنة الشيخ الألباني رحـمه الله في السلسلة الصحيحة (٤/٣٩٥) حـديث رقم (١٧٨٨).

(٤) تفسير البغوي (٧/٤١٧)

فثبت إذاً عقلاً وشرعًا ضرورة أن خالق وموجد العالم وجوده ذاتي لم يستفاد وجوده من غيره. تبارك الله رب العالمين. وهذا إنما يتم بالوصف الثاني مما يجب أن يثبت لخالق العالم وموجده ضرورة عقلاً وشرعًا وهو:

الوصف الثاني: إنه يجب وجوباً ضرورياً عقلاً وشرعًا أن يكون خالق العالم ومنظأه وموجده خارج عن حدود الزمان والمكان، بمعنى - لا يحصره ويحده - حد زماني من بداية كان قبلها عندما أو نهاية ينتهي عندها بزوال أو فناء أو موت تعالى الله الحي القيوم ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وكذلك لا يحصره ويحده ظرف مكانى من فوق وتحت وهو بينهما، فالخالق تعالى فوق العالم وليس فوقه شيء مطلقاً.

وهذا ثبوته ضروري عقلاً وشرعًا وفطرة.

أما عقلاً: فإن العقلاء جميعاً من الفلاسفة وأرباب النظر في الحكمة وأهل الكلام من الإسلاميين وغيرهم، إلا ما شذ من الملاحدة مما لا قيمة له. على: أن الموجودات قسمان:

قسم موجود محدث - مخلوق - وجد عن غيره والزمان متقدم عليه أي له بداية زمنية كان قبلها عندما وحدود وحواضر مكانية وهو بينهما ويدخل في هذا النوع كل المحدثات المخلوقة أي كل ما سوى الله تعالى.

وقسم: موجود قديم - خالق أول: وجوده ذاتي لم يستفاده من غيره، ولم يتقدمه الزمن فلا بداية له كان قبلها عندما فهو أول ليس قبله شيء فأوليته مطلقة وهو الله تعالى. كذلك لا تحصره ولا تحده حدود مكانية هو بينهما تعالى الله رب العالمين.

قال الإمام أبو محمد ابن حزم رحمه الله: «وتفسir هذه الجملة: هو أن الله تعالى إله كل شيء دونه، برهان ذلك: أن العالم بكل ما فيه ذو زمان لم ينفك عنه قط... العالم كله لا ينفك عن زمان والزمان ذو مبدأ وما كان ذو مبدأ فهو محدث... فالعالم كله مخلوق وله خالق لم يزل»<sup>(١)</sup>.

وقال بعد ذلك: « وأنه تعالى لا في مكان ولا في زمان، بل هو تعالى خالق الأزمنة والأمكنة. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ، فَقِيرَكَ﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [السجدة: ٤] والزمان والمكان فهمما مخلوقان، قد كان تعالى دونهما والمكان الحاصل إنما هو للأجسام»<sup>(٢)</sup>.

يجب أن نفهم كلام ابن حزم هذا: « وأن الله تعالى لا في مكان ولا في زمان»، بما تقدم بيانه أي: أن الله تعالى ليس محصوراً بين زمرين فيكون له بداية كان قبلها عدماً، ونهاية من فناء أو موت تعالى الله رب العالمين.

كذلك قوله: «لا في مكان»، فليس الله تعالى محصوراً ولا محدوداً بين مكانين هو بينهما، أو تحوطه وتحصره الأمكانة تعالى الله رب العالمين، بل هو تعالى خارج العالم وفوقه.

وكلام أئمة السنة على هذا المعنى يدور.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ليس من الله شيء محدود، ولا يبلغ علم قدرته أحد، غالب الأشياء كلها بعلمه وقدرته سلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَفَّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وكان الله قبل أن يكون شيء، والله هو الأول

(١) كتاب التوحيد من المحتلي (١/٢٢ - ٢٣) باختصار.

(٢) المصدر السابق (١/٤٩).

وهو الآخر، ولا يبلغ أحد حَدَّ صفاته»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدرامي رحمه الله: «فالله هو العالى على كل شيء، والمحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه، وهو الفعال لما يريد لا يأفل في شيء؛ بل الأشياء كلها تخشع له وتتواضع، والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوق، إذا أفلت أفلت في مخلوق، في عين حمئة، كما قال الله تعالى والله أعلى وأجل، لا يحيط به شيء، ولا يحتوي عليه شيء»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي المصري رحمه الله: «وهو تعالى مستغن عن العرش، وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»<sup>(٣)</sup>.

قال الشارح رحمه الله: «أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ شَيْءٌ﴾ [البروج: ٢٠] ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا [النساء: ١٢٦]. وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وإنما المراد: إحاطة عظمته، وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة. كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخدلة في يد أحدكم».

ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباین لها،

(١) السنة للخلال نقلًا عن درء تعارض العقل والنقل (٣٠ / ٢).

(٢) النقض على المرسي (١ / ٣٥٨).

(٣) شرح الطحاوية (٤ / ٢٥٤).

عالٌ عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف. فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيمة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن»<sup>(١)</sup>.

قال الطحاوي أيضًا: «وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات»<sup>(٢)</sup>.

واعتذر شارح الطحاوية ابن أبي العز رحمه الله عن الإمام الطحاوي في استخدامه بعض هذه العبارات كعبارات الأركان والأعضاء. بأنه أراد الرد على المشبهة كداود الجواربي وأمثاله القائلين: بأنه جسم وإنه جثة وأعضاء وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً<sup>(٣)</sup>.

ثم قال الشارح: «ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك. وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: «إنه في جهة» بهذا الاعتبار، فهو صحيح، معناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عال عليه»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «وقول الشيخ رحمه الله - يعني الطحاوي -: (لا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات) هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيء وفوقه. وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ رحمه الله، لما يأتي في كلامه: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه، فإذا جمع بين كلامه، وهو قوله:

(٢) شرح الطحاوية (١٨٠).

(١) المصدر السابق (٢٥٢).

(٤) المصدر السابق (١٨٤).

(٣) المصدر السابق (١٨١).

(لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) قوله: (محيط بكل شيء وفوقه) علم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء، ولا يحيط به شيء، كما يكون لغيره من المخلوقات، وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء، العالى على كل شيء<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية في الكافية الشافية:

وإذا أتيك "في" <sup>(٢)</sup> "فلا تكن مستوحشاً

ليست تدل على انحصر إلهنا  
إذ أجمع السلف الكرام بأن معن  
سها كمعنى الفوق بالبرهان  
أو أن لفظ سمائه يعني بـ  
نفس العلو المطلق الحقاني  
والرب فيه وليس يحصره من الـ<sup>الـ</sup>  
سمخلوق شيء عز ذو السلطان  
كل الجهات بأسرها عدمية  
في حقه هو فوقها ببيان  
قد بان عنها كلها فهو المحـ<sup>ـ</sup>  
ـط ولا يحاط بخالة الأكمـ<sup>ـ</sup>  
ـان<sup>(٣)</sup>

وقال الإمام الذهبي رحمه الله معلقاً على كلمة الإمام "يزيد بن هارون" رحمة

<sup>١٨٥</sup>) المصدر: السنة.

(٢) أَيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى {أَمْنِئُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الْمُلْكُ: ١١].

(٣) النونية بشرح ابن عيسى (٤١٧/١).

الله: «من زعم أن الرحمن على العرش على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي».

قال الذهبي: «وهذا الذي قاله هو الحق... اللهم إلا أن يكون في بعض الأغياء من يفهم من أن الله في السماء، أو على العرش أنه محيز وأنهما حيز له، وأن العرش محيط به، فكيف ذلك في ذهنه وبفهمه، كما يندر في الشاهد من أي جسم كان، على أي جسم، فهذا حال جاهم، و ما أظن أن أحداً اعتقد ذلك من العامة ولا قاله»<sup>(١)</sup>.

ويتضح ذلك بوجوه من الإيضاح مهمة:

**الوجه الأول:** إنه ماثم في الوجود إلا الخالق والمخلوق، فالله تعالى بأسمائه وصفاته هو الخالق، وكل ما سواه فمخلوق مربوب.

ولو فرض أن الله تعالى تَحْدُّه حدود زمانية ومكانية؛ فإن هذه الحدود قطعاً مخلوقة؛ بناءً على المُسَلَّمة السابقة، فيكون الله تعالى محصوراً بين المخلوقات، وهذا باطل قطعاً عقلاً وشرعًا.

فوجب أن يكون الله تعالى خارج العالم، وخارج حدوده الزمانية والمكانية فهو تعالى «الأول» قبل كل شيء بلا بداية، وهو تعالى «الآخر» بعد كل شيء بلا نهاية، وهو تعالى «الظاهر» المتعالي على كل شيء فليس فوقه شيء، وهو تعالى «الباطن» العالم بكل خفية فليس دونه شيء.

فثبت أن الإيمان بهذه الأسماء العظيمة الأربع ومعرفتها معانيها الجليلة على التمام في غاية الضرورة.

---

(١) كتاب العرش (٢/٢) ٢٠٦-٢٠٧ باختصار.

قال الإمام الطحاوي رحمة الله في العقيدة المشهورة: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء».

قال الشارح رحمة الله: «قول الشيخ: قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر».

والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعا للتسليط، فإننا نشاهد حدوث الحيوان، والنبات، والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِيقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: «وأما لفظ التحييز والجهة فلفظان مجملان ومراد النهاة منهما غير المراد في اللغة المعروفة فإن التحييز اسم فاعل من تحييز فهو متحيز مثل تعوذ وتكبر، وتجبر ونحو ذلك. والحيز ما يحوز الشيء ويحوطه والمفهوم من ذلك في اللغة الظاهرة أن يكون هناك شيء موجود يجوز غيره. ولا ريب أن الخالق مبادر للمخلوقات عال عليها، كما دلت النصوص الإلهية واتفق عليه السلف والأئمة وفطر الله تعالى على ذلك خلقه ودللت عليه الدلائل العقلية».

وإذا كان كذلك، وليس ثمّ موجود إلا خالق ومخلوق، فليس وراء المخلوقات شيء موجود يكون حيزاً لله تعالى، فلا يجوز أن يقال هو متحيز بهذا الاعتبار...»

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢-٥٣).

إِنَّمَا أُرِيدُ بِالْمُتَحِيزِ الْمُبَيِّنِ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ دَلَّتِ النَّصُوصُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِيٌّ عَلَى الْخَلْقِ، بِأَئْنِ مِنْهُمْ، لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِهِمْ... وَكَذَلِكَ لِفَظِ الْجَهَةِ لِفَظِ الْمَجْمَلِ... فَقَوْلُ الْقَائِلِ إِنَّ الْحَقَّ فِي جَهَةِ إِنْ أَرَادَ بِهِ مَا هُوَ مُوْجُودٌ مُبَيِّنٌ لَهُ فَلَا مُوْجُودٌ مُبَيِّنٌ لَهُ إِلَّا مُخْلُوقَاتُهُ إِنَّمَا كَانَ مُبَيِّنًا لِمُخْلُوقَاتِهِ فَكَيْفَ تَكُونُ مُحْتَوِيَّةً عَلَيْهِ؟ وَإِنْ أَرَادَ بِالْجَهَةِ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ فَلَا رِيبٌ أَنَّ اللَّهَ فَوْقُ الْعَالَمِ وَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ وَلَيْسَ فَوْقَ الْمُخْلُوقَاتِ إِلَّا خَالِقُهَا هُوَ الْعَالِيُّ الْأَعْلَى»<sup>(١)</sup>.

الوجه الثاني: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ.

عَنْ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقْلَتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اَقْبِلُوا الْبُشَرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَرْتُنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتِينِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اَقْبِلُوا الْبُشَرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبِلُهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الدُّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي لِفَظِ عَنْدِ الْبَخَارِيِّ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَأَفَادَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْإِسْمَاعِيلِيَّ أَخْرَجَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعَاوِيَةَ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِ بِلِفَظِ: «أَخْبَرْنَا عَنْ أُولَئِكُمْ أَنَّمَا كَانُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/٥٥-٥٩) باختصار، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/٣٨-٣٩).

(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٩١).

(٣) صحيح البخاري رقم (٧٤١٨).

(٤) فتح الباري (٢٨/١٨٩).

وفي لفظ للحديث عند الطبرى في التفسير: «كان الله ولا شيء غيره»<sup>(١)</sup>.  
وأخرج الإمام الترمذى حديث أبي رزين العقيلي قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

هكذا أخرجه الترمذى من طريق الإمام الحافظ يزيد بن هارون الواسطى عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين العقيلي.  
وشيخ الترمذى فيه أحمد بن منيع.

وأخرجه ابن ماجه<sup>(٣)</sup> من نفس الطريق، إلا أن شيخه فيه الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح، ولكن في لفظ ابن ماجه زيادة: «وما ثمَّ خَلَقُ». وفي سنته وكيع بن حدس العقيلي، ذكره ابن حبان في الثقات<sup>(٤)</sup>.  
وباقى رجال السند احتاج بهم مسلم كذا في زوائد البوصيري.  
وألفاظ السلف تدور على هذا.

قال الترمذى رحمه الله: «قال أَحْمَدُ بْنُ مُنْعِيْ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ<sup>(٥)</sup>: الْعَمَاءُ أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءًا»<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير الطبرى (٧/٦) رقم (١٧٩٩٦).

(٢) أخرجه الترمذى (٣١٠٩) وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (١٦١٨٨).

(٣) سنن ابن ماجه حديث رقم (١٨٢).

(٤) الثقات (٤٩٦) ترجمة (٥٩٠٩) ولم يذكر فيه البخارى ولا ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلاً.

(٥) يزيد بن هارون الواسطى أبو خالد، الإمام الحافظ، قال عنه الإمام أَحْمَدُ: كان فقيهاً ما كان أذكاً وأفهمه وأفطنـه، توفي سنة (٢٠٦٥). طبقات الحفاظ للذهبي (٣١٧/١).

(٦) سنن الترمذى (٥/٢٨٨).

- \* قال الإمام التابعي مجاهد رحمة الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، قبل أن يخلق شيئاً<sup>(١)</sup>.
- \* وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله: «وكان الله قبل أن يكون شيء، والله هو الأول وهو الآخر»<sup>(٢)</sup>.
- \* وقال الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: «فقالوا - أي الجهمية - لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء، فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهًا واحداً بجميع صفاتيه»<sup>(٣)</sup>.

وفي العقيدة المشهورة التي كتبها الإمام الحافظ أبو أحمد محمد بن علي ابن محمد الكرجي الملقب بالقصاب<sup>(٤)</sup> لكترة ما قتل من الكفار في الغزو. وهذه العقيدة هي التي كتبها الإمام أبو أحمد القصاب لل الخليفة القادر بالله، وقرأها الخليفة على الناس، وجمع الناس عليها، وأقرتها طوائف أهل السنة في حدود سنة (٤١٣هـ)<sup>(٥)</sup>.

وهذا الاعتقاد هو الذي عرف بالاعتقاد القادرى نسبة لل الخليفة القادر بالله رحمة الله.

قال عنه الذهبي رحمة الله: «وله اعتقاد مشهور، قرئ ببغداد بمشهد من

(١) تفسير الطبرى (٧/٥).

(٢) السنة للخلال، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في الدرء (٢٠/٣٠).

(٣) كتاب الرد على الجهمية (٤٧)، نشر قصي محب الدين الخطيب.

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/٢١٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/٩٣٨).

(٥) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الدرء (٦/٢٥٢).

علمائها وأئمتها وأنه قول أهل السنة والجماعة وفيه أشياء حسنة<sup>(١)</sup>.

وفي هذه العقيدة المشهورة يقول الإمام أبو أحمد القصابي الكرجي رحمة الله: «كان ربنا وحده، ولا شيء معه، ولا مكان يحييه، فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش، لا لحاجة إليه، فاستوى عليه استقرار<sup>(٢)</sup>، كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق»<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب مختصر العلو (٢٦٣).

(٢) تحفظ الإمام الذهبي رحمة الله على هذه اللقطة: «استواء استقرار» وقال: إنه لا فائدة فيها بوجه، انظر مختصر العلو (٢٥٩) وليس لتحفظه وجه عندي لأمور:

١ - أن لفظة «استقرار» لفظة سلفية صحيحة قالها جمّع من الأئمة قبل أبي أحمد الكرجي رحمة الله.

٢ - أن لفظة «استقرار» معناها: أن الله تعالى إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض بنص القرآن الكريم في كل الآيات التي ورد فيها الاستواء على العرش: ﴿إِنَّمَا أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، فالاستواء على العرش صفة فعلية، والله تعالى استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، وصار بعد مستوى على عرشه أبداً فلا يزال مستوا على عرشه أبداً فهذا معنى الاستقرار، فهو استقرار الصفة لله تعالى، فالله تعالى يتزل إلى السماء الدنيا ويأتي يوم القيمة لفصل القضاء بين العباد، وهو لا يزال العلي الأعلى مستوى على عرشه أبداً.

٣ - أن فيه رد على اليهود ومن وافقهم من المشبهة في زعمهم الكافر: أن الله تعالى إنما استراح بعد خلق السموات والأرض، وبين الأئمة أن الله تعالى استوى على عرشه لا من حاجة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ سَبَّا نَحْنُ مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، فالله هو الذي يحمل العرش ويمسك السموات والأرض أن تزولا

(٤) نقل هذا النص شيخ الإسلام ابن تيمية في الدرء (٦/ ٢٥٣)، والذهبـي في مختصر العلو (٢٥٩).

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر القرطبي<sup>(١)</sup> رحمه الله في كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: «وأما احتجاجهم، لو كان في مكان لأشبئ المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكانة، واحتتوه مخلوق، فشيء لا يلزم، ولا معنى له؛ لأنَّه عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك بقياس، ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكانة والسموات والأرض وما بينهما، وهو الباقي بعد كل شيء، وخلق كل شيء لا شريك له... وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح من الدليل: أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بل قد بینا في غير هذا الموضوع: أنه يُمنع أن يكون مع الله شيء من المبدعات قديم بقدمه»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً وهو يرد على المعتزلة استخدامهم للعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد مذهب أهل السنة ويكون لهم مقصد آخر كعبارة «إن الله مترى عن الأمراض» فيفهم منها الناس أنه تعالى مترى عن الأعراض والأسقام والفساد ويكون مرادهم نفي صفاتِه تعالى من العلم والقدرة والكلام.

فقال شيخ الإسلام: «وكذلك إذا قالوا: - أي المعتزلة - «إن الله مترى عن

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣).

(٢) التمهيد (٧/١٣٥-١٣٦)، واعلم أن الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله نقل نظير هذا الكلام الذي قاله ابن عبد البر في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية (١٥٧)، معزواً إلى أبي القاسم خلف بن عبد الله المقرئ الأندلسي، والظاهر أن المقرئ أخذها من ابن عبد البر فإنه شيخه أخذ عنه كثيراً كما في ترجمته في كتاب الصلة لابن بشكوال (١٧٣)، والله أعلم.

(٣) الدرء (٣/١٨).

الحدود والأحياز والجهات» أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات، ولا تحوّزه المصنوعات، وهذا المعنى صحيح<sup>(١)</sup>.

فإذا ثبت هذا وتبيّن أن الله تعالى كان ولم يكن شيء غيره. ثم إنّه تعالى بدأ الخلق، وخلق كل ما سواه تعالى.

فيقال: إنه تعالى: إما أن يكون خلق المخلوقات في ذاته المقدسة. أو أن الله تعالى: هو عين هذه المخلوقات لا غيرها وليس هي غيره. أو أنه تعالى خلق العالم ثم حلَّ فيه. أو أنه تعالى خلق العالم والمخلوقات خارجاً عن ذاته.

هذه قسمة حاصلة لابد من ثبوت واحدٍ منها.

الأول: باطل قطعاً وعقلاً وشرعًا، وهو مذهب فاسد؛ لأنّه يلزم منه أن يكون الباري تعالى محلًا للشروع والأثام والذوات الخبيثة والأذى والقاذورات تعالى الله رب العالمين عن ذلك علوًّا كبيراً.

والثاني: أوغل في البطلان عقلاً وشرعًا من الأول. وهو فاسد أعظم الفساد، وهو مذهب أصحاب وحدة الوجود من الملاحدة كابن عربي الطائي وابن سبعين وابن الفارض وأضرابهم<sup>(٢)</sup>، لأنّه يلزم منه أن يكون كل شيء هو الله؛ البشر والحجر والبهائم، والأذى والقدر والجيف، وكفى بمذهب هذه نتيجته فساداً وكفرًا وضلالاً، تعالى الله وتقديس.

(١) الدرء (٢/١١).

(٢) انظر عن هذا المذهب ورموزه درء التعارض (٦/١٦٣-١٨٣)، وجلاء العينين للألوسي (٩٤-٩١)، وتنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي للبقاعي وغيرها.

والثالث: أيضاً باطل عقلاً وشرعًا، لأنه يلزم منه أن يكون الله الخالق محصوراً أو محدوداً بمخلوقاته تحيط به وتحده من هبنا وهبنا. وكيفذا وقد كان قبلها، وهو العظيم المتعال.

فثبت قطعاً الرابع: وهو أنه تعالى كان ولم يكن شيء غيره وخلق العالم وما فيه من مخلوقات خارجاً عن ذاته لا تحدده ولا تحصره، بل هو فوقها عالٍ عليها وليس في ذاته وليس هي عينه.

وهذا المعنى كونه الظاهر عليها علوًّا، والأول الذي كان قبلها وأوجدها، والآخر الباقي بعدها ووارثها، والباطن العالم بكل شيء منها. فهذه الأسماء الأربع تتحقق هذا المعنى أعظم التحقيق ويظهر أن الإيمان بها والعلم بمعانيها غاية في الضرورة لو كان البشر يعقلون.

وقد ذكر هذا النوع من الدليل المضمن في هذا الوجه جمع من كبار أئمة السنة.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟

فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه، أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لابد له من واحد منها.

١ - إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

٢- وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه، ثم دخل فيهم، كان هذا كفراً أيضاً حين  
زعم أنه دخل في كل مكان وحشًّا قدرٍ رديء.

٣- وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله  
أجمع، وهو قول أهل السنة»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي صاحب «الحيدة» رحمه الله  
في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة»: «وجب على المؤمنين أن يصدقوه ربهم  
باستواه على العرش... فآمنوا بخبره عن الاستواء، ثم ردوا علم كيف استوى إلى  
الله، ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول: إن الله محدود، وقد حوتة الأماكن، إذ  
زعمت في دعوتك أنه في الأماكن، لأنك لا يعقل شيء في مكان إلا والمكان قد  
حواه... ويلزمك أشنع من ذلك، لأنك قلت أقطع مما قالت به النصارى... يلزمك  
أيضاً أن تقول: إنه في أجوف الكلاب والخنازير لأنها أماكن، وعندهك أن الله في  
كل مكان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وحقيقة الأمر في المعنى أن ينظر  
إلى المقصود، فمن اعتقد أن المكان لا يكون إلا ما يفتقر إليه المتمكن، سواء  
كان محاطاً به أو كان تحته فمعلوم أن الله سبحانه ليس في مكان بهذا الاعتبار،  
ومن اعتقد أن العرش هو المكان، وأن الله فوقه، مع غناه عنه، فلا ريب أنه في  
مكان بهذا الاعتبار. فمما يجب نفيه بلا ريب افتقار الله إلى ما سواه، فإنه سبحانه

(١) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة (٥٠-٥١) نشر قصي محب الدين الخطيب.

(٢) نقل هذا النص من كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لعبد العزيز المكي كل من شيخ  
الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/١١٧-١١٨)، وأبن قيم الجوزية  
في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢١٩) وللعلم فإن هذا الكتاب لعبد العزيز المكي غير  
كتابه المشهور «الحيدة».

غنى عن ما سواه، وكل شيء فقير إليه، فلا يجوز أن يوصف بصفة تتضمن افتقاره إلى ما سواه. وأما إثبات النسب والإضافات بينه وبين خلقه، فهذا متفق عليه بين أهل الأرض، وأما علوه على العالم ومبaitته للمخلوقات، فمتفق عليه بين الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة وأئمتها»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: «إنه تعالى إذا كان في الأزل وحده، لم يكن معه شيء موجود، فضلاً عن أن يكون في شيء موجود. ثم لما خلق العالم: فإذا كان مداخلاً للعالم، وإنما يكون مبaitنا له، وإذا امتنع أن يكون هو نفسه داخل العالم، أو دخل العالم فيه، وجب أن يكون مبaitنا له، وإذا كان مبaitنا له، يمكن أن يكون فوق العالم، ويكون ما يسمى حينئذ مكاناً أمراً وجودياً، ولا يلزم أن يكون ملازمًا له، فلا يلزم قدم المخلوقات، ولا افتقاره إلى شيء منها، بل كان مستغنیاً عنها، وما زال مستغنیاً عنها وإن كان عاليًا عليها، فعلوه على العرش وعلى غيره من المخلوقات لا يوجب افتقاره إليه، فإن السماء عالية على الأرض وليس مفترقة إليها»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إذا قال قائل: إنه لو كان في مكان، لم يخل: إنما أن يكون المكان موجوداً، أو معدوماً. قيل له: إذا قيل: إن الشيء في مكان، وفسر المكان بأنه معدوم، كان حقيقته أنه وحده، ليس معه غيره، إذ لا يقول عاقل: إنه في مكان معدوم، وإنه مع هذا في شيء موجود قد أحاط به، أو كان هو فوقه، أو غير ذلك، إذ هذا كله من صفات الموجودات. وإذا كان كذلك فقول القائل. «وإن كان المكان معدوماً استحال حصول الموجود فيه»، إنما يلزم لو قدر أن هناك أمراً يكون الواجب فيه، فأما إذا فسر ذلك بأنه وحده، ليس معه غيره، امتنع أن يقال: إنه في غيره»<sup>(٣)</sup>.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٤٩).

(٢) المصدر السابق (٦/٣١٣-٣١٤).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في الكافية الشافية:  
 والله كان وليس شيء غيره  
 وبري البرية وهي ذو حدثان  
 فسل المعطل هل يراها خارجا  
 عن ذاته أم فيه حلت ذات  
 لابد من إدراهما أو أنها  
 هي عينه ما ثم موجودان  
 ما ثم مخلوق وخالقه وما  
 شيء مغایر هذه الأعيان  
 لابد من احدى ثلاث مالها  
 من رابع خلو عن الروغان  
 إذ ليس يعقل بعد إلا أنه  
 قد حل فيها وهي كالأنسان

\* \* \*

فاحكم على من قال ليس بخارج  
 عنها ولا فيها بحكم بيان  
 بخلافه الوهابيين والإجماع والعق

للصريح وفطرة الرحمن<sup>(١)</sup>

الوجه الثالث<sup>(٢)</sup>: أن الله تعالى هو الأول قبل وجود الخلق ولم يكن شيء  
 غيره. وهو الآخر قبل فناء الخلق. فوصف الآخرية ثابت له قائم به قبل أن يفنى  
 الخلق وينهيهم وهو الظاهر العالى قبل وجود السماء والعرش والخلق أجمعين.

(١) النونية بشرح ابن عيسى (١/٣٨٥).

(٢) تقدم الوجه الثاني (ص ٦٦)، والوجه الأول (ص ٦٤).

بمعنى أنه لم يستفد وصف العلو والظهور بعد أن أوجد الخلق فجعلهم تحته واعتلى بعده عليهم. بل هو الظاهر الأعلى أولاً. وهو تعالى الباطن العالم بأسرار العلوم قبل وجود المعلوم. بل إن جميع صفاته تعالى ثابتة له قائمة به أولاً وأبداً، بمعنى أنه تعالى لم يك قط ممعطلاً عن صفة من صفاته، ثم حدثت له بعد ذلك تعالى الله رب العالمين.

لأن هذا يعني أن الله تعالى كان ناقصاً ثم تكمل بهذه الصفة بعد. وهذا باطل بطلاً عظيماً على قواعد أهل السنة والجماعة.

- فليست آخريته المدلول عليها باسمه «الآخر» متوقفة على إفناء العالم؛  
 بل هو الآخر قبل ذلك.

- وليس وراثته للأرض ومن عليها المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا  
 نَحْنُ الْوَرِثَةُ﴾ [القصص: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا  
 وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠] متوقفة على قيام الساعة ودمار العالم.

- وليس ظاهريته وعلوه المدلول عليها باسمه «الظاهر» و «الأعلى»  
 متوقفة على وجود العرش أو السماء أو العالم.

- وليس باطنيته وعلمه المدلول عليها باسمه «الباطن» متوقفة على  
 وجود المعلوم.

وكلام أئمة السنة وعلمائها على هذا المعنى يدور. وله يقرر ويحرر.

\* قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في رواية حنبل: «لم يزل الله متكلماً  
 عالماً غفوراً»<sup>(١)</sup>.

(١) نقل هذه الرواية ابن تيمية في الدرء (٢/٧٤)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية

(٢) نقاً عن الخلال في السنة.

\* وقال في الرد على الجهمية: «نقول: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء... ونقول: لم يزل بقدرته ونوره... ونقول: إن الله لم يزل بصفاته كلها»<sup>(١)</sup>.

فهذا أحمد رحمة الله ينص على أن الله تعالى لم يزل متصفًا بجميع صفاتة لم يكن قط معطلاً عنها، ونص في رواية حنبل على صفة الكلام والعلم والمغفرة.

فأما الكلام: فإن مقصوده أن الله متصف بهذه الصفة أولاً لم يكن فيما مضى من الأزل معطلاً من صفة الكلام ثم حدث له الكلام؛ لأن هذا يقتضي أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكون حدث له الكلام بمحدث أحدثه فيه وسبب منفصل عنه وهذا غاية في البطلان؛ لأن الله كان ولم يكن شيء غيره أصلاً، ثم يلزم منه أن الله كان ناقصاً وكمله غيره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والامر الثاني: أن يكون أحدث لنفسه الكلام فيكون الكلام مخلوقاً من جنس بقية المخلوقات وهذا باطل بطلاناً عظيماً لأنه يلزم منه لوازم.

١ - يلزم منه أن القرآن الكريم وكلام الله عموماً كله مخلوق وهذه إحدى المعارك العقائدية الكبرى التي خاضها أهل السنة مع الجهمية والمعتزلة لإبطال ذلك وتفنيده وكفر من قال به<sup>(٢)</sup>.

٢ - ويلزم منه أيضاً أن يكون الله تعالى قد تكمل بعض الخلق فيكون المُكَمَّلُ له مِنْ نَفْسِهِ بعضاً مخلوقاته وكفى بهذا بطلاناً.

(١) الرد على الجهمية (٤٦-٤٧) باختصار.

(٢) لم يخل كتاب من كتب عقائد أهل السنة من ذكر مسألة القرآن والرد على من قال بخلقه وتکفیره، انظر على سبيل المثال: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالکائی (٢١٦/٢)، وما بعدها، و(ج) من الفتاوى لابن تيمية كله.

٣- إن هذا يقال نفسه عن صفة الخلق. هل كان الله خالقاً متصفًا بهذه الصفة في الأزل أم كان معطلاً عنها ثم أحدثها وأوجدها في نفسه؟ فهذا يلزم منه الدور المتفق على بطلانه عقلاً.

أما صفة العلم فقد نص أحمد: أن الله تعالى لم يزل عالماً.

وهذا يعني أن الله كان في الأزل عالماً والعلم من لوازم ذاته قديم قدمها، ولا يلزم من وجود العلم وجود المعلوم؛ فإن الله تعالى علم الأمور كلها والأشياء جميعها قبل كونها وعلم الله تعالى على نوعين:

**النوع الأول:** علمه تعالى بنفسه المقدسة، وصفاته الجليلة، فهذا العلم أزلي كما أن نفسه وصفاته أزلية. ثم هذا النوع لا تأثير له في وجود معلومه<sup>(١)</sup>.

**والنوع الثاني:** علمه تعالى بمخلوقاته، فعلم الله تعالى يتعلق بالمخلوقات من ثلاثة جهات:

\* علمه بها قبل كونها، وهذا علم أزلي لم يأت على الله قط زمان كان غير عالم بشيء منها.

\* وعلمه بها وقت إيجادها وخلقها. فإن خلق المخلوقات مشروط بالعلم بها. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، فالعلم بها شرط في وجودها؛ لكن ليس العلم وحده هو العلة في وجودها؛ بل لابد مع العلم من الإرادة والقدرة.

\* وعلمه بها كائنة موجودة.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/٣٩٠-٣٩١-٣٩٤-٣٩٦-٣٩٧-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤٢٢-٤١٨) و (١٠/١٥-١٦-١٧).

وكذلك قوله - أى الإمام أحمد - : «لم يزل غفوراً» مع أن المغفرة تقتضي وجود عباد مكلفين وبعثة أنبياء وتشريع شرائع فتقع المخالفات والمعاصي فيغفر الغفور الرحيم لعباده لمن شاء منهم وأما قبل وجود العباد المكلفين فهو متصرف بصفة المغفرة قائمة به لم يك معطلاً عنها. حتى قبل وجود العباد المكلفين المغفور لهم.

\* قال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله: «ويجب أن نعتقد أن الله عز اسمه قد ينادي جميع أسمائه وصفاته، لا يجوز له اسم حادث، ولا صفة حادثة، كان خالقاً ولا مخلوق، ورباً ولا مربوب، ومالكاً ولا مملوك، كما هو الآخر قبل فناء العالم، والوارث قبل فناء الخلق، والباعث قبل مجيء البعث، ومالك يوم الدين قبل مجيء يوم القيمة... فلا يجوز أن يحدث له اسم بحدوث فعله... بل هي صفات له أزلية، لم ينزل جل ذكره، ولا يزال موصوفاً بما وصف به نفسه، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء علیم»<sup>(١)</sup>.

\* قال الإمام أبو جعفر الطحاوي المصري رحمه الله: «ما زال بصفاته قد ياماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفتة، كما كان بصفاته أزلية، كذلك لا يزال عليها أبداً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداثه البرية استفاد اسم (الباري)، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محبي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ذلك بأنه على كل شيء قادر وكل شيء إليه، فغير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء **﴿لَيَسَ﴾**

(١) شرح السنة (١/١٧٨-١٨٠) باختصار يسير.

كَمِثْلِهِ، شَفَعَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشُورى: ١١].

٣- ومن البراهين العظيمة الدالة على وجود الله الخالق تعالى: دليل الحياة والموت.

أفرد القرآن العظيم الحديث عن هذين الأمرين العظيمين: الحياة والموت، وجعلهما من أعظم البراهين الدالة على وجود الخالق العظيم، خالق الحياة وضدها. ليدل على عظيم قدرته ومتين قوته وسعة علمه وحكمته.

ما هي الحياة: ليست الحياة هي حركة الكائن الحي ونشاطه وسمعه وبصره وإدراكه ولذته وشعوره فهذه كلها مظاهر الحياة وليس هي الحياة.

إن الحياة: هي نفحة من روح الله الخالق العليم في ذلك الطين اللازم البارد، فصار بهذه النفحة كائناً إنساناً سميغاً بصيراً، وبسلب هذه النفحة الروحية من ذلك الجسد يموت فوراً ويصبح جثة باردة لا حراك بها ثم يعود إلى أصله الأول التراب.

قال الله تعالى: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِتَبَلُّوكُمْ إِنَّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً وَهُوَ أَمْرِيزُ الْغَفُورِ ﴿٢﴾ [الملك: ١-٢].

قال الإمام القرطبي: «قال العلماء: الموت ليس بعدم محسن ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان دليلاً الموت والحياة من أعظم الأدلة على ثبوت الإيمان بالله الخالق العظيم، عظيم قدرته جل وعلا.

(١) العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز (٦٨-٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٥).

ولذلك كان طلب كبار أنبياء الله تعالى حصول هذا الدليل ورؤيته، ليقر في قلوبهم أعظم القرار، وطمئن به قلوبهم.

هذانبي الله ورسوله وصفته وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يطلب رؤية هذا الدليل، ليحصل منه على أعلى درجات اليقين.

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْفِي كَيْفَ تُحِقِّ الْمَوْقَعَ قَالَ أَوْلَئِنَّ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَّ وَلَكِنْ لِيَتَمَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرِّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَبَّانِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [البقرة: ٢٦٠].

قال الإمام قتادة رحمه الله: «أمر الله نبيه إبراهيم أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبال،... ثم دعاهن فأتيته سعيًا على أرجلهن»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الذي حصل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو رؤيته عيانًا تلك اللحوم الممزقة والعظام المفرقة لتلك الطيور الأربعة تعود حالها الأول طيورًا كاملة الخلقة دبت فيها الحياة من جديد. فيحصل له تمام اليقين بعظيم قدرة الخالق العليم.

ومثله في البرهان والدلالة على قدرة الخالق العليم. تعالى: ما حصل لنبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام. من بعث الله تعالى الحياة في الموات والجماد على يديه. وبنفسه منه تكون برهاناً عياناً له وآية بينة لغيره.

قال تعالى: «وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْرِ كَهْيَةً أَطْلَقْتِهِنَّ بِإِذْنِي فَتَسْنَفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُثْرِيَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْقَعَ بِإِذْنِي» [سورة المائدة: ١١٠].

(١) ذكره الطبرى فى تفسيره (٣/٥٧-٥٨).

فالخالق هو الله وباعت الحياة في الجماد والموات هو الله، هذا فعله الذي لا يفعله غيره أجراه الله على يد المسيح عليه السلام وبنفسه تكون معجزة له وآية بيته لبني إسرائيل تدل على أنه رسول حق من عند الله تعالى.

ولذلك قال المسيح لهم كما في القرآن الكريم: «وَرَسُولاً إِلَيْنَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ أَنِّي  
قَدْ جَنَحْتُمْ إِنَّا يَعْلَمُ مِنْ رَبِّكُمْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ لَكُمْ حُكْمُ الْأَنْفُسِ كَهْنَةُ الظَّاهِرِيِّ فَانْفُسُكُمْ فِيهِ فَيَكُونُ  
طَهِيرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَنْزَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَنْتَيَ الْمَوْقَنْ يَأْذِنُ اللَّهُ» [آل عمران: ٤٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحر، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأ بصار وحيرت كل سحاري، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن هذا البرهان العظيم إنما يتوجه دليلاً عظيماً قاطعاً يدل البشر جميعاً على خالقهم ومصورهم وباعت الحياة فيهم وفي غيرهم من أنواع الحيوان. من جهتين اثنين:

الأولى: رؤية البشر عياناً تَوَلَّدُ الحياة في الموات وتتدفقها في أرجاء العالم، وهذا يقع السؤال العظيم: من أنشأ هذه الحياة وبثها في هذه الكائنات العظيمة؟ إنه

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٤٩/٢)، وانظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣-٥٣).

بلا شك ولا تردد: الله الخالق العليم.

﴿أَلَّا هُنَّ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَنْوَاتًا فَأَخْيَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِيطُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

قال الإمام الطبرى رحمه الله: «فمعنى الكلام إذاً: كيف تكفرون بالله وكتسم نطفاً في أصلاب آبائكم فجعلكم بشرًا أحياء، ثم يميتكم، ثم هو محييكم بعد ذلك وياעתكم يوم الحشر للثواب والعقاب، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم في الأرض من معايشكم وأدلةكم على وحدانية ربكم»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى محتاجاً على وجوده وقدرته، وأنه الخالق المتصرف في عباده: ﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره! ﴿وَكُنْتُمْ أَنْوَاتًا فَأَخْيَكُمْ﴾ أي: وقد كنتم عدماً فآخر جكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾<sup>(٢)</sup> [١].

فخلق الله الإنسان من طين بارد لا حياة فيه، ثم من نطفة مهينة لا حرقة ولا حياة فيها إلى أن ينفح الله الخالق العليم من روحه فيها فيصبح إنساناً حياً متحركاً ثم يُدرّجه في أطوار الخلق من جنين إلى طفل إلى شاب إلىشيخ إلى هرم. ثم يسلب منه هذه الحياة وينزع منه هذه الروح فيعود إلى أصله الجامد البارد: التراب، ثم هذه الحياة تدب في كل أوصال وأجزاء هذا العالم.

(١) تفسير الطبرى (١/ ٢٢٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٠).

هذا من البراهين العظيمة الدالة على الخالق العظيم المدبر الحق جل وعلا، وهذا البرهان استخدمه نبي الله نوح عليه السلام وهو أول رسّل الله إلى أهل الأرض لما وقع الشرك والكفر بالله تعالى.

قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا ﴾١٤﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ﴾١٥﴿ أَرْتَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا ﴾١٦﴿ وَجَعَلَ الْقَرَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾١٧﴿ وَاللَّهُ أَنْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَنَانًا ﴾١٨﴿ تُمْ يُسَدِّدُوكُمْ فِيهَا وَتُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾١٩﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ إِسَاطًا ﴾٢٠﴿ لِتَسْتَلِكُوا مِنْهَا سُبْلًا فِي جَابِجاً ﴾٢١﴾ [سورة نوح: ١٣ - ٢٠].

هذا استدلال حكيم وبرهان عظيم أورده نبي الله نوح على قومه، ونوح عليه الصلاة والسلام أول رسّل الله إلى أهل الأرض لما وقع الشرك بالله تعالى، وكفر قوم نوح باتخاذهم من دون الله الخالق العظيم أوثاناً وأصناماً فجعلوها بزعمهم آلهة. مُدَبِّرة.

وكون نوح عليه السلام أول رسّل الله إلى أهل الأرض هذا يعني أن هذه المحاورة والمناظرة مع قومه أول مناظرة ومحاورة تقع فتكون هذه الحجج التي أوردها نبي الله ورسوله نوح عليه السلام من أول الحجج وأعظمها، وأوضحتها وأجلتها، وأقطعها للمنازع المجادل بالباطل. وأفحمتها للكفار، وألزمتها للحجّة عليهم.

وهو استدلال بالحياة. وكيف أوجدها الخالق العظيم في تلك النطف المهينة. وكيف نقلَ الله الخالق هذا الإنسان في هذه الأطوار من تراب جامد بارد إلى طين لازب إلى نطفة مهينة إلى مضغة لحم. ثم نفخ الله الخالق العليم من روحه فيها فإذا هو كائن حي. تدب الحياة في جميع أوصاله وخلاليا جسمه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَنْشَأْجُ تَتَلَبَّهُ فَجَعَلْنَاهُ سَيِّئًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

ومعنى أمشاج: أي أخلاط: يجتمع ماء الرجل وماء المرأة ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال حتى يصبح حيَا سميأ بصيراً.

ثم انتقل نحو عليه السلام إلى الاستدلال بحركة الحياة ودببيها في كل أوصال هذا العالم العلوي والسفلي. كل بحسبه وكل على حاله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وكل هذا مما ينبههم به نحو، عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويؤود ولا يشرك به أحد؛ لأنَّه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير»<sup>(١)</sup>.

أما الجهة الثانية: فهو عجز البشر التام وانقطاعهم المحسن عن أن يوجدوا جنس الحياة أو شيئاً منها في الجمامد، فيتحولوا جماداً إلى كائن حي، أو أن يعيدوا الحياة في جسم موات بعد نزعها منه. فإذا لم تفعلوا أيها الناس ولن تفعلوا العجز لكم التام فآمنوا حقاً وصدقَا بالله الخالق العليم منشئ الحياة وباعثها في الأجساد، وجعل الروح التي بها تكون الحياة سراً عظيماً من أسرار قدرته وأدلة عظمته.

وقد تحدى الله العظيم البشر جميعاً أن يوجدوا الحياة وأن يُنشئوا كائناً حيَا ولو كان ذبابة واحدة، أو بعوضة حقيرة واحدة.

والبشر جميعاً مقررون بعجزهم وانقطاعهم عن ذلك.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُ فَاسْتَعِمُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُكْرَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَهِمُ الْذُكْرَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنِقُدُوهُ مِنْهُ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٨٩/٧).

**صَعْفُ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبُ** ﴿٧﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لِقَوْيٍ عَزِيزٌ ﴿٧﴾

[٧٣ - ٧٤] سو،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحققرها وللهذا قال: ﴿صَعُّكَ الْطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ..﴾ ثم قال: ﴿مَا كَدَرُوا اللَّهُ حَقٌّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها»<sup>(1)</sup>.

هذا تحدي للبشر وتعجيز لهم أن يوجدوا الحياة في أقل وأذل قدر منها ولو ذباباً واحدة. والتبيّن: اعتراف البشر جمِيعاً بالعجز. فصار الإيمان بالله الخالق المنشئ لهذه الحياة في غاية الضرورة.

وفي آية أخرى يتحدى اللهُ الخالقُ البشَّرَ ويكشف عجزهم عن أن يعيدوا الحياة إلى جسم كانت تعمره فسلبت ونزعـت منه. فمن يملك إلى ذلك سبيلاً؟!

قال الله تعالى: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلْقُومُ ﴿٤٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ نَظَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ  
مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا يُبَشِّرُونَ ﴿٤٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَبْرَ مَدِينَ ﴿٤٦﴾ تَرْجُونَاهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴿٤٧﴾» [الواقعة: ٨٣-٨٧].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٤٢/٥).

إنها رحلة لها بداية كنا نحن البشر قبلها عدماً لا شيء، فأنشأناه وابتداً إلينا ربنا وخالقنا، وبعث فينا الحياة إلى أمد محدود معلوم ثم يقبضها ربنا وخالقنا عندها نعود موائنا.

قال تعالى: «لَهُنَّ حَقْنَتُكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَمِيمُ مَا تُمْنَعُونَ ٥٨ إِنَّمَا تَحْلُقُونَهُ أَمْ لَهُنْ لَخَلِيقُونَ ٥٩ لَمْ يَنْجُوا بِمَكْرُهٍ الْمَوْتَ وَمَا لَهُنْ بِسَبُوقُينَ ٦٠ عَلَيْكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَلَا يُنْشِئُكُمْ لَهُنْ لَخَلِيقُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَيْنَتِ النَّسَاءُ الْأُولَى فَلَوْلَا نَذَرُوكُنَّ ٦٢ [الواقعة: ٥٧-٦٢].

قال الإمام ابن كثير رحمة الله: «قد علمتم أن الله أنساكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة - وهي البداية - قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى»<sup>(١)</sup>.

ثم أعجز الله تعالى هؤلاء البشر خصوصاً المكذبين الكافرين، والملحدين  
الضالين، أعجزهم أن يوقفوا الموت، ويردوا الحياة إلى جسم بعد أن نزعنا منه.  
إنهم عاجزون مدحورون.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلْعُومَ [٤٦] وَأَسْتَدِ جَيْنِزِ نَظَرُونَ [٤٧] وَخَنْ أَفْرُبِ إِلَيْهِ  
مِنْكُمْ وَلَنْكُنْ لَا يُنْصَرُونَ [٤٨] فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَبْرَ مَدِينَنَ [٤٩] تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ [٥٠]﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

وحقيقة هذا التحدي والتعجيز: أن الله تعالى يقول للبشر جميّعاً: إذا كنتم غير مؤمنين بالله تعالى الخالق العظيم ولا موقنين بأنه هو واهب الحياة ومنشأها. ولا معترفين بأنكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء. فأوقفوا موت

هذا المحضر. وأرجعوا الحياة إليه وأنتم تنظرون إليه وهو يموت ولا تملكون له شيئاً.

لقد شكل الموت وحقيقةه لغزاً محيراً للملحدين والكافرين والمجادلين في الله رب العالمين، فما هي الحياة؟ وما هي حقيقة الموت؟  
 يقف هؤلاء الملحدون عاجزون متحيرون أمام هذا الموت المهيب الذي قهر الخالق العظيم الحي القيوم به رقاب الخلائق.

يعترف أحدهم بهذا، يقول «بيليز بسكال»<sup>(١)</sup>: «إنني في حالة جهل تام بكل شيء، فكل ما أعرفه هو: أنني لا بد أن أموت يوماً ما، ولكنني أجهل كل الجهل لهذا الموت الذي لا أستطيع تجنبه»<sup>(٢)</sup>.

هذا اعتراف بالجهل التام بحقيقة الموت المبني على الجهل التام بحقيقة الحياة.

وصدق الله العظيم: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِلرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيشُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وهذا فيلسوف آخر شكل الموت له لغزاً محيراً فأفني حياته محاولاً عبر الجدل الفلسفي الوجودي أن يصل إلى نتيجة ولكن الحيرة والاضطراب هي مصيره.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي<sup>(٣)</sup>: «إن الموت حادث كلي كلياً مطلقاً من

(١) فيلسوف ورياضي فزيائي فرنسي شهير توفي سنة (١٦٦٢ م).

(٢) نقلأ عن كتاب: الموت والعقربة لعبد الرحمن بدوي (٦).

(٣) فيلسوف وجودي مصرى تبنى الإلحاد وإنكار وجود الله وقضى حياته البائسة في هذه الجدلية من مؤلفاته: «الموت والعقربة»، «ومشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة». انظر عنه كتابه: «سيرة حياتي»، وكتاب عبد الرحمن بدوي ومذهبة الفلسفى للدكتور

ناحية المعرفة جزئية مطلقة من ناحية أخرى، فالكل فانون ولكن كلاً منا يموت وحده، ولابد أن يموت هو نفسه، ولا يمكن أن يموت واحد آخر بديلاً عنه»<sup>(١)</sup>.

صدق بدوي - وهو كذوب - في قوله: «فالكل فانون»، فإن هذا أمر وحكم رب العالمين الذي لا يستطيع لا كبار الكافرين ولا عتاة الملحدين التصرف أمامه بشيء، وصدق الله العظيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٌ﴾ [الرّحْمَن: ٢٦-٢٧].

والعجب أن بدوي سبقه فيلسوف من أشد عتاة الملحدين وأقبحهم كفراً وفساداً وإلحاداً، وهو الفيلسوف الشهير: «فردرك نيتše»<sup>(٢)</sup>.

الذي أعلن بكل إلحاد وصفاقه: «موت الله»، ليشر الناس بالإنسان الآله السوبر المجاوز للحد في إنسانيته.

هذا الذي أعلن «موت الله» تعالى الله رب العالمين وتقديره، قضى الله تعالى عليه فأصابه الجنون وتليف خلايا المخ فأودع المصحة العقلية ثم حبس في غرفة ضيقه يعني الجنون وانفصام الشخصية والموت البطيء مدة (١٢) سنة كاملة، ثم يموت ولا يتبعه لموته أحد إلا بعد أيام جيفة متننة، يلقى في قبر مظلم لا يعلم به أحد، ولا يفقده أحد<sup>(٣)</sup>.

عبد القادر بن محمد الغامدي.

(١) كتاب: الموت والعبرية (٧).

(٢) فيلسوف ألماني ملحد أشد الإلحاد وأقبحه من أشهر كتبه الإلحادية كتاب: «هكذا تكلم زرادشت»، وكتاب: «غروب الآلهة» وغيرها، توفي سنة ١٩٠٠ م، موسوعة أعلام الفلسفه (٥١٢ / ٢).

(٣) انظر قصة نهاية البائسة في كتاب: «هكذا تكلم نيشه» (١٣-١٦) لسمير عبده.

وهذا ما حصل لعبد الرحمن بدوي، فقد قضى آخر سنوات حياته وحيداً فريداً في غرفة ضيقة في فندق باريس يعاني مرض الاكتتاب الشديد الذي يسمى القاتل البطيء، ثم تصيبه جلطة فيسقط في الطريق المظلم حتى تنبه له بعض المارة ليحملوه إلى مصحة فرنسية ثم إلى مصر ولا يستجيب جسمه لأي علاج نظرًا للحالة الاكتتاب الشديدة التي يعانيها ليموت جيفة راغمة بسيف القدر الإلهي العظيم<sup>(١)</sup>، «كُلُّ نَفْسٍ ذَآيِقَةٌ لِّمَوْتٍ» [سورة آل عمران: ١٨٥].

وما أغني عنه ولا عن غيره إلحاده ولا كفره ولا كبره.

ونخت هذا البرهان العظيم بما بدأنا به من قول الحق العظيم: «بَتَرَكَ الَّذِي  
يَبْدِئُ النَّلَكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرٌ ① اللَّهُ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِتَبَلُّوكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً وَهُوَ أَعْزَيزُ  
الْغَفُورِ ②» [سورة الملك: ٢-١]، صدق الله العظيم.

(٤) ومن البراهين العظيمة الدالة على وجود الله رب العالمين وربوبيته للخالقين أجمعين: دليل العناية والرعاية للخالق في وجودها وفي أرزاقها وفي سيرها وفي حفظها وغير ذلك من أنواع نشاطها ومقتضيات وجودها.

افتتح الله تعالى كتابه المبين بفاتحة الكتاب. وافتتح فاتحة الكتاب بحمده وشكراً والثناء عليه. ومقتضى حمدته كونه هو وحده رب هذه الخالقين كلها، فقال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ③» [سورة الفاتحة: ٢].

قال الإمام أبو جعفر الطبرى رحمة الله: «الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعدها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح

(١) انظر عن نهايته كتاب: «عبد الرحمن بدوي ومذهبة الفلسفى» د. عبد القادر الغامدي (٣٣-٣٤).

أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذائهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهما إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وأخراً<sup>(١)</sup>.

ومن معاني كلمة «رب» في اللغة: القائم على شيء المعني به المصلح له، فالله تعالى هو القائم على تدبير أمر الخلائق المصلح لهم. الموصى لهم أرزاقهم. الذي أحسن كل شيء خلقه وصنع كل شيء فأتقنه. وخلق كل شيء فقدرها تقديرًا.

هذا عرض قرآنی ودعوة للخلق إلى أن يعرفوا ربهم الحق ويعبدوه ويؤمنوا به حقاً وصدقًا لتوقف وجودهم وأرزاقهم ومنافعهم عليه فهي منه وإليه.

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾١٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَحَ بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْنَعُلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾١٧﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانيةألوهيته؛ بأنه تعالى هو المنعم على عباده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فرasha، أي: مهدًا كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا تَحْفَظُ طَّا وَهُمْ عَنِ إِبَّانَهَا مُعْرِضُونَ ﴾٢٢﴾ [الأنبياء: ٣٢] وأنزل لهم من السماء ماء - والمراد به السحاب هاهنا - في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد؛ رزقا لهم

(١) تفسير الطبرى (١/١٣٧).

ولأنعامهم...»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها وألوانها وطبعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها، وحكمته وعلمه وإنقاذه وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدليل على وجود رب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة تدل على البعير، وإن الأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟ وحكى فخر الدين<sup>(٢)</sup> عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنعمات، وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سأله عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينه في البحر موترة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلاني وما اشتغلت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع!! فبعث القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي: أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد، يأكله الدود فيخرج منه الإبريم، وتأكله النحله فيخرج منه العسل، وتأكله

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٩٦/١).

(٢) المقصود به فخر الدين الرازي.

الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين  
أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز،  
فيينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سماع بصير ذو شكل حسن  
وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسائل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع الملك
عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك
على قضيب الزير جد شاهدات	بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز:

وقال آخرون: من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغرى المنيرة من النجوم السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في نفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقرر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُودٌ يُضْعَفُ وَيُحُرَّمُ مُخْتَلِفُ الْوَهَابَاتِ وَغَرَبَاتِ شُوُودٍ﴾ [٧] وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَافِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفُ الْوَهَابَاتِ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَوْا [٨] [فاطر: ٢٧، ٢٨].

وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرًا في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات والطعوم والأرياح والأشكال والألوان مع اتحاد

طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات الدالة على هذا المقام كثيرة جداً<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن عبد الكريم الشهري<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «إن الله تعالى عَرَفَ العباد على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناهج النظر في آيات مخلوقاته، فابتداهم بما هم عليه من الفطرة في أنفسهم وهو الاحتياج إلى خالق خلقهم، وأنشأهم فلا يسوغ لهم الإنكار، ثم رقاهم إلى الفكرة في خلق السموات والأرض إذ جعلت لهم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وإذا كانوا يحتاجون إلى موضع يقلهم وبناء يظلهم، ثم رقاهم إلى النظر في إنزال الماء من السماء ليخرج به من الثمرات رزقاً لهم إذ كانوا يحتاجون إلى غذاء يقويهـم، فعرفوا أنهم محتاجون بالفطرة إلى خالق أنشأهم أولاً ورزاق أبقاهم ثانياً، وهذا الاحتياج لهم فطرة يعلمونها ضرورة، والمحاج يستدعي محتاجاً إليه، والمحاج إلى يجب أن يكون غنياً مطلقاً غير محتاج إلى غيره، والغني المطلق لا يكون إلا واحداً أحداً صمدأً يستغني به العباد، ولا يُستغنـي عنه أبداً، فقرر لهم التوحيد ونفي الأنداد عنه فقال احتاجاً عليهم ﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وهكذا تعريف الأنبياء عليهم السلام: يخبرون عن الفطرة ويحتاجون بالفطرة، ويردون الناس الخارجين عن الفطرة إلى أصل الفطرة فخاب وخسر من قال: إن الله ما بعث الأنبياء بالتوحيد ونفي الأنداد إذ بعثوا بإثبات حق الله تعالى، وحقه تعالى التوحيد ونفي الأنداد<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٠٠ - ٣٠٢).

(٢) متكلم شهير توفي سنة (٤٠٨هـ) من أشهر مؤلفاته كتاب: الملل والنحل، وكتاب: نهاية الإقدام في علم الكلام، وغيرها.

(٣) تفسير الشهري الثاني المسمى: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار (١ / ٢٠٨).

(٥) ومن البراهين العظيمة الدالة على الله تعالى وربوبيته وألوهيته وعظمته  
وحاجة العباد الضرورية إليه.  
دليل الفقر وال الحاجة والنائبة وهذا تقريره.

[١] الإنسان من حيث هو إنسان هو في الحقيقة عبد ضعيف، فقير، والفقير  
وصف دائم له. لازم له. لا ينفك عنه أبداً.

فالإنسان فقير محتاج باستمرار. محتاج إلى طعام يأكله، وماء يشربه، وهواء  
يتنفسه. ولباس يلبسه. ودواء يتداوى به. وبيت يسكنه. ودابة ووسيلة تُبلغه. وما  
يقيه الحر. عند اشتداد الحر. وما يقيه البرد عند اشتداد البرد. ونحو ذلك.

والقرآن يقرر ذلك ويبيّن أن الوصف المنطبق على الإنسان انطباق الحد على  
المحدود. هو وصف الفقر وال الحاجة. المستمرة:

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[فاطر ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد ٣٨].

وقال تعالى عن نبيه وكلمه موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ  
فَقَرِيرٌ﴾ [القصص ٢٤].

فالناس جمِيعاً بل الخلق كلهم هم من هذه الناحية موصوفون بوصف  
«العبودية»، فهم عبيد مربوبون مقهورون لا يخرجون عن الناموس الكوني القدري  
الذي جعله لهم خالقهم وبارئهم العظيم.

وهذه هي العبودية العامة الظاهرة الشاملة، وتحرير ذلك: أن العبد يُراد به  
المعبد، الذي عَبَدَه الله. فذَلِّه

وبهذا الاعتبار: فالمخلوقون كلهم عباد الله: الأبرار منهم والفجars، المؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار. إذ هو ربهم كلهم وملكيتهم، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته، وكلماته التامات التي لا يتجاوزها بُرٌّ ولا فاجر، فما شاء كان، وإن لم يشاوروا، وما شاؤوا إن لم يشأ لهم يكن.

كما قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُدُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِنَّهُ يُنْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

فهو سبحانه رب العالمين، وحالاتهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلب قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق لهم إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه، سواء علموا بذلك أو جهلوه.

لكن أهل الإيمان منهم عرفوا بذلك، وأمنوا به، بخلاف من كان جاهلاً بذلك، أو جاحداً له، مستكبراً على ربه، لا يقرُّ ولا يخضع طوعاً له، مع علمه بأن الله ربه وحالقه، فالمعرفة بالحق إذا كان مع الاستكبار عن قبوله والجحود له، كان عذاباً على صاحبه، كما قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ طُلُّمَا وَطَلُّرَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال تعالى ﴿مَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَئِنْ الظَّالِمِينَ يَبَايِنُوكَ اللَّهُ يَجْحُدُونَ﴾ <sup>(١)</sup> [الأنعام: ٣٢].

قال الإمام أبو جعفر الطبرى رحمه الله: "أغير دين الله يبغون. يقول: أغير طاعة الله تلمسون وتريدون. وله أسلم من في السموات والأرض. يقول: وله خشع من في السموات والأرض فخضع له بالعبودية. وأقر له بإقرار الربوبية"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٧-٤٨) المكتب الإسلامي.

(٢) تفسير الطبرى (٣/٣٣٤).

وقال الله تعالى ﴿إِن كُلُّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْبُدُنِي عَبْدًا﴾ [٢٣] لَقَدْ أَحْسَنُهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَّا﴾ [٩٤-٩٣] [مريم].

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾ [الأعراف ١٩٤].

"فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً، لأن المخلوقات جميعها مُتباعدة له التبعد العام، سواء أقر المقرُ بذلك أو أنكره، وهم مدینون له مدبرون، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً، ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدرة وقضاءه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين وملكيتهم، يصرفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلهم، وبارئهم ومصوّرهم. وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور، فقير محتاج معيّد مقهور، وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصوّر وهو وإن كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب والمقدّر له، وهو مفتقر إليه كافتقار هذا، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضر، بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه. وإلى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويمانعه. وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه، ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناوئه ويعارضه»<sup>(١)</sup>.

[٢] ولأن العباد والخلق جميعاً فقراء إلى الله. فالله هو رازقهم ومعافيهم كما كان هو خالقهم وبارئهم.

تكلل بأرزاقهم ومعاشهم. وأودع الأرض أقواتها سواء للسائلين الطالبين.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة ٢٩].

(١) رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١٨-١١٧) المكتب الإسلامي.

وقال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَشَاءَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالى ﴿ أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَأْمُرُهُ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ① وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْفَسَ وَالْقَمَرَ دَاهِيْنَ ② وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ وَالنَّهَارَ ③ وَمَا تَنْكِمُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَمْدُوا يَعْمَلَ اللَّهُ لَا يَحْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ④ ﴾ [إِبرَاهِيم: ٣٤-٣٢].

وقال تعالى ﴿ وَزَرَّنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَرِّكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْمَصِيدِ ⑤ وَأَنْخَلَ بَايْسَقَتِ هَامَ طَلْعَ نَضِيدٍ ⑥ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتَانًا كَذَلِكَ الْمُرْقُوفُ ⑦ ﴾ [ق: ١١-٩].

وقال تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ⑧ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُبِينٌ ⑨ وَالْأَنْثَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دُفَّةٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑩ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبَحُونَ وَحِينَ تَرْحَوْنَ ⑪ وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِنْ بَلَدُكُمْ تَكُونُوا بَنَاقِبُهُ إِلَّا يُشِيقُ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑫ وَالْفَيْلَ وَالْبَيْلَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَرِيزَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⑬ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ النَّسِيلِ وَمِنْهَا جَاءَتْ رَوْ شَاءَ هَذِهِكُمْ أَمْبَعِيْكَ ⑭ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونٌ ⑮ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَغْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ⑯ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَيْلَلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ يَأْمُرُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً لِقَوْمٍ يَقْلُوْنَ ⑰ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِفًا أَوْنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ⑱ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ إِنْ أَكْلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيْا وَسَسْخِرُوا مِنْهُ

حِلْيَةً تَلْبِسُهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبَغُوا مِنْ فَصْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ١٤ وَاللَّقَنُ فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَا وَسُبُّكَا لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ  
وَعَلَمْتُ وَبِالْتَّجَمِ هُمْ يَهَدُونَ ١٥ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٦  
وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوصُهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٧ [النَّحْل ١٨-٥].

وقال تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٦﴾ [هود: ٦].

[٣] فإذا عرفنا هذا، فإن الإنسان إذن أمام طريقين لا ثالث لهما:

- إِنما أن يختار العبودية لله رب العالمين، الذي خلقه بعد العدم من طين،  
وركب فيه الحواس، وشق سمعه وبصره، وجعله عاقلاً مدركاً، وقدر له الأقدار،  
وجعل مصيره في يديه، والعاقبة بعد حين إليه.

- وإنما أن يرفض الإنسان العبودية لله رب العالمين، فهنا يتredi ويرتكس ويقع  
لا محالة في عبوديات مهينة ذليلة لغير الله مولاه وخالقه تستعبده حاجاته ومطامعه،  
وأهواؤه وشهواته وزنواته، فتستعبده شياطين الإنس والجن، وطواغيت المعبودات  
من دون الله تعالى تصل في ارتکاسها ومهانتها إلى حد أن يعبد الإنسان العاقل حبراً  
أو شجراً أو بمراً، أو بقرًا، فهل بعد هذا الارتکاس والانتکاس من ذل ومهانة؟!

ولفظ العبد مضافاً إلى الله كعبده وعبادي في القرآن: يتناول من عَبَدَ الله، فأما  
عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ عبد، كما قال ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَتَسَ لَّكَ عَنْهُمْ سُلْطَنُونَ ﴾،  
وأما قوله ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَيَّعَكَ مِنَ الْقَارِبِينَ ﴾، فالاستثناء فيه منقطع، كما قاله أكثر المفسرين  
والعلماء، ﴿ عَيْنَا يَشْرُبُ بِهَا عَبَادُ اللَّهِ ﴾ [المطففين: ٢٨]، ﴿ وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ  
هُوَنَا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤَدَ ﴾ [ص: ١٧]، ﴿ يَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُ ﴾ [ص: ٣٨]

﴿ وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا أَيُوبَ ﴾ [ص: ٤١] ، ﴿ وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [ص: ٤٥] ، ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادَنَا ﴾ [الكهف: ٦٥] ، ﴿ سَبَخَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١] ، ﴿ وَإِنَّمَا كَانَ عَبْدًا سَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣] ، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا زَرَّنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [آل عمران: ٢٣] ، ﴿ فَأَنْجَى إِلَيْكُمْ عَبْدِهِ مَا أَوْجَدَ ﴾ [النجم: ١٠] ، ﴿ وَإِنَّمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُونَهُ ﴾ [الجن: ١٩] ، ﴿ بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١] ، وَنَحْوُ هَذَا كَثِيرٌ .

وَقَدْ يُطْلَقُ لِفَظُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، كَقُولَهُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ، ﴿ أَفَحِسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ يَنْجُذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ [الكهف: ١٠٢] ، قَدْ يُقَالُ فِي هَذَا: إِنَّ الْمَرَادَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، إِذْ كَانَ قَدْ نَهَى عَنِ اتِّخَادِهِمْ أُولَيَاءَ، فَغَيْرُهُمْ بِطَرِيقِ الْأُولَى، فَقَدْ قَالَ ﴿ إِنْ كُلُّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمُ فِي الدِّجَالِ: «فِيَوْحِي اللَّهُ إِلَى الْمُسِيحِ إِنَّ لِي عِبَادًا لَا يَدْانَ لِأَحَدٍ بِقَاتِلِهِمْ»، وَهَذَا كَقُولُهُ: ﴿ بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ ، فَهُؤُلَاءِ لَمْ يَكُونُوا مُطِيعِينَ لَهُ، لَكُنْهُمْ مَعْبُودُونَ، مَذْلُولُونَ مَقْهُورُونَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ قُدْرَةُهُ، وَقَدْ يَكُونُ كُوْنَهُمْ عَبِيدًا: هُوَ اعْتَرَافُهُمْ بِالصَّانِعِ وَخَضْوعُهُمْ لَهُ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا .

كَقُولُهُ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] ، وَقُولُهُ ﴿ إِلَّا إِنَّ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] ، أَيْ ذَلِيلًا خَاصِّاً .

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا الْاسْتِكْبَارُ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ ﴿ لَقَدْ أَخْصَصْتُهُمْ وَعَدَهُمْ عَدَّا ﴽ ٩٤ ﴾ وَكُلُّهُمْ يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدَّا ﴽ ٩٥ ﴾ [مريم: ٩٤-٩٥] ، فَذَكَرَ بَعْدَهَا أَنَّهُ يَأْتِي مُتَفَرِّدًا، كَقُولُهُ ﴿ وَلَقَدْ جَنَّثْمُونَا فَرَدَّا كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً ﴾ [الأنعام: ٩٤] ، وَقَالَ ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣] ، ﴿ وَإِلَهٌ يَسْتَجِدُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥] .

الآية، وقال ﴿بَلَّ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنِينُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، فليس المراد بذلك مجرد كونهم مخلوقين مدبرين م فهو فين تحت المشيئة والقدرة فإن هذا لا يقال طوعاً وكرهاً؛ فإن الطوع والكره إنما يكون لما يفعله الفاعل طوعاً وكرهاً، فأما ما لا فعل له فيه فلا يقال له ساجد أو قانت؛ بل ولا مسلم؛ بل الجميع مقررون بالصانع بفطرتهم وهم خاضعون مستسلمون، قانتون مضطرون من وجوده.

منها: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه.

ومنها: دعاؤهم إياه عند الاضطرار.

ومنها: خضوعهم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره ومشيته.

ومنها: انقيادهم لكثير مما أمر به في كل شيء، فإن سائر البشر لا يمكنون العبد من مراده؛ بل يقهرونه ويلزمونه بالعدل الذي يكرهه، وهو مما أمر الله به، وعصيانهم له في بعض ما أمر به - وإذا كان هو التوحيد - لا يمنع كونهم قانتين خاضعين، مستسلمين كرهاً، كالعصاة من أهل القبلة وأهل الذمة وغيرهم، فإنهم خاضعون للدين الذي بعث به رسنه، وإن كانوا يعصونه في أمور. والمؤمن يخضع لأمر الله طوعاً، وكذلك لما يقدره من المصائب؛ فإنه يفعل عندها ما أمر به من الصبر وغيره طوعاً، فهو مسلم لله طوعاً خاضع له طوعاً، والسجود مقصوده الخضوع، وسجود كل شيء بحسبه، سجوداً يناسبها ويتضمن الخضوع للرب.

وأما فقر المخلوقات إلى الله: بمعنى حاجتها كلها إليه، وأنه لا وجود لها ولا شيء من صفاتها، وأفعالها إلا به، فهذا أول درجات الافتقار وهو افتقارها إلى ربوبيتها لها، وخلقها وإتقانه، وبهذا الاعتبار كانت مملوكة له، وله سبحانه الملك والحمد. وهذا معلوم عند كل من آمن بالله ورسنه الإيمان الواجب، فالحدوث دليل افتقار الأشياء إلى محدثها، وكذلك حاجتها إلى محدثها بعد إحداثه لها: دليل افتقارها؛ فإن الحاجة إلى الرزق دليل افتقار المرزوق إلى الخالق الرازق.

والصواب: أن الأشياء مفتقرة إلى الخالق لذواتها لا لأمر آخر جعلها مفتقرة إليه؛ بل فقرها لازم لها، لا يمكن أن تكون غير مفتقرة إليه، كما أن غناء الرب وصف لازم له لا يمكن أن يكون غير غني، فهو غني بنفسه لا بوصف جعله غنياً، وقرر الأشياء إلى الخالق وصف لها، وهي معدومة وهي موجودة فإذا كانت معدومة فقيل عن مطر يتضرر نزوله وهو مفتقر إلى الخالق كان معناه: أنه لا يوجد إلا بالخالق هذا قول الجمهور من نظار المسلمين من السلف وجمهور الخلف.

ولكن طائفة تدعى أن افتقارها، وخصوصيتها، وخلقتها، وجريان المشيئة عليها: هو تسبيحها وقوتها وإن كان ذلك بلسان الحال، ولكونها دلالة شاهدة للخالق جل جلاله، وقل للأرض من فجر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج نباتها وثمارها؛ فإن لم تحبك حواراً، وإنما أحبتك اعتباراً، وهذا قوله الغزالى وغيره، وهو أحد الوجوه التي ذكرها أبو بكر بن الأنباري في قوله ﴿كُلُّهُ قَنِينُونَ﴾، قال: كل مخلوق قاتلت له باشر صنعته فيه وجرى أحکامه عليه، فذلك دليل على ذله لربه، وهو الذي ذكره الزجاج في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال: إسلام الكل خصوصهم لنفاذ أمره في جبلهم، لا يقدر أحد يمتنع من جبله جبله الله عليها، وهذا المعنى صحيح؛ لكن الصواب الذي عليه جمهور علماء السلف والخلف أن القنوت والاستسلام والتسبيح أمر زائد على ذلك، وهذا كقول بعضهم: أن سجود الكاره وذله وانقياده لما يريد الله منه من عافية وحرص وغنى وفقر، وكما قال بعضهم في قوله: ﴿وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا يُسَيِّغُ بِهِمْ﴾، قال: تسبيحه دلالته على صانعه فتوجب بذلك تسبيحاً من غيره، والصواب أن لها تسبيحاً وسجوداً بحسبها.

والمقصود: أن فقر المخلوقات إلى الخالق ودلالتها عليه وشهادتها له: أمر فطري فطر الله عليه عباده، كما أنه فطّرهم على الإقرار به بدون هذه الآيات، كما قد بسط الكلام على هذا في مواضع، وبيّن الفرق بين دلالة الآيات ودلالة القياس الشمولي،

والتمثيلي؛ فإن القياس البرهاني العقلي سواء صيغ بلفظ الشمول، كالأشكال المنطقية، أو صيغ بلفظ التمثيل، وبيّن أن الجامع هو علة الحكم ويلزم ثبوت الحكم أينما وجد، وقد بسطنا الكلام على صورة القياسيين في غير هذا الموضع.

والتحقيق: أن العلم بأن المحدث لابد له من محدث هو علم فطري، ضروري في المعينات الجزئية، وأبلغ مما هو في القضية الكلية؛ فإن الكليات إنما تصير كليات في العقل بعد استقرار جزئياتها في الوجود، وكذلك عامة القضايا الكلية؛ التي يجعلها كثير من الناظار المتكلمة والمتألفة أصول علمهم، كقولهم: الكل أعظم من الجزء، أو النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية ونحو ذلك؛ فإنه أي كلي تصوره الإنسان علم أنه أعظم من جزئيه، وإن لم تخطر له القضية الكلية كما يعلم أن بدن الإنسان بعضه أكثر من بعض وأن الدرهم أكثر من بعضه، وأن المدينة أكثر من بعضها، وأن الجبل أكبر من بعضه، وكذلك النقيضان وهما: الوجود والعدم؛ فإن العبد إذا تصور وجود أي شيء كان وعده: علم أن ذلك الشيء لا يكون موجوداً مدعوماً في حالة واحدة وأنه لا يخلو من الوجود والعدم، وهو يقضي بالجزئيات المعينة، وإن لم يستحضر القضية الكلية، وهكذا أمثال ذلك<sup>(١)</sup>.

فصار العبد مجبولاً على أن يقصد شيئاً ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده. هذا أمر حتم لازم ضروري في حق كل إنسان. لا ينفك عنه أبداً.

إذا تدبر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس؛ وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين، لابد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي محبتها إليه. وهو إليها، ولابد من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها، فمن غالب عليه

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣-٤٨) باختصار.

حب المال أو حب شخص أو حب الرئاسة والتملك فإنه يصير عبداً لذلك.

قال النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار. تعس عبد الدرهم. تعس عبد الخميصة. تعس عبد الخميلة. إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط. تعس وانتكس وإذا شيك فلا ان نقش»<sup>(١)</sup>.

ومعنى قوله عبد الدينار: أي أنه طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنه لذلك عبده وخادمه، وجعله عبداً لهما لشغله وحرصه، فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه - إياك نعبد - فلا يكون من اتصف بذلك صديق<sup>(٢)</sup>.

وعدل في الخطاب عن وصفه بكونه مالك الدينار أو جامع الدينار. مع أن هذه هي الصورة الظاهرة إلى وصفه بأنه عبد الدينار؛ لأنه لشغله بالدينار والدرهم وإنفاقه عمره في جمعه صار عبداً لهما.

إذا علمنا أن العبد لا بد له في كل وقت وحال من متنه يطلب هو إليه، ومتنه يطلب منه هو مستعانه. تبين أن قوله تعالى ﴿إِنَّكَ نَبْعَدُ وَإِنَّكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]، كلام محيط جامع أولاً وآخرًا لا يخرج عنه شيء.

ويظهر هذا الدليل العظيم ويتجلى واقعاً حتى من عادة الكفار والمنكريين عندما تحل بهم النائبة العظيمة ويقع بهم البلاء المحيط الذي يلجهم إلى معاينة الهلاك فعندها تنقطع بهم الأسباب، وشرکهم وكفرهم يعاينوه كأنه سراب، عندها تضطرهم النائبة إلى دعوة الله ربهم الحق ورجاءه أن ينجيهم مما هم فيه.

وهذا قرره القرآن العظيم أحسن تقرير، وبينه أحسن بيان.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٦-٢٨٨٧).

(٢) انظر فتح الباري (٢٤/٣٢).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَرِّعُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلُكِ وَجَرَيْنَ إِلَيْهِمْ بِرِيحٍ طَيْبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْعَذَقُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أُحْيَطُ  
بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أَجْبَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونُنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾٢١﴾ فَلَمَّا  
أَجْبَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَغْيِرُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَنْعَ الْحَيَاةِ  
الَّذِي نَعْلَمُ لِإِنَّا مَرْجِعُكُمْ فَنَتَّشِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾٢٢﴾ [سورة يومن: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ حُلْفَاءَ أَلْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَلَمَّا مَاتَذَكَّرُوكُمْ﴾ [النَّمَل: ٦٢].

قال الإمام ابن كثير: «ينبه تعالى أنه هو المدعاو عند الشدائدين، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الظُّرُفُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الظُّرُفُ فَإِلَيْهِ يَخْرُجُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ للمضرر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضروريين سواه»<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم النبي الكريم ﷺ هذا الدليل لدلالة العباد الضالين على ربهم الحق. وتعريفهم بهم الصدق الذي يجب أن يعرفوه ويعرفوا إليه ويعبدوه وحده لا شريك له.

هذا رجل اسمه جابر بن سليم الهجيمي: كان كغيره لا يعرف الإله الحق -  
الله رب العالمين - أتى المدينة فرأى الناس مجتمعين على رجل يسمعون منه  
ويصدرون عن رأيه، فقال: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ.

قال فجئته فقالت: يا رسول الله إلام تدعوا؟

## (١) تفسير القرآن العظيم (٥/٦٨٤).

قال له رسول الله ﷺ: «أدعوا إلى الله وحده».

قال الرجل: ما الله؟

قال رسول الله ﷺ: «الله الذي إن مستك ضر فدعوه كشف عنك ضرك والذى إذا كنت بأرض فلاة قفراه فضلتك راحتلك فدعوه ردها عليك والذى إن أصابك عام سنة فدعوه أنبتها لك»<sup>(١)</sup>.

فأسلم الرجل من ساعته<sup>(٢)</sup>.

وهذا أمر مشهور من الكفار فإنه عند النائية العظيمة التي يشعرون فيها بالهلاك يتضاحون من كل جانب كل بلغته يدعون ويستغيثون بالإله الحق - الله رب العالمين - لينجيهم من هذه الهلكة. فما إن تزول النائية ويطمئنون حتى يعودوا إلى كفرهم وغיהם، وصدق الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَبْجَنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ يَعْتَزِزُونَ إِلَيْهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَعْيُمُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَنْعَ الْحَكِيمَةِ الَّذِي نَأَمْرَ إِلَيْنَا مَرِحْكُمْ فَنَيِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة: ٢٣].

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٠٨٤)، وأحمد في المسند (٢٠٦٣٦، ٢٠٦٣٥).

(٢) انظر قصته وخبره في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧/٤٥)، وأسد الغابة (٦/٣٩).

ثانياً: توحيد الله تعالى في ألوهيته وعبادته وحده لا شريك له.

(توحيد الألوهية):

فإن إفراد الله وحده بالألوهية والعبادة هو لازم معرفته بربوبيته، فإن توحيد الربوبية يلزم منه لزوماً ضرورياً توحيد الألوهية. لأن العبد إذا عرف أن الله خالقه وربه ومدير أمره، وأنه تعالى خالق السماوات والأرض وأن تصريف الأمور كلها في يديه تعالى، لزم من ذلك أن يعبده وحده لا شريك له، ويخشأه ويحبه ويجله ويعظمه بكرة وعشياً ويعبده ويسجد له ويتهل إليه ويسعى في مرضاته، ففصل هذا عن ذاك فصل بين متلازمين، لا ينفع أحدهما دون الآخر.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «أما توحيد الألوهية فهو: إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق، لأن الإله في كلام العرب: هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم، ويقولون: إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده، فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين، وقد استدل عليهم سبحانه باقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المُدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟!!»<sup>(١)</sup>.

وهذا التوحيد مسائله كثيرة ومتعددة فهو لب الدين؛ بل هو الدين كله ظاهره وباطنه، أوله وأخره، والكلام في هذا التوحيد من باب الطلب والإرادة الدائر بين المحبة والكراهية نقياً وإثباتاً<sup>(٢)</sup>.

وسأجمل مسائله لتعريف وتفهم.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتوى، مسألة رقم ٧ ص ٤٢.

(٢) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١-٢).

### المسألة الأولى:

إن تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالألوهية والتشريع هو الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس وخلق العالم، وجعل الدنيا والآخرة، وبعث الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، وأقام الدلائل قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَحْسِنُوا الظَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿الرَّبُّكَتُ أَحْكَمَتْ أَيْمَنَهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [١٠] ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْ نَذِيرٍ وَّشَيرٌ﴾ [هود: ١-٢].

ومنه تعلم أن من ترك عبادة الله تعالى أو أشرك معه في العبادة غيره أو شرع من دون الله، أو كفر بشرع الله، أو كذب وحارب رسول الله أنه خالق ما من أجله أو جده الله، وأبدعه وشق له سمعه وبصره وسخر له ما في السماوات والأرض.

ومنه تعلم أيضاً ضلال ما أحدثه الناس قديماً وحديثاً من حصر العقيدة والدين في جوانب النفس ومضرراتها. وخفاياها معزولة عن العواطف والشعور، مقطوعة عن العمل والتصرفات والسلوك.

### المسألة الثانية:

إن شهادة أن لا إله إلا الله، وإفراده بالعبادة وترك الشرك هذا أول ما يجب على العباد تجاه خالقهم وربهم تعالى.

وهو ما عُرف بمسألة أول واجب على المكلف.

وهذا ما دلت عليه الدلائل الكثيرة.

فإن رسول الله تعالى عليهم الصلاة والسلام عندما يبعثهم الله ليبلغوا رسالات الله إلى أقوامهم فإن أول ما يدعونهم إليه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) والله

يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَقَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥).

[الأنبياء: ٢٥].

ولما أمر رسول الله ﷺ بالصدع بالحق في وجوه المشركين وإعلان الدعوة وإظهار الرسالة جمعهم رسول الله ﷺ وقال لهم: إني أدعوكم إلى كلمة تملكون بها العرب وتسودون بها العجم، قالوا له وعشرون كلمة وأبيك. فقال لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. فقالوا: أجعل الآلهة إليها واحداً إن هذا شيء عجب (١).

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن. قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإنهم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» (٢).

هذا الحديث الشريف افتتح به الإمام البخاري - رحمه الله - كتاب التوحيد من الجامع الصحيح، وبوب عليه البخاري: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمنه إلى توحيد الله تعالى (٣).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: «باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن

(١) فتح الباري (٢٨/١١٨).

(٢) صحيح البخاري (٧٣٧٢).

(٣) فتح الباري (٢٨/١١٨).

قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله».

ثم قال الإمام في المسائل المستنبطة من هذا الباب: «كون التوحيد أول واجب، وأنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة، والتنبيه على التعليم بالتدريج والبداءة بالأهم فالأهم»<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثالثة:

إن كلمة التوحيد الجليلة (لا إله إلا الله) فيها نفي وإثبات فجزأها الأول نفي والثاني إثبات.

فإذا قالها العبد وتصورها واعتقدتها وفقه معناها نفت من حسه وتصوره وخصوصه وتأنلله أربعة أنواع من المعبودات من دون الله تعالى وجب على المسلم أن يكفر بها ويعتقد زيفها وبطلانها.

**النوع الأول: الآلهة.** فلا إله يستحق التعظيم والإخبار له والعبادة والخصوص له إلا الله رب العالمين.

قال تعالى عن مؤمن آن يس: ﴿أَتَحْدُّ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ كَيْفَ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّ لَا تُعْنِ عَيْنَ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ [يس: ٢٣].

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخِذُوا إِلَيْهِنَّ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النحل: ٥١].

وقال تعالى عن أصحاب الكهف ﴿هَتُولَّهُ قَوْمًا أَنْخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ لَّوْلَا يَأْتُونَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ بَيْنِ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (٢٩-٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا هُمْ أَخْرَ لَا يُرْهِنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢٧] (W)

انظر كيف نوع الله تعالى في إبطال الآلهة المعبودة من دون الله تعالى بين نفي من اتخد من دون الله تعالى إلها واحداً، أو من جعل للعالم إلهين اثنين، أو بين من جعل مع الله أو من دونه آلهة عديدة. وهذا يتنظم كل أنواع الشرك التي في العالم فيكون القرآن الكريم أبطلها جميعاً وبين زيفها وضلال وهلاك من وقع فيها.

وفي قصة حصين الخزاعي والد عمران بن حصين: أن النبي ﷺ لقيه فقال له: «كم إلها تعبد يا حصين؟! قال: سبعة: ستة في الأرض وواحداً في السماء، فقال له عليه الصلاة والسلام: «من تعدد ليوم رهبتك إذا داهمتك الخطوب؟! قال: الذي في السماء. فقال له: «فاعبد الذي في السماء واترك الذين في الأرض فإنهم لن يغدوا عنك شيئاً»<sup>(١)</sup>.

والآلهة: اسم جامع لكل ما أله وعبد من دون الله أو أشرك مع الله في نوع من العبادة: فيدخل فيه الأصنام والأوثان، والشمس والقمر والجان والموتى وضرائحتهم ومقاماتهم من الأولياء وغيرهم. بل يصل الحال إلى اتخاذ المال إلها من دون الله كما قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتتش»<sup>(٢)</sup>

بل يصل الحال إلى أن يتخذ الإنسان هوه وشهواته وزنواته إلهاً فلا يفرجه إلا هي ولا يغضبه إلا هي ولا يعمل إلا من أجلها ولا يسعى إلا في تحصيلها قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَنْخَذَ إِلَّا هُوَ هُوَ نَهْدَىٰ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

(١) الإصابة (٢/٦٧-٧٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٨٦ - ٢٨٨٧ - ٦٤٣٥).

قال تعالى: ﴿أَفَرَمِّتَ مَنْ أَنْهَى إِلَهُهُ هَوَنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ، وَقَلِيلٌ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشْوَةً فَمَنْ تَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

النوع الثاني: الأنداد: والنذ: النظير والكفاء والمثيل. والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته وأسمائه ولا أفعاله، فينبغي كذلك ألا يجعل له نذ في حقوقه من التعظيم والمحبة والخشية والخضوع والعبادة بسائر أنواعها. فمن صرف شيء من ذلك لغير الله فقد جعله نذًا لله تعالى.

قال تعالى ﴿فَلَا يَنْجَلُوا إِلَيْهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ومعنى: (وأنتم تعلمون) أي تعلمون أن من جعلتموه نداً لله فعبدتموه أو عظمتموه كتعظيم الله تعالى ليس هو كمثل الله تعالى في شيء: فكيف تجعلونه نداً لله وهذا حال الكافرين الذين يساوون غير الله فيجعلونه مثل الله في العبادة له والتاليه. وقد قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ﴾ [آل عمران: 1].

قال الإمام الطبرى رحمة الله: «يقول تعالى ذكره، مُعجّبا خلقه المؤمنين من كفرا عباده، ومحتجا على الكافرين: إن الإله الذى يجب عليكم، أيها الناس، حمده، هو الذى خلق السماوات والأرض، الذى جعل منها معايشكم وأقواتكم، وأقوات أنعامكم التي بها حياتكم. فمن السماوات ينزل عليكم الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر باعتقاد واختلاف لمصالحكم. ومن الأرض ينبت الحب الذي به غذاؤكم، والثمار التي فيها ملاذكم، والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولهم أيها الناس بربهم الذي فعل ذلك وأحدثه **﴿يَعِدُّونَ﴾** [الأنعام: ١]: يجعلون له شريكا في عبادتهم إيمانا، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركه في خلق شيء من ذلك ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك.. فسبحان الله ما أبلغها

من حجة وأوجزها من عظة، لمن فكر فيها بعقل وتدبرها بفهم<sup>(١)</sup>  
وفي حديث ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم: قال: «أن  
تجعل لله ندًا وهو خلقك». <sup>(٢)</sup>

النوع الثالث: الأرباب: جمع رب وهو كل سيد مطاع فمن أعطي الطاعة  
المطلقة والسيادة المطلقة يأمر فيطاع ويشرع فيتبع وينهى فيحاجب. من دون الله  
تعالى فقد جعل ربًا من دون رب العظيم جل وعلا.

قال تعالى في بيان أحد أنواع وصور كفر وشرك اليهود والنصارى: ﴿ أَخْذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَزْبَابًا مِنْ ذُرِّيْتِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِعَبْدُوا إِنَّهَا وَحْدَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[٣١: التمهة]

عن عدي بن حاتم الطائي قال جئت إلى النبي ﷺ - وكان عدي نصرانياً قبل أن يسلم - وقد وضعت الصليب على عنقي فقال لي: «ألق عنك هذا الوثن، ثم سمعته يقرأ: ﴿أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَتْهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُورِنَ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فقلت يا رسول الله: ما عبدناهم. فقال: أليسوا يحلون لكم الحرام، ويحرمون عليكم الحلال فتطيعونهم؟ قال: قلت: بلى. فقال: فتلك عبادتهم»<sup>(٣)</sup>.

**النوع الرابع: الطواغيت:** جمع طاغوت وهو كل ما تجاوز به العبد حده من مألوه أو متبع أو مطاع. فهو طاغوت. وعرفه بعضهم بأنه: كل ما عُبِدَ من دون الله وهو راض وقد أمرنا الله تعالى أن نكفر بجميع الطواغيت. فقال تعالى: ﴿فَمَنْ

(١) تفسير الطبرى (١٤٤/٥ ياختصار).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٦٨٦).

(٣) أخر جه الترمذى (٣٠٩٥)

يَكُفُرُ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِإِلَهٍ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْمُرْءَةِ الْوَثِيقَ لَا أَنْقَاصَ لَهَا وَإِنَّهُ سَيِّعٌ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>  
[البقرة: ٢٦٥].

قال الإمام الطبرى رحمة الله: «الصواب من القول عندي في (الطاغوت)، أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهـر منه لمن عـبدـهـ، وإما بطـاعـةـ مـنـ عـبـدـهـ لهـ، إـنسـانـاـ كـانـ ذـلـكـ الـمـعـبـودـ، أوـ شـيـطـانـاـ، أوـ وـثـنـاـ، أوـ صـنـمـاـ، أوـ كـائـنـاـ ماـ كـانـ مـنـ شـيـءـ»<sup>(١)</sup>.

وجعل الله من صور وأنواع كفر وشرك اليهود والنصارى أنهم اتخذوا الطواغيت وعبدوها من ملوكهم وأخبارهم ورهبانهم ونحوها.

فقال تعالى: «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَّتِ وَالْطَّاغُوتِ» [النساء: ٥١]. وقال تعالى: «قُلْ هَلْ أَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الْطَّاغُوتَ أَوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» [المائدة: ٦٠].

فهذه الأنواع الأربع: الآلهة والأنداد والطواغيت والأرباب يجب الكفر بها، وعدم اعتقاد ألوهيـتهاـ، وـعدـمـ عـبـادـتهاـ منـ دونـ اللهـ الواحدـ الأـحـدـ.

وأما الإثباتـ.ـ فإنـ لاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ،ـ تـثـبـتـ فيـ حـسـ المـسـلـمـ وـتـصـورـهـ وـعـقـيدـتهـ.ـ وأـعـمـالـهـ.ـ كـلـ أـنـوـاعـ المـحـبـةـ وـالـخـصـوـعـ وـالـخـشـيـةـ وـالـإـنـابـةـ وـالـتـعـظـيمـ وـالـعـبـادـةـ لـهـ الـواـحـدـ الـأـحـدـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله: «اعلم رحمك الله أن معنى (لا إله إلا الله) نفي وإثبات (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات، تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع، المنفي: الآلهة والأنداد والطواغيت والأرباب، فالإله ما قصد به

(١) تفسير الطبرى (٤١٩/٥).

شيء من جلب خير أو دفع ضر، وما قصدهه كذلك فأنت متخدنه إلهًا، والطوغة من عبده وهو راضٍ أو ترشح للعبادة، والأنداد ما جذبك عن دين الإسلام من أمر أو مسكن أو عشيرة أو مال، والأرباب من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته لقوله تعالى: ﴿أَنْهَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَتِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَجَدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شُبْحَهُ كُلُّ مَا يُشَرِّكُونَ﴾، وتبثت أربعة أنواع: القصد كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَسْدُ حُبَّ اللَّهِ﴾ والخوف والرجاء لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِمُغْرِبٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ، يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ أَعْفُوْرُ الرَّاجِحِ﴾ والبراءة من الشرك وأهله كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كسر الأصنام وتبرء من عبادها قال الله تعالى ﴿فَذَكَرَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرُّؤُوا مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِمَا يَسْتَكِنُونَ بِيَسْتَكِنُونَ الْعَدُوُّ وَالْعَصَابَةُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لَأَيُّهُ لَا سَعْفَرَنَ لَكَ وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْلَكَنَا وَإِلَيْكَ أَبْتَنَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤] هذا ما تنفيه وتبثته (لا إله إلا الله) <sup>(١)</sup>.

فالله تعالى له من المحبة أكملها. ومن التعظيم أكبره. ومن الخصوع والإنبابة أصدقها. ومن الخشية أجلها. ومن العبادة أخلصها وأدومها. تبارك الله الواحد الأحد.

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ﴾ [الزمر: ٢]

وقال تعالى: ﴿بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]

وقال تعالى: ﴿فُلِّ اللَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِمَانُوا أَسْدَ حُبَا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وَقَالَ تَعَالَى : «فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ مُّجْهَدِينَ وَمُجْبَوِنَهُ أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَلُهُ عَلَى الْكُفَّارِينَ بِمُجْهَدِوْنَ فِي سَيْلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً » [الْمَانِدَةُ: ٥٤]

المسألة الرابعة:

يعلم أن توحيد الإلهية مركب من ركنين عظيمين. لابد منهما لتحقيق هذا التوحيد على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه.

الركن الأول: أن يعبد الله وحده لا شريك له بكل أنواع العبادات التي شرعها. وسنها رسوله ﷺ.

الركن الثاني: أن التشريع والتحليل والتحريم والحكم حق خالص لله رب العالمين.

فالله هو الحكم والتشريع حقه الذي لا يجوز تحت أي صورة وتحت أي مبرر أن يشرع أحد من دون الله تعالى ولا يحلل ولا يحرم.

فالتشريع من دون الله تعالى ينقض توحيد الألوهية ويتعارض معه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ اتَّخَذُوا شُرَكَاءَ يَوْمَ الْنَّعْمَةِ وَيَشْتَرِكُونَ هُمْ وَلَا يَاهُمْ فِي الْكُفَّارِ وَأَعْمَالِهِ، مِنْ شَيَاطِينِ النَّاسِ، الدُّعَاءُ إِلَى الْكُفَّارِ» **﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الْأَيَّلِينَ مَا لَمْ يَأْدِنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى: ٢١] من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواءهم. مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويقتربوا به إلى الله، فالاصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله،

فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وأباءهم على الكفر»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]

وفي هذه الآية الكريمة وجهان من القراءة:

الوجه الأول: أن (لا) نافية فيكون الأسلوب خبرياً إنشائياً، والمعنى: يخبر تعالى أنه لا يشرك في حكمه أحداً من الخلق بل هو وحده تعالى الذي يشرع ويحلل ويزعم.

والوجه الثاني: أن (لا) نافية والفعل المضارع بعدها مجزوم فيكون الأسلوب طليبياً والمعنى ينهى الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين أن يشركوا في حكم الله وشرعه حكم غيره من الخلق وشرعه.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ قرأ هذا الحرف عامرة السبعة ما عدا ابن عاصم: "لا يشرك" بالياء المثلثة التحتية وضم الكاف على الخبر، ولا نافية والمعنى: ولا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جل وعلا لا حكم لغيره أبداً، فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرم، والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه، وقرأ ابن عاصم من السبعة: «لا تشرك» بضم التاء المثلثة الفوقية وسكون الكاف بصيغة النهي، أي: لا تشرك يا نبي الله، أو لا تشرك أيها المخاطب أحداً في حكم الله جل وعلا، بل أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم، وحكمه جل وعلا المذكور في قوله: ولا يشرك في حكمه أحداً شامل لكل ما يقضيه جل وعلا، ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً<sup>(٢)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٩١)

(٢) أضواء البيان (٤/١٠٧)

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَهَنَّمَ يَبْعَثُونَ وَمَنْ أَخْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾

[المائدة: ٥٠]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَقْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]

فذكر تعالى في هذه الآية هذين الركنين العظيمين.

فذكر ركن الحكم والتشريع وأنه حق خالص لله تعالى لا يشرك فيه غيره، فقال ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وذكر ركن العبادة وهو حق خالص لله فلا يعبد إلا إيه ف قال ﴿أَلَا تَقْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ثم أخبر أنه بمجموع الركنين يتحقق الدين القيم وبدونهما لا يكون الدين القيم ولا يتحقق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا الحق العظيم فإما أن يخلُوا بعبادة الله تعالى فيشرکوا معه غيره في صورة من صور الشرك وإما أن يخلُوا بركن التشريع والحكم فيتخدوا لهم أرباباً يشرعون لهم من دون الله ويحكمون فيطیعونهم وإما أن يخلُوا بهما معاً، وهذا هو الغالب لأنه إذا عبد من دون الله وأشرك بالله شرع من دونه، وإذا شرع من دونه سُوغ الكفر والشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع، مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضاً، قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكاً لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «إن الله عاب على المشركيين شيئاً: أحدهما أنهم أشركوا به ما

(١) افتضاع الصراط المستقيم (٨٤/٢).

لم ينزل به سلطاناً. والثاني: تحريمهم ما لم يحرمه الله عليهم... ثم منهم من عبد غير الله ليقرب بعبادته إلى الله، ومنهم من ابتدع ديناً عبدوا به الله في زعمهم كما أحدثه النصارى من أنواع العبادات المحدثة. وأصل الصلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله. أو تحريم ما لم يحرمه الله<sup>(١)</sup>.

ولذلك تجد تلازمًا لا يكاد ينفك بين هذين المشركيين، فمتى وقع الشرك بالله، وقع الحكم بغير ما أنزل الله ووقع التشريع من دون الله.

واعتبر ذلك بحال الأمم والشعوب المشركة قديماً وحديثاً.

ومن نماذج ذلك ما ذكره الله تعالى من تشريع المشركيين ما يتعلق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةَ وَلَا سَبَيْرَةَ وَلَا وَصِيلَةَ وَلَا حَامِرَ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْرَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]

والبحيرة هي: الأنعام التي يمنع لبنها من أحد ويوهب للأوثان، فلا يحلبها أحد من الناس.

والسائبة: الأنعام التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء ولا ينتفع منها بشيء.

والوصيلة: الناقة البكر إذا ولدت أنثى ثم وصلتها بولادة أنثى ثانية ليس بينهما ذكر يسيبونها لأوثانهم.

والحام: فحل الإبل يضرب الضرب المعدودة فإذا قضى ضرائب تركوه لآلهتهم وأعفوه من الكد والحمل عليه<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق (٢/٨٥-٨٦) باختصار.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٩٠-٤٩١).

وكان الذي شرع لهم هذه الأحكام رجل يدعى عمرو بن لحي بن قمعة الخزاعي. وهو أول من أدخل الأوثان والأصنام على العرب وشرع لها هذه الشرائع وغير بذلك معالم الدين الحق ملة إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «رأيتَ عَمْرَو بْنَ لُحَيَ الْخُزَاعِيَّ يُجْرِي فُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَّ السَّوَابِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى «رأيتَ عَمْرَو بْنَ لُحَيَ بْنَ قَمْعَةَ، يُجْرِي فُصْبَهُ فِي النَّارِ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَبَّ السَّوَابِ، وَأَوَّلُ مَنْ سَبَّ السَّوَابِ، وَوَصَّلَ الْوَصِيلَةَ، وَحَمَى الْحَامِي»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «هذا من العلم المشهور: أن عَمْرَو بْنَ لُحَيَ هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام، متتشبهًا بأهل البلقاء، وهو أول من سب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه «يُجْرِي فُصْبَهُ فِي النَّارِ» وهي الأمعاء ومنه سمي القصاب بذلك؛ لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد، والحنيفية السمححة، دين أبيهم إبراهيم.

فتتشبه عَمْرَو بْنَ لُحَيَ - وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متتشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام -، فتشبه عَمْرَو بْنَ لُحَيَ من رأى في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأى أن في تحريم ما حرم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، تعظيمًا لله ودينا، فكان ما فعله أصل الشرك في

(١) رواه البخاري (٤٦٢٣-٤٦٢٤).

(٢) رواه الحاكم (٤/٦٠٥) وصححه.

العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عز وجل، وتغيير دينه إلى أن بعث الله رسوله ﷺ، فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد، وحلل ما كانوا يحرمونه<sup>(١)</sup>.

#### المسألة الخامسة :

خطر الشرك وعظيم ضرره.

فإنما كان التوحيد أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأخرها كان ضده الذي هو الشرك أعظم الذنوب فهو أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب الله تعالى على الشرك به من العقوبات العظيمة في الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، ولهذا ينبغي للمسلم أن يخافه أعظم الخوف، ويحذرته أعظم الحذر، ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه أو في بعض أنواعه وصوره.

فإن معرفة الشر لاتقاءه والحذر منه مهم، إذ كيف تحذر ما لا تعلم أنه شر وضرر.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»<sup>(٢)</sup>.

ويكفي أن نعلم أن الشرك هو الذنب الذي توعد الله تعالى أنه لا يغفره أبداً فمن لقي الله تعالى مشركاً به فذاك الخاسر المذموم المدحور.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٣٥٠ - ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٤).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وقال في الآية الثانية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أُخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ أَيُّ لَا يَغْفِرُ لَعْدَ لَقِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال الله تعالى في بيان عظيم خطر الشرك: ﴿إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَارَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فأخبر أن مصير المشرك إذا مات مشركاً هو النار، والجنة محرومة عليه أبداً. وإنما كان الشرك كذلك لأنه أقبح القبح، وأظلم الظلم إذ مضمونه تنقص رب العالمين، وصرف خالص حقه العظيم لغيره من المخلوقين، ومساواة من لا يملك نفسه ولا لغيره موتاً ولا حياة ولا نشوراً بالحي الذي لا يموت.

ولذلك سيندمون أعظم الندم، ويتحسرون أعظم الحسرة يوم القيمة، ويعرفون أن خطأهم العظيم وضلالهم المبين إنما كان من جهة أنهم جعلوا آلهتهم التي عبدوها وأشركوها مع رب العالمين في خالص حقه العظيم مساويةً لله رب العالمين، وذلك غاية الضلال والبهتان والظلم العظيم.

قال الله تعالى عنهم: ﴿تَالَّهُ إِن كُنَّا لَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٦٧] ﴿إِذْ سُوِّيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٨].

[الشعراء: ٩٧-٩٨].

قال الإمام الطبرى رحمه الله: «يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فتعبدكم

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١٢٩٥).

<sup>(۱)</sup> مزن دونه».

وهذه جريمة الكافرين المشركين كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين.

ولأن الشرك أيضاً فيه رفع للمخلوق الضعيف، وتشبيه له بالخالق العظيم في خصائص الألوهية فحقيقة الشرك: جعل من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً شبيهاً بمن له الخلق والأمر كله، والملك كله، وبهذه تصريف الأمور كلها وإليه المصير، فأي ظلم أعظم من هذا؟! وأي قبح أشنع من هذا؟!  
وقال الله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا شُرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فَإِذْمَةُ الْأَمْرِ كُلُّهَا بِيَدِهِ، لَا مَانِعٌ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مَعْطِيٌ لِمَا مِنْهُ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ  
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ۲۰]

كل ذلك يوجب عقلاً وشرعًا وفطرة أن تكون العبادة كلها ظاهرها وباطنها لله رب العالمين، لا شريك له كما أمر بذلك فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاةَ وَنُسُكَ وَحُجَّةَ وَمَمَّا فِي  
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لا شريك له، وبذلك أقرت وانا أول المؤمنين [١٦٣] ﴿إِنَّمَا  
[١٦٣] الأنعام: ١٦٢-١٦٣﴾

والشرك أيضاً هو سبب الواقع في أعظم الخسارة بحبوط جميع الأعمال السابقة عليه متى طرأ عليه الشرك، ولا يشفع لذلك كثرة العمل، ولا حتى علو القدر، قال تعالى مخاطباً خيرة خلقه وصفوة رسليه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلَكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(١) تفسير الطبرى (٤٥٦-٤٥٥/٩).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من مات وهو يدعو لله ندأ دخل النار»<sup>(١)</sup>.

وعند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»<sup>(٢)</sup>.

وفي لفظ: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو على ناقته فأخذ بزمام الناقة وقال: يا رسول الله ما الموجبان؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار، دع الناقة، دع الناقة»<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد بلغ رسول الله ﷺ البلاغ المبين وحذر أمته وأنذر، وأبداً وأعاد، وخصوص في حماية الحنفية ملة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام التي بعث بها محمد ﷺ حنفية في التوحيد، سمححة في العمل.

قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والابتعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

#### **المسألة السادسة: أنواع الشرك وصوره:**

اعلم أن الشرك ينقسم إلى نوعين اثنين: الشرك الأكبر المخرج من الملة، والشرك الأصغر وهو دون ذلك.

قال الراغب الأصبهاني: «الشرك على ضربين:

أحدهما: الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى. يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم الكفر. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْنُطُ أَن يُشْرِكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] وذكر الآيات.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧).

(٢) صحيح مسلم (٩٣).

(٣) صحيح مسلم (١٣).

والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا عَطَاهُمْ فَتَعْلَمَ أَنَّهُمْ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَهٍ إِلَّا وَهُمْ مُشَرِّكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، أي: واقعون في شرك الدنيا، أي: حُبّالتها<sup>(١)</sup>.

**القسم الأول:** الشرك الأكبر، ويدخل فيه نوعان كبيران من الشرك تحت كل نوع صور وأقسام:

النوع الأول: شرك متعلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من الخلق والتدبير. وهو شرك في الربوبية.

والثاني: شرك في عبادته ومعاملته وهو شرك في الألوهية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إذا تقرر هذا فالشرك إن كان شركاً يكفر به صاحبه وهو نوعان: شرك في الألوهية، وشرك في الربوبية»<sup>(٢)</sup>.

وقال المقرizi رحمه الله: «الشرك شركان: شرك متعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاتاته»<sup>(٣)</sup>.

وقال في موضع آخر: «وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية»<sup>(٤)</sup>.

أما القسم الأول: الشرك في الربوبية، فأصل هذا الشرك وقاعدته «التعطيل»،

(١) المفردات (ص ٤٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٩١ / ١).

(٣) تجريد التوحيد المفيد (٦٩ - ٦٨).

(٤) المصدر السابق (٥٢).

والمقصود به تعطيل المخلوقات أن يكون لها حالاً أولاً واحداً، وتعطيل التدبير أن يكون للعالَم مدبر مهيمن واحد، يعبر به بعضهم (بتعطيل المصنوع عن صانعه، والمربي عن ربِّه، والمخلوق عن خالقه)<sup>(١)</sup>.

وهذا أصبح أنواع الشرك ويدخل تحته صور وأقسام:

**الصورة الأولى:** شرك التعطيل والإلحاد. كشرك فرعون عندما جادل في الله وجوده وخلقته للعالَم.

قال الله تعالى عنه في إنكاره وإلحاده وتعطيله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، وهذا يدل على إلحاده وتعطيله أن يكون للعالَم ربٌ وخالقٌ مدبر.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف،... ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرأ بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه»<sup>(٢)</sup>.

**الصورة الثانية:** شرك (الثنوية)، يسميه بعضهم شرك (الاستقلال)<sup>(٣)</sup>، وهو إثبات خالقين متكافئين للعالَم كل واحد مستقل بخلقته عن الآخر، وهذا شرك جميع طوائف (الثنوية) منهم (المانوية) و (المزدكية) وأشهرهم (المجوس) فإن هذا هو معتقدهم.

(١) المصدر السابق (٦٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥ / ٦٢١).

(٣) الكليات لأبي البقاء العكيري (٢١٦).

قال محمد بن عبد الكريم الشهريستاني: «ثم إن التشني اختصت بالمجوس، حتى أثبتو أصلين اثنين، مدبرين قديمين؛ يقسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والأخر الظلمة. وبالفارسية: يزدان وأهرمن»<sup>(١)</sup>.

الصورة الثالثة: شرك الفلاسفة أصحاب نظرية «العقل الفعال»، الذين يقولون بأنه لم يصدر عن الله إلا شيء واحد بسيط صدور العلة عن معلولها من غير إرادة ولا تأخر زمن، وأن هذا العالم بما فيه من مخلوقات إنما صدرت عن الفلك العاشر المسمى عندهم «العقل الفعال» فهذا عندهم رب كل ما تحته ومدبره.

وهذا شر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى وهو من أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد إلهية الله تعالى وربوبيته، وإسناد الخلق إلى غيره تعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم<sup>(٢)</sup>.

أما النوع الثاني من نوعي الشرك الأكبر: فهو الشرك في الألوهية، وهو شرك عامة المشركين من اليهود والنصارى والوثنيين.

وحذّ هذا الشرك وضابطه ما قاله العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «حذّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أنواع وأفراد العبادة لغير الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وشرح ذلك: أن الله تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب شرعاً وعقلاً وفطرة أن تكون العبادة

(١) الملل والنحل (٢٤٨)، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٩٦-٩٧).

(٢) تجريد التوحيد المفيد (٥٦) و (٧٠)، وانظر مجموع الفتاوى (٣/١١٣).

(٣) القول السديد على مقاصد التوحيد (٥٢).



كلها بجميع أنواعها القلبية والقولية والعملية لله تعالى وحده لا شريك له. فمن جعل تلك العبادات أو بعضها ولو فرداً واحداً منها لغير الله تعالى فقد رفع ذلك الغير وشَبَّهَهُ بمن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَفَّٰءٌ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] جل وعلا، وهذا أعظم الظلم وأقبح القبح، فاستحق فاعله أن لا يغفر الله له، ومصيره جهنم وبئس المصير.

وقال العلامة تقي الدين المقرizi: «فالشرك في الألوهية والعبادة: هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عباد الأصنام، وعباد الملائكة، وعباد الجن، وعباد المشايخ والصالحين الأحياء منهم، والأموات، الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكراهة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكراهة والزلف لمن يخدم أعون الملك وأقاربه وخاصة. والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده، وتقبع أهله، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متتفقون على ذلك، من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله»<sup>(١)</sup>.  
وهؤلاء أكثر مشركي العالم وهم طوائف جمة.

منهم: من يعبد أجزاء سماوية ك أصحاب الهياكل<sup>(٢)</sup> وعباد الشمس والقمر والأفلاك.

ومنهم من يعبد أجزاء أرضية كبعض الصخور والأشجار ومن هؤلاء أصحاب الأیكة، والأیكة هي الشجرة الكبيرة وهم قوم نبي الله ورسوله شعيب عليه الصلاة

(١) تجريد التوحيد المفيد (٥٣-٥٢).

(٢) انظر عنهم وعبادتهم للكواكب والنجوم كتاب الملل والنحل للشهرستاني (٣٣٥).

والسلام وهم أهل مدين<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى عنهم: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ تَبَيْكَهُ الْمُرْسَلِينَ ﴾١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعَّابُ الْأَنْجَوْنَ<sup>(٢)</sup> [الشعراء: ١٧٦-١٧٧].

وكانوا يعبدون شجرة عظيمة من دون الله تعالى، فبعث الله لهم نبيه شعيبا عليه السلام فكذبوه فأهلكهم الله بعذاب يوم الظلة.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْذَهْنَمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾١٧٨ [الشعراء: ١٨٩].

- ومنهم: من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة.

- ومنهم: من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة.

- ومنهم: من يزعم أن معبوده يقربه إلى الإله الأعلى الحي الله سبحانه.

فتارة تكثر الوسائل وتارة تقل، ومن هذا شرك عباد الأوثان والأصنام وشرك عباد القبور والأضرحة والأولياء والصالحين ويزعمون أنهم يفعلون ذلك لأن لهم عند الله تعالى الحظوة والجاه والمنزلة الرفيعة، فيجعلونهم وسائل بينهم وبين الله تعالى على حد قول الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ أَنْخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَزْلِكَاءَ مَا نَعْدُهُمْ بِإِلَّا لِقَرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِّبٌ كَفَّارٌ﴾ [ال Zimmerman: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائل يدعوهـم، ويتوكل عليهمـ، ويسألهـم جلب المنافع ودفع المضارـ، مثلـ أنـ يسألـهم غفرانـ الذنوبـ، وهـدايةـ القلوبـ، وتفريـجـ الكروـبـ، وسدـ الفاقـاتـ، فهوـ كافـرـ»

(١) انظرـ عنـهمـ تفسـيرـ ابنـ كثـيرـ (٥/٦٤٠).

بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: «وَإِنْ أَثْبَتْ وَسَائِطًا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ - كَالْحُجَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلْكِ وَرَعْيَتِهِ - بِحِيثِ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَهْدِي عَبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ بِتَوْسِطِهِمْ، فَالْخَلْقُ يَسْأَلُونَهُمْ، وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ،... فَمَنْ أَثْبَتْ وَسَائِطًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ... وَهُؤُلَاءِ مُشَبِّهُونَ لِلَّهِ، شَبَهُوا الْمُخْلُوقَ بِالْخَالِقِ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة تقى الدين المقرىزى رحمه الله: «اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخالق، وتشبيه المخلوق بالخالق، أما الأول: فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وهي التفرد بملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بمخالق فقد شبّهه بالخالق تعالى، وسوى بين التراب ورب الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا؟!»<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَأَهْلُ الشَّرْكِ يُشَبِّهُونَ الْخَالِقَ بِالْمُخْلُوقِ. كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ إِلَى ضَرِيْحِهِ خَطُواتٍ وَنَادِيهِ يَا شَيْخًا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُ، أَوْ تَوَجَّهُ إِلَى ضَرِيْحِهِ خَطُواتٍ وَنَادِيهِ يَا شَيْخًا، فَإِنَّهُ يَقْضِي حَاجَتَكَ، وَهَذَا غَلْطٌ لَا يَحْلِ فَعْلَهُ... وَالْعَجْبُ مِنْ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ يَسْتَوْصِي مِنْ هُوَ مَيْتٌ، يَسْتَغْيِثُ بِهِ، وَلَا يَسْتَغْيِثُ بِالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ... وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ إِلَى مَلْكٍ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَعْوَانِهِ فَهَكُذَا يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِالشَّيْوخِ. وَهَذَا كَلَامُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الواسطة بين الحق والخلق ضمن مجموع الفتاوى (١٢٤ / ١).

(٢) المصدر السابق (١٢٦ / ١).

(٣) تجرید التوحيد المفيد (٧٢-٧١).

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٢٧-٥٢٦) باختصار.

قال المريزي: «وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ، لكونه شبهه به، وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له، فأشرك معه سبحانه فيه غيره فبخله سبحانه حقه، فهذا قبيح عقلاً وشرعاً»<sup>(١)</sup>.

فما تقدم ذكره هو الشرك الأكبر، والضلال الأعظم، الناقص للإيمان، المخرج من ملة الإسلام المحكوم على فاعله بالخلود في جحيم النيران.

فذلك هو وعيد الله تعالى لجميع هؤلاء المشركين الآتين، والكافرين الجاحدين، والملحدين الزائغين. فهم جميعاً أعداء الله رب العالمين: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْجَاهِدِينَ، وَالْمُلْهُدِينَ الْزَّاغِيْنَ. فَهُمْ جُمِيعًا أَعْدَاءُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ أَنَّا رُّّاْئِرُّ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَلْدِ جَرَاءُ إِمَّا كَانُواٰ بِإِيمَانِنَا بِمَحْدُودُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى أيضاً مكرراً وعيده، محذراً عباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال الله تعالى في خطاب المسيح عليه السلام لقومه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ أَنَّا رُّّاْئِرُّ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى عن المشركين وآلهتهم التي يعبدون من دون الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ لَوْ كَانَ هُنُّكُلَّاءِ إِلَهَكُمْ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [١٦] لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا

(١) تجريد التوحيد المفيد (٧٦).

يسمون [١٠٠-٩٨] [الأنباء].

وقال تعالى: ﴿أَخْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾٢٢﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوْهُمْ إِلَى صَرَاطِ الْجَحِيْمِ ﴾٢٣﴿ وَقَفْوُهُرَ إِلَيْهِمْ مَسْتُؤْلُونَ ﴾٢٤﴿ مَا الْكُوْنُ لَأَنَّا صَارُونَ ﴾٢٥﴿ بَلْ هُوَ أَنْوَمُ مُسْتَنْلِمُونَ ﴾٢٦﴿﴾ [الصافات: ٢٦-٢٢].

والآيات في ذم الشرك ووعيد الله لأهله بالخلود في الجحيم في عذاب أبدى وشقاء سرمدي آيات كثيرة معلومة من كتاب الله تعالى.

أما النوع الثاني: وهو الشرك الأصغر: وهو دون الشرك الأكبر، وهو لا ينقض الإيمان بالكلية، ولا يخرج فاعله من ملة الإسلام، ولكنه على ضلال كبير وخطر عظيم.

وعلى المسلم الحذر منه، والابتعاد عن مقدماته وأسبابه.

ووحد هذا الشرك الأصغر كما قاله العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «كل وسيلة وذریعة يُتَطَرَّقُ منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»<sup>(١)</sup>.

وقد مثَّلَ الشِّيخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَهُ اللَّهُ لِلشَّرْكِ الْأَصْغَرِ بِأَمْثَالَهُ فَقَالَ: «كَيْسِيرُ الرِّيَاءِ، وَالْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَقَوْلُ: هَذَا مِنْ اللَّهِ وَمِنْكُمْ، وَأَنَا بِاللَّهِ وَبِكُمْ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي عَلَى الْفَاظِ النَّاسِ كَثِيرًا»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الباب: الاستسقاء بالأنواء والنياحة على الميت، والتسلل إلى الله

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٥٣).

(٢) انظر كتاب عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية للدكتور صالح العبود (٤٢٨).

بغير الوسائل الشرعية، كالتوسل بالذوات والأشخاص والجاه ونحو ذلك.

قال النبي ﷺ: «ثنتان في أمتي هما بهم كفر، الطعن في الأنساب والنياحة على الميت»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث زيد بن خالد الجهني: «صلينا مع رسول الله ﷺ بالحدبية على إثر سماء كانت من الليل فلما قضى الصلاة قال: أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مطربنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطربنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد أشرك»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بالأمانة فليس منا»<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَرَبَّعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتَرَكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالْطَّعْنُ فِي الْأَسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالْتُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»<sup>(٥)</sup>.

ونحو هذه النصوص التي أخذ من مجموعها العلماء قاعدة تضبط صور الشرك الأصغر، وهي: أن كل ذنب أطلق الشارع عليه «كفر» أو «شرك» مجرداً من «أَل» أو «ليس منا» أو «من عمل الجاهلية» فهو من صور الشرك الأصغر.

وقد أصل الإمام البخاري لهذا في الجامع الصحيح فقال في كتاب الإيمان:

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

(٢) البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) واللفظ له، والترمذني (١٥٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (٩٣٤).

باب كفران العشير وكفر دون كفر.

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «مراد البخاري أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيماناً، كذلك المعا�ي تسمى كفراً، ولكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد به الكفر المخرج من الملة»<sup>(١)</sup>.

ومن أخطر صور هذا الشرك الأصغر: هو الرياء، وهو أن يراغي المسلم بعمله الصالح الناس لكسب محمدة أو مال أو دفع مذمة ونحو ذلك، وقد سماه بعض العلماء: الشرك الخفي.

وقد بين النبي ﷺ خطورة الرياء وحذر منه وأخبر أن الله تعالى لا يقبل عملاً من أحد إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه الكريم.

قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «تركته للذي أشرك»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَأِي يُرَأِي اللَّهُ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وعلاج هذا الرياء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك، فلينظر إلى المعطي الأول، فيشكره على ما أولاه من النعم... لأن النعم كلها من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُكُمُّ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة؛ فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها، وساقها إلى من يشاء من عباده... فهو الأول والآخر. ومما يقوى هذا المعنى قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على

(١) فتح الباري (١٤٩/١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» قال الترمذى: هذا حديث صحيح. فهذا يدل على أنه لا ينفع في الحقيقة إلا الله، ولا يضر غيره... فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم، وتجرد التوحيد في قلبه، فقوى إيمانه، وانشرح صدره وتنور قلبه، ومن توكل على الله فهو حسنه، ولهذا قال الفضيل بن عياض رحمة الله: «من عرف الناس استراح»، يريد - والله أعلم - أنهم لا ينفعون ولا يضرون... وأما الشرك الخفي فهو لا يكاد أحد أن يسلم منه، مثل أن يحب مع الله غيره... وإنما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى، وهذا لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله تعالى، وهو دليل على نقص محبة الله تعالى، إذ لو كملت محبته لم يحب سواه. وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك، فإن كمل خوف العبد من ربه تعالى لم يخف شيئاً سواه... وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته، يكون الخوف كما ذكرنا في المحبة، وكذا الرجاء وغيره. فهذا هو الشرك الخفي، الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى، وقد رُوي أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، وطريق التخلص من هذه الآفات كلها: الإخلاص لله تعالى قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَهَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد ولا زهد إلا بتقوى والتقوى متابعة الأمر والنهي<sup>(١)</sup>.

لذلك فإننا نعرض هنا بعض صور الشرك الأصغر التي يكثر الواقع فيها في المسلمين ويتساهمون بها، وهي تجرهم إلى أعظم الضرر وأشد الخطر تحذيرًا وتنبيهًا فمن ذلك وضع سوار من نحاس على المعصم لدفع العين والحسد وكذلك

(١) مجموع الفتاوى (٩٤-٩٢/١) باختصار.

لبس قلادة من أصوات أو خيوط سود أو حمر لدفع البلاء والعين ونحو ذلك. ومن تراجم كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه»<sup>(١)</sup>. وكذلك ما تصنعه النساء جهلاً وتقلidiًّا لحفظ مولودها الصغير فتضيع سكينًا مثلًا في فراشه أو ثيابه أو تضع خيطًا أحمر في معصميه أو عنقه أو تعلق مشبكًا من حديد في ملابسه ونحو ذلك لرد عين الناس وحسدهم. وهذا من الجهل الغريب أن يعمد مسلم يؤمن بالله تعالى إلى صنع شيء من ذلك.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يترفع عن صنع شيء من ذلك، فإن الله تعالى إذا أراد شيئاً وقدره لا يستطيع أحد رده ولا منعه، وإذا منع شيئاً لا يستطيع أحد إيقاعه، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

قال الله تعالى: «فَلَمَّا أَفْرَى يَثُورَ مَا تَذَعَّنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضَرٍّ هَلْ هُنَّ كَشِفَتُ ضُرُورَةٍ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي، فَلَمَّا حَسِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» [الزمر: ٣٨]، أي: أن الله تعالى حسبي وكافيتي ومن جعل الله حسبي كفاه، ومن توكل عليه بصدق وقام.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من نحاس فقال له: ويحك ما هذه؟ قال: من الواهنة - يقصد أن هذه الحلقة تحفظه من الواهنة وهو مرض يصيب عرقاً في اليد والعضد - فقال له رسول الله ﷺ: أما إنها لا تزيدك إلا وهنَا، ابىذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»<sup>(٢)</sup>.

(١) كتاب التوحيد (٢٧).

(٢) رواه أحمد (٢٠٠٠)، وابن ماجه (٣٥٣١)، والحاكم (٧٥٠٢) وصححه وأقره

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»<sup>(١)</sup>.  
والتميمة شيء من خرز أو نحوه يعلقونه لدفع الآفة والعين ونحوها، والودعة شيء يخرج من البحر كالصدف يتقون به الجان والعين زعموا.

ومن ذلك أيضاً شرك الألفاظ مثل الحلف بغير الله، كأن يقول: والكعبة، وحياتك، والنبي، والأمانة ونحوها، وقول الرجل: ما شاء الله وشاء فلان، لو لا فلان لحصل لنا كذا، فإن هذا من الشرك الأصغر، وقد نهى عنه النبي ﷺ وحذر منه.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله نذراً؟!! قل: ما شاء الله وحده»<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(٣)</sup>.

وعن بريدة مرفوعاً: «من حلف بالأمانة فليس منا»<sup>(٤)</sup>.  
ومما عمت به البلوى في بلاد المسلمين وشاخ عليه الكبير وشب عليه الصغير من الأفعال الشركية الخطيرة، دعاء الأموات والاستغاثة بهم وبناء المساجد على أضرحتهم وقبورهم وجعلها مزارات ومشاهداً تشد لها الرجال ويقصدها النساء والرجال، وتذبح لها القرابين، ويطاف بها ويتمسحون بها، ويبكون عندها،

الذهبي.

(١) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وأبو يعلى (١٧٥٩)، والحاكم (٧٥٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).



ويسألون ويستغثون بالمقبور، ويستجيرون به من عظام الأمور، وإنها لفتنة طمت وعمت وما بقي من بلاد المسلمين - مع الأسف والحزن الشديد - من بلد إلا وفيه من هذه الأمور يدمي القلوب ودعاء الموتى والاستغاثة بهم ودعاؤهم من دون الله تعالى تصل بالإنسان إلى الشرك الأكبر الناقض للإيمان والمخرج من الملة وهو يظن أنه يحسن صنعاً<sup>(١)</sup>.

وحمى الله تعالى بفضله هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - من هذه المظاهر الخطيرة، فلا أضرحة فيها تزار، ولا مساجد تبني على القبور - والحمد لله - نسأل الله تعالى أن يديم عليها هذه النعمة وأن يوفق ولاة الأمر فيها على المحافظة على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٠٦ وَإِنْ يَمْسِسَكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَايِشَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِنَ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ١٠٨ وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءٌ وَكَانُوا يَسَّادُهُمْ كُفَّارٌ ١٠٩ ١١٠﴾ [الأحقاف: ٦-٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١١﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ومن ذلك أيضاً إتیان الكهنة والعرافين والمشعوذين والسحرة وسؤالهم وتصديقهم بما يقولون ويزعمون، والاستغاثة بهم في العثور على الصالة. أو في الإضرار بأحد، أو التفريق بين الزوجين، ونحو ذلك أو استخارتهم عن بعض

(١) انظر كتاب: دموعة على التوحيد، من إصدارات المنتدى الإسلامي.

المغيبات مما سيجري في مستقبل الأيام، واتباع مشورتهم.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الحكم بالكفر في هذا الحديث ينطبق على من أقر العرافين والكهنة والسحرة وصدقهم بما يقولون معتقداً فيهم أنهم يطلعون على المغيبات وأن لهم قدرات خارجة عن مقدور البشر، وأنهم يعلمون الأسرار، أما من أتاهم وسائلهم ولم يصدقهم ولم يعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب فإنه لا ينطبق عليه الحكم السابق، ولكن يعاقب بالحرمان من قبول صلاته أربعين يوماً، لما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً فسألة عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً وليلة»<sup>(٣)</sup>.

اللهم أصلح أحوال المسلمين وبصرهم بدينهم واهدهم جميماً إلى الحق والهدى والدين القويين. آمين.

فعلى جميع المسلمين أن ينثروا بالله تعالى ويخلصوا العبادة والتوحيد له، ويحققوا التوكل الصادق عليه تعالى. ويخلصوا المتابعة والاقتداء بخاتم

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٣٩) والحاكم في المستدرك (١٥) واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البزار (٣٥٧٨)، يستد جيد عن عمران بن حصين، وله شاهد عند الطبراني في المعجم الأوسط (٤٢٦٢) من حديث ابن عباس.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٠).

الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحذروا قليل الشرك وكثيرة، ودقة وجلة، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، فتلك النجاة، وذلك الفوز العظيم.

ثالثاً: توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته: (توحيد الأسماء والصفات).

تقدّم أن ما يحقق الإيمان بالله تعالى ثلاثة أنواع من التوحيد وجب على العبد أن يأتي بها، وقد مضى الحديث عن (توحيد الربوبية)، وكذلك عن (توحيد الألوهية). وهذا أوان الحديث عن (توحيد الأسماء والصفات).

ويتضح ذلك بذكر مسائل تجمع أصوله ومقدماته وفضله وشرفه.

### المسألة الأولى:

إن معرفة الله تعالى، بما له من جميل الصفات وعظيم الأسماء على سبيل الإثبات والتفصيل أمر في غاية الأهمية والضرورة وذلك للأمور الآتية:

**الأمر الأول:** كل شيء موجود ثابت الوجود، لا بد أن تكون له صفة تميزه عن غيره بها يعرف ويوصف، ولا بد له من اسم يدل عليه به ينادي ويطلب.

ولما كان الله تعالى أعظم الموجودات كلها وأقدسها وأجلها وأكبرها، كان لا بد أن يكون له من الصفات الجليلة المقدسة ما يقع به أعظم التمييز بين الخالق العليم القدير، والمخلوق الضعيف الفقير.

ويكون له من الأسماء الحسنة الجميلة ما يدل عليه ويُعرف به، وينادى به، ويطلب ما يسع الخلق جميعاً في جميع أحوالهم، لأن العقلاء جميعاً متفقون أن الذي لا اسم له يدل عليه ولا صفة له تميزه: أنه لا شيء؛ بل هو عدم محض.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ٩٨]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَكَدُ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه»<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني: إن شرف العلم بشرف المعلوم، فلما كان الله تعالى أعظم الأشياء وأقدسها جل وعلا كان العلم الذي يعرف به ويدل عليه أشرف العلوم وأقدسها وأبركها، وذلك هو علم أسمائه الحسنى وصفاته العلا، فإن الله تعالى تعرف إلى خلقه بنعوت الكمال وصفات الجلال والجمال، وسمى نفسه لهم ليعرفوه ويعبدوه، ويُجلُّوه ويدعوه ويطلبوه.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ زَيَّبَهَا يَنْهُوسِي﴾<sup>(٢)</sup> قال ربنا الذي أنتَ أنتَ كل شئ خلقه، ثم هَدَى<sup>(٣)</sup> [طه: ٤٩ - ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
فَلَيَسْتَحِبُّوا لِوَلِيَّهُمْ يَرْسُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَزِيزٌ الْغَيْبٌ وَالشَّهِدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>  
 ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْمُفْدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمِّمُ الْمَرِيرُ  
 الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيلُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ  
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسِّيْحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٧)</sup> [الحشر: ٢٤ - ٢٢].

الأمر الثالث: إن توحيد الأسماء والصفات ومعرفته على سبيل التمام والإثبات والتفصيل شامل لنوعي التوحيد السابقين؛ توحيد الله في ربوبيته، وتوحيد الله في ألوهيته.

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٥).

وحقيقة ذلك: أن أسماء الله تعالى المتضمنة لمعاني أفعال الربوبية إذا عرفها العبد وأمن بها، فقد عرف توحيد الربوبية على وجهه.

كأسماءه تعالى (الرب) و (الرازق) المتضمن لمعنى السيادة المطلقة والقيام بأحوال وأرزاق الخلق جميعاً، واسم (الخالق) و (الخلق) المتضمن معنى كونه خالق السماوات والأرض وما فيهن، والقيوم والمهيمن والجبار ونحوها.

وكذلك أسمائه الدالة على الوهية وأنه الإله الواحد الأحد، الحقيق أن يعبد وبيعظم، كاسمه تعالى الله المشتق من الإله، واسمه تعالى الرحمن، قال تعالى:

\* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِرَبِّنِي فَأَلُوا وَمَا أَرَحَنُ أَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَرَادَهُمْ ثُفُورًا \* (٦٠)

[الفرقان: ٦٠].

### المسألة الثانية :

باب أسماء الله وصفاته باب توقيفي يجب الوقوف معه عند النصوص الشرعية من كتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ، لأنه باب غيبي لأننا آمنا بالله عن طريق الغيب، فالله تعالى بالنسبة لنا غيب، لا نراه ولا يراه أحد في هذه الدنيا، ولا نعلم كيف هو، ولا يعلم كيف هو إلا هو تعالى، ولا أحد أعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته بعده تعالى من رسوله الكريم ﷺ، فلا يسمى الله تعالى باسم ولا يوصف بوصف عند أهل السنة والجماعة إلا بما سمى ووصف به نفسه، وسماه ووصفه رسوله ﷺ، لا يُتعدى نصوص الكتاب والسنة؛ فإن النبي ﷺ أحكم هذا الباب العظيم غاية الإحكام، ووضحت تمام التوضيح، وبينه وفضله تفصيلاً لا مزيد عليه في معرفة الله تعالى ونعته وكماله وجلاله وجماله، وتلقاه عنه أصحابه الكرام والتبعون لهم بإحسان على سبيل الإثبات والتفصيل، والتزييه والكمال.

(١) انظر كتاب: دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس (٨٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: « فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعوا إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته - محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء والصفات وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهدایة، وأفضل و أوجب ما اكتسبته القلوب وحصلتة النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً!

ومن المحال أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة، وقال: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك»، وقال فيما صر عنه أيضاً: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم».

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا».

وقال عمر بن الخطاب: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازهم وأهل النار منازهم، حفظ ذلك من حفظه ونسى ذلك من نسيه»<sup>(١)</sup>.

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك

(١) رواه البخاري معلقاً (٣١٩٢).

تعليمهم ما يقولونه بالسنته ويعتقدونه في قلوبهم، في ربهم ومعبودهم رب العالمين. الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟!

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه: فمن المحال أن خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع.

(أما الأول): فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته.

وليس النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى - الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلّف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدّهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبارًا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائلين: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هذا الباب عنهم: أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبّعه، ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما قد يقوله بعض الأغياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من قال: إن (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحکم)، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحًا.

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتكلّفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بـألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُتْبِعُونَ لَا يَتَّمُرُونَ إِلَّا أَمَانَةً﴾.

وأن طريق الخلف هي استخراج معاني النصوص المتصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب (تلك المقالة) التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا متربدين بين الإيمان باللفظ وتفسير المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلى معانٍ نوع تكليف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل

مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنواها بینات وهي شبہات، والسمع حرفاً فيه الكلم عن موضعه.

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلائهم واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتقطعوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصبة السبق في هذا كله.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة،  
 - لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثُر في باب الدين  
 اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم...

وقال رحمة الله:

«ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّقَ عليهم الأمر: لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخاصُّ المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحظوظون، المفضولون، المنتووصون، المسبوقون، الحيارى، المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكام في باب ذاته وأياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهما بإحسان من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما بروزا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟!»<sup>(١)</sup>.

(١) الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى (٥/٦-١١) باختصار.

وقال رحمه الله:

«ثم كيف يكون خير قرون الأمة انقص في العلم والحكمة - لاسيما العلم  
بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصغراء بالنسبة إليهم؟

أم كيف يكون أفراد المتكلسفة وأتباع الهند والميونان وورثة المجوس  
والمرجعين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله  
من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان»<sup>(١)</sup>.

## أسماء الله الحسنى

يجب أن يراعى في معرفة أسماء الله الحسنى، والإيمان بها الأمور الآتية:  
 أسماء الله الحسنى باللغة الحسن، فلا أحسن منها لا في ألفاظها ولا في معانيها، ولا في وقوعها على النفوس، وفيضها على القلوب.

وصف الله تعالى أسماءه بأنها حسنى:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخَيْرَى﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ١١٠].

٢ - أسماء الله تعالى ينظر إليها باعتبارين:

الاعتبار الأول: أسماء الله أعلام تدل على الله تعالى وبها يعرف وبها يدعى وهي بهذا الاعتبار متراشفة، فإذا دعى العبد ونادى ربه بأي اسم من أسمائه الثابتة له فقد نادى ودعى الله وحده ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخَيْرَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

والاعتبار الثاني: أسماء الله تعالى أوصاف، أي أنها ذات معانى فكل اسم من أسمائه تعالى له معنى، ومعانى أسماء الله تعالى صفات ثابتة له.  
 فاسم الله الخالق يدل على اتصف الله بصفة الخلق.  
 واسم الله الغفور يدل على اتصف الله بصفة المغفرة.

(١) انظر كتاب القواعد المثلثى للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله (١٧).

واسم الله القوي يدل على اتصف الله بصفة القوة. وهكذا<sup>(١)</sup>.

٣- أسماء الله تعالى لا حصر لها، وغير متناهية، لأن صفات الله وكمالاته لا حصر لها، وغير متناهية، هذا أصل عظيم يجب اعتقاده.

في حديث الشفاعة الطويل من رواية أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهمَا، قال النبي ﷺ: «يفتح الله عليَّ من محاذه وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه عليَّ من قبل»<sup>(٢)</sup>.

وحسن الثناء والحمد لا يكون إلا بالأسماء والصفات.

وفي حديث الحسن بن علي في دعاء القنوت: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٣)</sup>، فأخبر أنه لا يحصي ثناءً على الله تعالى بل إن كلمات الله تعالى وهي صفة واحدة من صفاته، لا حصر لها، وغير متناهية.

قال تعالى في الكهف: «فُلْ نَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلْمَنَتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَدَ كَلْمَنَتِ رَبِّي وَلَزَ جِنَانِي مِثْلِهِ، مَدَادًا»<sup>(٤)</sup> [الكهف: ١٠٩].

وقال تعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَمْ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ، مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلْمَنَتُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup> [لقمان: ٢٧].

ولا يشكل على هذا التقرير ما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تسعه وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر القواعد المثلية لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله وما بعدها (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

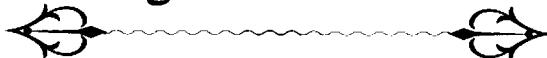
(٣) أخرجه أحمد (٩٥٧) والترمذى (٣٥٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٠).

فإن المراد بالحديث: إن الله أنزل في كتابه تسعه وتسعين أسمًا من أسمائه الكثيرة التي لا حصر لها، ولذلك أمر بطلبها وحفظها ومعرفتها وجعل ذلك من الأعمال الموصولة لدخول الجنة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، وبؤيده قوله عليه السلام في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان: «أسألك بكل اسم هو لك سميته به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»... وقال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد، وليس فيه منع ما عدتها من الزيادة»<sup>(١)</sup>.

## صفات الله تعالى



يقوم الاعتقاد الصحيح بصفات الله تعالى عند أهل السنة والجماعة على ثلاثة أساس عظيمة:

**الأساس الأول: الإثبات**، فيجب أن يثبت لله كل ما أثبته لنفسه من جميل الصفات في كتابه الكريم، وما أثبته له رسوله الله ﷺ فيما صح من الأحاديث النبوية الشريفة، لأنه لا أحد أعلم بالله وما يليق به من الله تعالى بنفسه، ولا أحد أعلم بالله وما يليق به بعد الله تعالى من رسوله المصطفى ﷺ.

والصفات المضافة إلى الله تعالى في القرآن والسنة على طريقتين:

\* طريقة الإثبات.

\* وطريقة النفي.

أما الإثبات فإن القرآن والسنة مليئان بإثبات الصفات لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَرَجَحُنُّ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوْيَ﴾ [طه: ٥].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله تعالى: ﴿فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

قوله تعالى: ﴿الَّهُ الْقَيُومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وغيرها كثير.

والقرآن جاء بإثبات مفصل ونفي مجمل.

أما النفي فإنه مجمل في القرآن الكريم، والنفي لا يأتي في القرآن والسنة

لأجل النفي الممحض، وإنما يأتي لإثبات كمال ضد المنفي.

مثال ذلك:

قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، فنفى عن نفسه السنة، وهي أوائل النوم، والنوم الثقيل ليدل على إثبات كمال الحياة والقوة والقيومية.

وقال تعالى: ﴿لَا يَضُلُّ رَقِّ وَلَا يَسْنَى﴾، ليدل على كمال العلم والإحاطة والإدراك.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] ليدل على كمال القوة والقدرة وهكذا<sup>(١)</sup>.

الأساس الثاني: تزييه الله تعالى عن مشابهة الخلق، فالله تعالى لا يشبهه شيء، من المخلوقات لا في ذاته القدسية ولا أسمائه وصفاته العلية ولا أفعاله العظيمة ولا حقوقه الجليلة.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، أي شبيها يساميه ويماثله.

وهذا استفهام يتضمن إنكار أن يكون لله سمي تعالى الله وتقديره.

الأساس الثالث: تفويض علم حقائق صفات الله وكيفياتها كما هي عليه إلى الله فإن هذا مما لا سبيل إلى العلم به ومعرفته.

---

(١) انظر العقيدة التدميرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٣٥ / ٣).

فتحن نؤمن بمعاني أسماء الله وصفاته باللسان العربي الذي خوطبنا به في الكتاب والسنّة ولا نعلم كيفية صفة الباري تعالى كما هي عليه، لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

مثال ذلك: قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فأخبر تعالى أنه استوى على عرشه، وهذا معناه أنه: علا وارتفع على عرشه العظيم لأن كلمة (استوى) في لغة العرب إذا عُدِّيَت بحرف الجر (على) تعني (علا وارتفع)، أما كيفية استواء الله تعالى على عرشه فمن علم الغيب الذي لا علم للخلق به، والله يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾.

سأل رجل الإمام مالكا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك وعلاه العرق هيبة للأمر ثم ألهمه الله هذا الجواب السديد فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وتأويلي للصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمهها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فالاستواء معلوم - يعلم معناه ويترجم بلغة أخرى - وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

ويتبين ذلك بأصلين عظيمين، ونموذجين تطبيقيين:

أما الأصلان العظيمان:

(١) انظر الروايات عن مالك: كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٠).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦-٣٧).

فالأصل الأول: القول في صفات الله فرع عن القول في ذاته يحدو حذوه. فإذا كنا ثبتت ذاتاً لله تعالى مقدسة علية لا تشبه ذوات المخلوقين بأي وجه من الوجوه، ومع ذلك نحن نجهل حقيقة وكيفية ذاته تعالى لعجز إدراكاتنا عن تصورها، فإن القول في صفاته كذلك، فنحن ثبتت صفات الله تعالى على الوجه اللائق بالله تعالى مع جهلنا بحقائق وكيفيات تلك الصفات.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> [طه: ١١٠].

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: «إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويتحدى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكيف.

إذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولستنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، وإنما نقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها، لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوه منه من العلماء لا يحصى عددهم، مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمارة السجيري وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي، وشيخ الإسلام أبي عثمان

(١) العقيدة التدميرية، ضمن مجموع الفتاوى (٣/٢٥).

(٢) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى (٥/٥٨). ٥٩

الصابوني، وأبي عمر بن عبد البر إمام المغرب وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يفيد في قطع الوسواس عن النفس فإن الشيطان ربما يلقي في تصور المسلم بعض الصور والكيفيات عن الله تعالى فعلى المسلم أن يعلم يقيناً أن الله تعالى على خلاف ذلك، فيقطع دابر الوسواس ويخزي الشيطان ويريح النفس، ويعلم أن الله تعالى من العظمة بحيث لا تدركه خيالات العباد ولا تصوراتهم.

**الأصل الثاني:** أن القول في جميع صفات الله تعالى من باب واحد، وهو أنها نسبتها كما جاءت بها النصوص على ظاهرها بحكم اللسان العربي الذي خوطبنا به في القرآن والسنة ومع ذلك لا ندرك من كيفيات تلك الصفات شيئاً<sup>(٢)</sup>.

فلا نذهب نثبت بعض صفاته تعالى بزعم أن العقل يقبلها، ونرد بعضها الآخر بزعم أن العقل لا يقبلها، بل على العقل أن يسلم في هذا الباب الغيبي العظيم لما جاءت به النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه ومضى عليه سلف هذه الأمة في قرونها الأولى؛ فإن ذلك هو الحق المبين، وما عداه هو وساوس النفوس وجهد العقول القاصرة، ووساوس الشياطين.

**أما النموذجان التطبيقيان:**

**فال الأول:** عن أبي رَزِين العُقَيْلِي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يضحك ربنا جل وعلا من قنوط عباده مع قرب غيره»، قال أبو رزين: أو يضحك رب يا رسول الله؟! قال: نعم.

(١) المصدر السابق (٥٩/٥).

(٢) التدمرية ضمن مجموع الفتاوى (١٧/٣).

قال أبو رزين: إذن لن نعدم من رب يضحك خيراً<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى هذا الصحابي العربي العاقل: سمع رسول الله ﷺ يتكلم بلسان عربي مبين ويقول: يضحك ربنا جل وعلا من قنوط العباد مع قرب فرجهم.

فهم المعنى، وسأل عنه النبي ﷺ سؤالاً مباشراً أو يضحك الرب تعالى؟ فقال ﷺ: «نعم»، فاستقر المعنى في نفسه، مع علمه بقداسة ووحدانية ربه، وأنه ليس كمثله شيء، وترك البحث في الكيفيات، وذهب مباشرة إلى الاستثمار لهذا العلم الغيبي الجليل من هذا النبي الكريم عليه السلام، فقال: إذن لن نعدم من رب يضحك خيراً، فإذا علم المسلم أن ربه تبارك وتعالى يرضى ويفرح ويضحك، ويتوسل ويغفر ويرحم، ولد ذلك كله في نفسه الطمأنينة والأمل العظيم، فلا يأس ولا قنوط من رحمة الرحمن الرحيم.

**النموذج الثاني:** جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك وعلاه الرخصاء -العرق الشديد- ثم رفع رأسه وقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا رجل سوء ثم أمر به فأخرج»<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى هذا الإمام الكبير مالك، كيف هاله السؤال حتى نصح العرق الكثير، إجلالاً وهيبة للسؤال عن حقيقة وكيفية استواء الله على عرشه، ثم فتح الله عليه

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/١١-١٢)، وانظر إتحاف المهرة الخيرة للحافظ ابن حجر (٣/٧٩)، وفي سنته وكيع بن حُدُس ذكره ابن حبان في الثقات، انظر التهذيب (٦/٨٢).

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (٢/١٥٠).

بهذا الجواب البليغ الرائع.

فأخبر أن الاستواء معناه في لغة العرب مفهوم معروف، وهو أن استوى إذا عدي بحرف الجر على فإن معناه في لسان العرب (العلو والارتفاع) وأما كيفية استواء الله تعالى على عرشه فهي من علم الغيب الذي لا سبيل للخلق لمعرفته، وأنى لهم ذلك، والإيمان بأن الله استوى على عرشه واجب لإخبار القرآن الكريم به والسؤال عن ما لا يمكن معرفته ضرب من العبث والبدعة.



## أفعال الله تعالى

والمراد بها: ما أضيف في النصوص الشرعية إلى الله تعالى بصيغة الفعل:

١ - أفعال الله تعالى نوعان اثنان:

**النوع الأول:** أفعال لازمة، وهي صفات فعلية قائمة بذات الله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله وجماله، لا تتعدي إلى مفعول.

كاستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر، والضحك والفرح، والغضب ونحوها.

**النوع الثاني:** أفعال متعدية تتعدي إلى مفعولات، فالصفة قائمة به تعالى، ولها أثر هو المفعول المخلوق.

صفة الخلق مثلاً: صفة قائمة بذات الله فهو الخالق والخلاق، ولها أثر وهو هذه المخلوقات التي خلقها الله تعالى التي تملأ هذا العالم الفسيح.

وكذلك صفة الرزق، والإحياء والإماتة ونحوها.

٢ - يدخل في باب الفعل المتعدد عموم صفة الفعل المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٤٠].

وتحت عموم صفة الفعل يدخل كل ما ذُكر في القرآن من أفعال بصيغة الفعل مضافاً إلى الله تعالى كالاستهزاء والسخرية والمكر والكيد.

وللنظر إليها بشيء من التوضيح:

أـ قوله تعالى: ﴿الَّهُ يَسْتَهِزُ بِهِمْ وَيَنْذِهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٥] فالقائم بذات الله تعالى هو صفة الفعل، أنه تعالى يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء، ولكن الاستهزاء مفسر مبين بما يوضح المراد منه.

فالله يستهزئ بهم جزاءً وفاقاً على استهزيائهم بالله ورسوله وأياته والمؤمنين، واستهزيائه تعالى بهم يكون في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فقد وضحته نفس الآية، وهو أنه تعالى يملأ لهم ويمدهم بما يشتهونه ليظلوها على طغيانهم وليزدادوا عمها على عمهم، وعمى على عماهم، فلا يصرون رشدًا ولا يعرفون حقاً، حتى يهلكهم الله تعالى.

قال النبي ﷺ: «مثل المنافق كمثل الأرزة المجدية لا تزال قائمة حتى يكون انجعافها مرة واحدة»<sup>(١)</sup>.

وأما في الآخرة فكما دلت عليه آية سورة الحديد وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَهُوَلُ الْمُتَفَقُونَ وَالْمُتَفَقَّتُ لِلَّذِينَ أَمَنُوا أَنْظَرُونَا نَفَيْسٌ مِنْ ثُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِعُوكُمْ وَرَأَءُكُمْ فَالْتَّيْسُوا نُورًا فَصَرِيبَ يَنْهَمُ بِسُورِ لَهُمْ بَابٌ بِاطِّنَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [١٢] ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَنَثَرْتُ أَفْسَكُكُمْ وَرَتَصَّتْ وَأَرْتَبَّتُكُمُ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِإِلَهٍ غَرُورٍ﴾ [١٣] [١٤-١٣].

وقد ذكر الإمام الطبرى رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿الَّهُ يَسْتَهِزُ بِهِمْ﴾ أقوالاً:

القول الأول: استهزاؤه بهم، كالذى أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيمة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَقُونَ وَالْمُتَفَقَّتُ لِلَّذِينَ أَمَنُوا أَنْظَرُونَا نَفَيْسٌ مِنْ ثُورِكُمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٠).

فَيَلْأَبِحُوا وَلَمَّا كُنُّوا فُورًا فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنَهُ، فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ، مِنْ فِيلِهِ الْعَذَابُ

(١٣) يَنَادُونَهُمْ أَلَّمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا يَكُنْ وَلَكُنْ فَنَشَرَ أَفْسَكُمْ وَرَتَّصَمْ وَأَرْتَشَمْ وَغَرَّكُمْ الْأَمَانُ

حَتَّىٰ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) [سورة الحديد: ١٣ - ١٤]، ثُمَّ قَالَ: وَكَالذِّي أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِالْكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: «وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا تُمْلَىٰ لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا تُمْلَىٰ لَهُمْ لِيَرَدَّوْهُ أَثْسَأً» [آل عمران: ١٧٨].

القول الثاني: أن استهزأوه بهم، توبيخه إياهم ولو مه لهم على ما ركبوا من معاصي الله والكفر به، أو إهلاكه إياهم وتدميره بهم.

القول الثالث: أن قوله تعالى: «الله يَسْتَهِزُ بِهِمْ» قوله: «مُخْدِعُونَ اللَّهُ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ» [النساء: ١٤٢]، قوله: «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» [التوبه: ٧٩]، قوله: «سُوا اللَّهُ فَنَسِيَهُمْ» [التوبه: ٦٧]، وما أشبه ذلك، إخبار من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم، مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنian.

القول الرابع: أن معنى ذلك: أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردمتهم قالوا: إننا معكم على دينكم في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به، وإنما نحن بما نظهر لهم - مستهزئون. يعنون: أننا نظهر لهم ما هو عندنا باطل. فأخبر الله أنه «يَسْتَهِزُ بِهِمْ»، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة، كما أظهروا للمؤمنين خلاف ما في سرائرهم.

ثم قال الطبرى رحمه الله: «والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المُسْتَهِزِئِ لِلْمُسْتَهْزَئِ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهراً، وهو بذلك من قيله و فعله به مورثه مساءة باطنًا، وكذلك معنى

الخداع والسخرية والمكر»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿أَللهُ يَسْتَهْرِي بِهِمْ﴾، أي يجازيهم جزاء استهزائهم، سمي الجزاء باسمه لأنه بمقابلته»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: جواباً لهم و مقابلة على صنيعهم»<sup>(٣)</sup>.

بــ قوله تعالى: «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَنْكِرِينَ ﴿٦﴾» [آل عمران: ٥٤]، فإنه لا يكاد يذكر الله مكره بأعدائه من الكفار والمنافقين إلا وفي نفس الآيات أو غيرها ما يفسره ويبين المراد منه.

فهذه الآية السابقة من آل عمران، فمكرهم: هو مكر اليهود وكيدهم وتأمرهم على قتل وصلبنبي الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

ومكر الله بهم هو إنقاذه لنبيه عيسى عليه السلام ورفعه إليه قبل أن يتمكنوا منه وإلقاء شبهه على غيره فأخذوا هذا الغير ظانين أنه هو المسيح عيسى فقتلوه وصلبوه ظانين أنهم قتلوانبي الله وكلمته عيسى ابن مريم، والحقيقة أنهم ما قتلوا وما صلبوه ولكن شبه لهم، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكينا»<sup>(٤)</sup>.

جــ قال تعالى: في سياق قصة نبيه ورسوله صالح عليه الصلاة والسلام من سورة النمل: «وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَهُ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٨﴾» قالوا

(١) تفسير الطبرى (١٦٥ / ١٧٦) باختصار.

(٢) معالم التنزيل (٥٢ / ١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٩٨ / ١).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٣٥٠).

١٦١) تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لِنِيَّتَهُ، وَأَهْلَهُ، ثُمَّ لَقُولَنَ لِوَلِيَّهِ، مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ، وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ  
 ١٦٢) وَمَكْرُوْمَكْرَا وَمَكْرُونَ مَكْرَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٦٣) فَانظُرْ كَيْفَ كَاتَ عَنْقَبَةَ  
 مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ١٦٤) فَتَلَكَ بُؤْثُمْ حَاوِيَّةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَذَيْهَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٦٥) وَاجْبَسْنَا الَّذِينَ أَمْنَوْا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ١٦٦) [النمل: ٥٣-٤٨].

فكان مكر هؤلاء التسعة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون أنهم  
 تناصرموا وتأمرموا على قتل نبي الله ورسوله صالح عليه الصلاة والسلام وحاکوا  
 مؤامراتهم ودبروا كيدهم وأحكموا مكرهم.  
 ومكر الله بهم فدمرهم وأهلكهم وقومهم أجمعين قبل أن يفعلوا فعلتهم،  
 فكان عاقبة مكرهم دمارهم وهلاكهم.

قال الإمام مجاهد رحمه الله: «تقاسموا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا  
 وقومهم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فَكَادُهُمْ تَعَالَى وَجَعَلَ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.  
 وهذه أنواع التوحيد الثلاثة العظيمة: توحيد الله تعالى في ربوبيته، وتوحيده  
 تعالى في ألوهيته، وعبادته وتوحيده تعالى في أسمائه الحسنی وصفاته العلا، فمن  
 حققها وآمن بها فقد حقق الركن الأول والأعظم من أركان الإيمان: وهو الإيمان  
 بالله تعالى.

## سورة العنكبوت

(١) تفسير الطبرى (٥٣٢/٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٧/٣).

## الفصل الثاني

### الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل مهم من أصول الدين.

والملائكة من الغيب الذي آمنا به، وهم جند الله المجنودون، وعباده المكرمون.

المسألة الأولى:

أمر الله تعالى ورسوله بالإيمان بالملائكة وجعله الله حتماً لازماً على المؤمنين.

وجعل من كفر بملائكته وأنكراهم فقد كفر به تعالى.

\* قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَنَا رَسُولٌ مِّمَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّا مَنْ يُلَقِّيَهُمْ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ لَا يُفَرقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رَّسُولِهِ وَقَاتَلُوا سَيِّئَاتِهِنَّ أَطْعَنَاهُنَّ رَّبِّنَا وَإِلَيْنَا الْمُصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

\* وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِي أَنْتُمْ تُولُوا وُجوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَ الَّذِي مِنْ أَمَّا مَنْ يُلَقِّيَهُمْ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ وَالْيَتَيْنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

\* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُفِرْ بِاللهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ فَقَدْ دَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وكذلك النبي ﷺ جعل الإيمان بالملائكة من أركان الصلة، وأركان الإيمان التي لا بد منها ليكون العبد مؤمناً.

ففي الحديث المتفق عليه، المعروف بحديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن

الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

وأخبر الله تعالى أن من عاداً ملائكة الله أو بعضهم وأبغضهم أنه كافر عدو الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكُفَّارِ﴾ [آل عمران: ٩٨].

وقد كان اليهود من كفراهم وجرمهم يعادون جبريل عليه السلام ويعغضونه كفراً وعناداً فرد الله عليهم بهذه الآية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبد الله بن سلام - وكان يهودياً قبل أن يسلم - أتى النبي ﷺ فسألة عن ثلاثة لا يعلمون إلا النبي: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال النبي ﷺ: «أخبرني جبريل بهن أتفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ فَلِيَكَ ..﴾ الحديث<sup>(٢)</sup>.

#### المسألة الثانية:

##### الإيمان بالملائكة إجمالاً وتفصيلي:

فتؤمن بهم من جهة الإجمال: أن لله تعالى ملائكةً كراماً، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم أعداد كثيرة لا يحصيهم إلا الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (١٥٢/٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٤٨٠).

وإيمان تفصيلي: نؤمن على وجه الخصوص، بمن ذكر لنا أسماؤهم أو وظائفهم من ملائكة الله، فنؤمن بجبريل عليه السلام عظيم الملائكة وكبيرهم روح القدس أمين الوحي الروح الأمين، كما وصف في القرآن العظيم، قال الله تعالى عنه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ إِبَذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَشَرِيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى عنه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [التحريم: ١٠٢].

وقال تعالى عنه: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِّرِينَ ﴿١٣﴾ يُسَانِ عَرَفِيْ مُبِينِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥-١٩٣].

ونؤمن بـميكائيل عليه السلام الموكل بالقطر والسحب.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوا لِهِ وَمَلِئَكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

ونؤمن كذلك بملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند حضور آجالها.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَنْوَهُنَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

### المسألة الثالثة:

الملائكة الكرام عليهم السلام هم جند الله تعالى الموكلون بالسماءات والأرض وإدارة شؤون العالم بإذن الله تعالى، فكل حركة في العالم، فهي ناشئة عن الملائكة من نفخ الأرواح في النطف في الأرحام، إلى قبضها عند حضور الآجال، إلى الرياح والسحب والأمطار إلى عموم الأقدار، وتقلب الأحوال.

إلى غير ذلك من حركات الأفلاك وتدبير أمر السماوات والأرض والعالم العلوية والسفلية وهذا هي أوصافهم وأعمالهم ووظائفهم.

\* قال تعالى: ﴿وَالْمَرْسَلُتْ عَرْقًا ۚ فَالْعَصِيفَتْ عَصِيفًا ۚ وَالشَّيْرَتْ نَشِيرًا ۚ فَالْفَرِيقَتْ فَرِيقًا ۚ فَالْمُلْقَيْتْ ذَكْرًا ۚ﴾ [المرسلات: ١-٥].

أما المرسلات: فهي الملائكة يرسلها الله تعالى بالأمر من أمره كذا فسرها أبو هريرة رضي الله عنه ومسروق ومجاهد والسيدي والريع بن أنس وغيرهم. وفسرها بعضهم بأنها: الرياح ترسل بالسحب والغيث، وهو قول ابن مسعود، ورجحه الإمام ابن كثير.

أما العاصفات والناشرات فالظاهر أنها الرياح.

أما الفارقات والملقيات فهم الملائكة قوله واحداً، تفرق بين الحق والباطل، وتلقى إلى أنبياء الله الوحي الذي فيه إعذار الخلق وإنذارهم<sup>(١)</sup>.

\* وقال تعالى: ﴿وَالنَّرِعَتْ غَرْقًا ۚ وَالشَّيْطَنَتْ نَشَطًا ۚ وَالسَّيْحَتْ سَبَحَا ۚ فَالسَّيْقَنَتْ سَبَقَا ۚ فَالْمُدَبَّرَاتْ أَمْرًا ۚ﴾ [النازيات: ١-٥].

النازيات: الملائكة تنزع أرواح الخلائق للموت، ولكن النزع بشدة لأرواح الكفار.

والناشرات: الملائكة تقبض أرواح المؤمنين بسهولة.

والسابحات: الملائكة تسبح في هذا العالم بأمر الله تعالى.

والسابقات: الملائكة سبقت إلى الإيمان وتبسيح الله تعالى.

والمدبرات: الملائكة تدبّر أمر السماوات والأرض بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٤٥٣-٤٥٤).

(٢) المصدر السابق (٧/٤٧٠-٤٧١).

\* وقال تعالى: ﴿وَالصَّافَتِ صَفَا﴾ ﴿فَالرَّجَرَتْ رَجَرًا﴾ ﴿فَالثَّلِيثَتْ ذِكْرًا﴾ [الصفات: ١-٣].

الصفات: الملائكة صفوف في السماء عند ربها.

والزاجرات: الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.

التاليات: الملائكة تنزل بالقرآن والوحى من عند الله [١].

\* وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَاهَا وَيَمْلُأُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْهُمْ يَوْمِئِذٍ نَّمِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

\* وقال تعالى: ﴿فَالْمُقَيَّبَتْ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤].

الملائكة تقسم الأرزاق بأمر الله تعالى.

ومنهم ملائكة الرحمة، ومنهم ملائكة العذاب، ومنهم ملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلوة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى.

#### المسألة الرابعة :

الملائكة عليهم السلام أجسام نورانية لطيفة خلقوا من النور ولهم قدرة على التشكيل والتمثيل في صورة البشر، ولا يراهم أحد على صورتهم الحقيقة التي خلقوا عليها إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقة التي خلق عليها، فإذا هو خلق عظيم وصورة مهيبة له ستمائة جناح قد سد ما بين المشرق والمغرب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى﴾ [١] عند سدرة المنتهى [٢] عندها جنة المأوى [٣] [النجم: ١٣-١٥].

(١) المصدر السابق (٦/٣٦٣-٣٦٤).

ولهم صفات جليلة عظيمة قال تعالى: ﴿وَلِلْعِبَادِ مُكَرَّمُونَ لَا يَسْتَهِنُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ يَأْمِرُونَ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِرُونَ يُسَيِّحُونَ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَيِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَيْنَكُمْ لَخَفِظَتِينَ كَرَامًا كَثِيرَينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١].

قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَمٌ بَرَدُونَ﴾ [عبس: ١٥-١٦].

كل هذه أوصاف للملائكة عليهم السلام، وأعمالهم.

#### المسألة الخامسة :

ورؤساء الملائكة وكبراؤهم، الأملالك الثلاثة الأجلاء العظاماء وهم: جبريل: أمين الوحي: سماه القرآن الروح: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ: ٣٨].

وسماه الروح الأمين: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وسماه روح القدس: ﴿قُلْ نَزَّلَ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ يَأْلَمُ﴾ [النحل: ١٠٢].

ووصفه بأوصاف شريفة جليلة فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عَنْ دِيْنِ الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]. هذه كلها في جبريل عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ سَرِيدُ الْقُوَىٰ ذُرِّ مَرَقٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥-٦]، المقصود جبريل عليه السلام، وهو الذي ينزل بالوحى الكريم الذى به حياة القلوب والأرواح إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وميكائيل: الملك العظيم الموكل بالمطر وسوق السحاب الذى به حياة الأرض والنبات والإنسان وسائر الحيوان.

وإسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور يوم المعاد وحشر الأجساد الذى حياة الخلق بعد مماتهم.

ولذلك كان يذكرون النبي ﷺ في دعائه المشهور إذا قام يصلى من الليل، «اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(١)</sup>.

#### المسألة السادسة :

اعلم أن الملائكة الكرام هم مادة الخير، ورسل الأمن والطمأنينة، وبهم يسد الله تعالى عباده المؤمنين، ويربط على قلوبهم، ويشرح صدورهم ويطرد عنهم الشياطين ووساوسمهم وتسويفهم، الشياطين الذين هم مادة الشر والفساد والإفساد، وأس الضلال والإضلal، ودعاة الباطل والمنكر.

لذلك وجب علينا أن نتصل بالملائكة الكرام ونكثر عمل الأسباب التي تحبها الملائكة، لتنزل علينا بالأمن والطمأنينة والربط على القلوب والشرح للصدر، ولتكون الملائكة الكرام هم صحبتنا في بيوتنا ومراكننا وخلواتنا، بل وفي دفعنا لأعدائنا من شياطين الإنس والجن.

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

قال الله تعالى في بيان ذلك وحسن عاقبته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْقَفُمُوا سَبَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ نَحْنُ أَوْلَئَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَهَيْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَعَوْنَ﴾ ﴿٢٢﴾ [فصلت: ٣٢-٣٠].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «تقول الملائكة للمؤمنين نحن قرباءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك تكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم»<sup>(١)</sup>.

ومن حب الملائكة الكرام للمؤمنين، أنهم يستغفرون لهم عند الله، ويطلبون لهم المغفرة والرحمة منه، ويطلبون التثبيت لهم حتى يصيروا إلى رحمة الله ورضوانه.

وهذا من أعظم العلاقة الكريمة الحميمية بين هذه الأرواح الكريمة العلوية السماوية (الملائكة)، وبين المؤمنين عباد الله الأرواح الكريمة الأرضية المؤمنة المسلمة.

وقد ذكر الله تعالى ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

الموضع الأول: قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجُكُمْ مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فالصلوة من الله تعالى: ثناؤه على عبده المؤمن في الملائكة الأرضية، ذكر

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٥٢٦).

هذا المعنى أبو العالية الرياحي رحمه الله<sup>(١)</sup>.

أما صلاة الملائكة: فهي دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَبِتُّوْمُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَيَعْتَ كُلُّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفِرُ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَتَبَعُوا سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحْمِ ٧ رَبَّنَا وَأَذْخَلْهُمْ جَنَّتَ عَدِنِ أَلَّى وَعَدَّهُمْ وَمَنْ صَلَّحَ مِنْ أَبَابِيهِمْ وَأَزْوَجَهُمْ وَدَرِّيَّتْهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ وَقَهْمَ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ نَقَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٩-٧].

قال الإمام ابن كثير: «فَيَضَى الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظاهر الغيب... ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسَيَعْتَ كُلُّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم، وأقوالهم وحركاتهم، وسكناتهم...»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام التابعي الكبير: مطرّف بن عبد الله بن الشّيخ رحمه: «أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة، ثم تلا هذه الآية ﴿رَبَّنَا وَأَذْخَلْهُمْ جَنَّتَ عَدِنِ أَلَّى وَعَدَّهُمْ﴾ الآية، وأغضّ عباده للمؤمنين الشياطين»<sup>(٣)</sup>.

الموضع الثالث: قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرُنَّ مِنْ قَوْفَهُنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورى: ٥].

(١) نقله عنه الإمام البخاري في الصحيح عند حديث رقم (٤٧٩٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٨٥).

(٣) آخر جه عنه الطبرى في تفسير (٢١/٣٥٨).

وقد ذكر الله استغفارهم ودعائهم في الآية التي قبل هذه.

ومن أعظم الأعمال والأسباب التي تقربنا من الملائكة الكرام، وتجعلنا نحصل بهم، وتنزل علينا، وتكون مصاحبة لنا في حلنا وسفرنا وناماً ويقظتنا وجميع أمرنا.

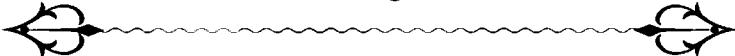
- ١- الطهارة والوضوء وعموم النظافة والطيب.
  - ٢- الصلاة خصوصاً في المساجد وحضور الجمعة والجماعات فإن الملائكة تشهدها وتحضرها.
  - ٣- حضور دروس العلم، ومجالس الذكر فإن الملائكة تحبها وتغشاها.
  - ٤- تلاوة القرآن العظيم وسماعه مما تنزل به الملائكة على التالين والسامعين له.
  - ٥- الحذر من تعليق الصور المجسمة وغيرها، فإنها مطردة للملائكة، مجلبة للشياطين.

ونحو ذلك من أعمال الخير وشمائل البر، وأخلاق المعروف، وكل ما تقدم له أدلة الواضحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

卷之三

(١) انظر لذلك صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، فتح الباري (١٢/٢٣-٧٤)، وانظر كذلك كتاب: عالم الملائكة الأبرار، للدكتور: عمر سليمان الأشقر (٦٩-٥٣).

## الفصل الثالث



### الإيمان بالأنبياء عليهم السلام والكتب المنزلة

المسألة الأولى:

حاجة البشر إلى رسالات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. الرسالة ضرورة للعباد لا بد لهم منها و حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ولذلك امتن الله بها على الناس وجعلها رحمة عامة منه يرحم بها العباد.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَوَلَّهُ عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ وَيُزَكِّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ قَوْنَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويتبين ذلك بما يلي:

أ- من المعلوم المتفق عليه عند جميع العقلاة أن طرق حصول العلم ثلاثة  
لاربع لها:

- إما طريق الحس والمشاهدة: فالإنسان يدرك بحواسه معارف وعلوماً كثيرة عن طريق سمعه وبصره وحواسه، ولذلك فإن هذه الحواس نعمة عظيمة من الخالق للإنسان لأنها نافذته إلى العالم من حوله، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَتُكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعَ وَأَبْصَرَ وَأَفْعَدَ لَعَلَّكُمْ شَكُورُونَ﴾ [النحل: ٧٨]

- وإنما طريق الاستنتاج العقلي بناء النتائج على المقدمات، والأسباب على المسببات، للوصول إلى نتائج علمية صحيحة غير منظورة لكنها مدركة ويراهما العقل الصحيح، ومنه تظهر العمة العظمى من الله تعالى للإنسان بأن ركب فيه هذا العقل الصحيح الذي يدرك بها معارف وعلوم عظيمة وهائلة إذا أحسن استخدامه والاستفادة منه.

وكتيراً ما يدعونا الله تعالى في القرآن الكريم إلى استخدام عقولنا والتذكر والتفكير والتدبر للوصول إلى الحقائق، وأخذ العبر، وحسن عمارة الحياة، وإصلاح الأرض، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [المؤمنون: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١].

وغيرها من الآيات.

- ولكن مع أهمية طريق الحس والمشاهدة وبرهان العقل، فإن هناك معارف وعلوماً وعوالم عظيمة وهائلة مغيبة تماماً عن جميع مدركات الإنسان ووسائله، وهذه لا سبيل أبداً إلى معرفتها والوصول بالمعرفة والعلم إليها، إلا عن طريق خبر صادق يأتي للناس يخبرهم عن هذه الغيوب العظيمة.

وهذا هو الطريق الثالث من طرق حصول العلم للإنسان وهو الخبر الصادق، وليس ذلك الخبر الصادق إلا ما يأتي به أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام من أنواع المعرفة والعلوم العظيمة من عوالم الغيب الكبيرة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَنْبِئَهُ الْغَيْبِ تُوَجِّهُ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ

قَبْلِ هَذَا فَاصِرٌ إِنَّ الْعَقِبَةَ لِلْمُتَقِينَ ﴿٤٩﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْفُسِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُ بُّ وَلَا إِلَيْنَا  
وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا نَّهَى إِلَيْهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صَرَاطِ الْمُسْتَقِيرِ ﴿٥٠﴾ صَرَاطُ اللَّهِ  
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ يَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥١﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

ومن هنا تظهر الأهمية القصوى وال الحاجة الضرورية لبعثة الأنبياء ورسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

بــ العلم بالله الخالق الجليل وأمره وشرعه غيب ممحض، لا يعرف إلا من طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وببيان ذلك:

أن أصول العلم بالله تعالى ثلاثة أصول عظام، وكلها غيب لا سبيل إليها إلا ما كان عن طريق الرسل عليهم السلام.

الأصل الأول: العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأقداره، وأياته تعالى في أوليائه وأعدائه وسننه في خلقه وفي القصص والأمثال التي ضربها الله للناس لعلهم يفكرون.

وهذا لا سبيل لها إلا ما كان من أخبار الرسل وبيناتهم.

الأصل الثاني: تفصيل شرائع الله تعالى وأحكامه وحلاله وحرامه، وأمره ونهيه وبيان حقوقه على عباده وسبل نجاتهم من غضبه وعذابه والفوز والفلاح برضاه ورحمته وجنته.

كل هذا لا سبيل له إلا ما كان عن طريق الرسل وبيناتهم.

الأصل الثالث: بيان المصير الذين نحن إليه صائرون منبعث بعد الموت

وأحوال القيامة ومصائر العباد من السعادة والشقاوة لا سبيل لها إلا من طريق الرسل عليهم السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكُمْ ضالًا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْفُسِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِلَيْنَا يَنْبَغِي وَلِكُنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [صراط الله] الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصْدِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَتَفَرَّغُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنَّ لَا أَفُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْنَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَزْسِلْ مَعِيَ بَقِيَّ إِنْرَاءِيَّ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥].

وقال تعالى: ﴿أَوَعِبَّيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَنَنْقُوا وَلَكُلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

### المسألة الثانية :

يجب وجوباً عيناً على كل مسلم أن يؤمن بجميع أنبياء الله تعالى ورسله دون تفريق بين أحد منهم، وأن نعتقد أنهم صفوته وخيرته من خلقه وسفراءه بينه وبين عباده.

- قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٧١].

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَانٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكَبُورِهِ وَرَسُولِهِ لَا تُنَزِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رَسُولِهِ وَقَاتِلُوا سَيْئَاتِهِ وَأَطْعَنُوا عَفْرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨٥].

وفي حديث جبريل المشهور: «قال أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره<sup>(١)</sup>.

وقد حكم الله تعالى بالكفر والضلال على كل من لم يؤمن بأنبيائه ورسله، فقال تعالى: «وَمَن يَكْفُرْ بِأَنَّهُ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَلَيْوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» [ النساء: ١٣٦].

ونحن مطالبون بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله دون تفريق بينهم لأن الكفر بعضهم كفر بهم جميعاً، وإنكار لنبوة ورسالة واحد منهم تكون في الشرع بمنزلة إنكارهم جميعاً.

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصِّ وَنَكْفُرُ بِعَصِّ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا». أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا وَأَعْنَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [١٥١-١٥٠] [ النساء: ١٥١-١٥٠].

وقال تعالى: «كَذَّبَ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ» [٤٠] [الشعراء: ١٠٥].

مع أنهم ما جاءهم إلا رسول واحد هو نوح عليه السلام فجعل كفرهم بنوح بمنزلة كفرهم الأنبياء جميعاً.

ثم أعلم أن الإيمان بالرسل يكون إجمالياً وتفصيلياً.

أما الإجمالي: فالمراد به الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، من عرفنا منهم ومن لم نعرف، فنؤمن بجميع أنبياء الله تعالى، وهم جموع غير، وعدد كبير جاء في حديث أبي ذر الغفارى أنه سأله النبي ﷺ عن عدد الأنبياء؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «مئة وأربعة وعشرون ألفاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخریجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

والله تعالى يقول: ﴿وَرَسُّلًا فَدَقَصَصْتَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُّلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [ النساء: ١٦٤].

أما الإيمان التفصيلي: فنؤمن بمن ذكر لنا أخبارهم وأسماؤهم في القرآن الكريم والسنّة على وجه الخصوص بأسمائهم وأخبارهم عليهم السلام.

هذا وقد ذكر الله تعالى خمسة وعشرين نبياً بأسمائهم في القرآن العظيم فوجب الإيمان بهم على وجه الخصوص، وهم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، لوط، شعيب، يونس، أيوب، إلياس، اليسع، ذو الكفل، داود، سليمان، موسى، هارون، عيسى، زكريا، يحيى، والنبي الخاتم محمد عليهم الصلاة والسلام.

فهؤلاء المصطفون الأئمّة من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَوَهَبْتَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَتُوَحَّادَهُنَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ ذُرْرَتِهِ دَأْدَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَلِكَ بَهْرَى الْمُخْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مِنَ الْأَصْلِيمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوْسَفَ وَلُوطًا وَكُلَّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَنَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ الأنعام: ٨٤-٨٦] وغيرها من الآيات.

### المسألة الثالثة :

الأنبياء بشر من البشر يأكلون مما يأكل الناس ويشربون مما يشربون ويجري عليهم ما يجري على جميع البشر فهم ينامون ويتزوجون، وتكون لهم الذرية، ويمرضون، ويحزنون، ويبيكون، وتصيبهم الشدة والأدواء، واللاؤاء.

قال تعالى في خطاب الرسل لأقوامهم: ﴿إِنَّنَّا أَنَّا بَشَرٌ مِّنْكُمْ﴾ [ إبراهيم:

.[١١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَّا بَشَرٌ مِّنْكُمْ يُوحَى إِلَيْنَا﴾ [ الكهف: ١١٠].

وكون الأنبياء من البشر هذا أوفق للناس المرسل إليهم وأرفق بهم؛ لأن النبي والرسول يحس بما يحسون به، ويصييه ما يصييه، فيكون تشريعه لهم وأمره ونهيه مما يراعي فيه حاجاتهم البشرية، وعلى هذا بنيت شريعة الإسلام.

في حديث الإسراء لما فرض الله الصلاة على رسول الله محمد ﷺ وأمته فرضها خمسين صلاة، فأمره موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة ربه وسؤاله التخفيف، وقال له: إني عالجت الأمم قبلك، وإن أمتك لا تطيق ذلك فما زالت المراجعة حتى خففت من خمسين صلاة في اليوم الواحد إلى خمس صلوات<sup>(١)</sup>، رحمةً من الله.

وكثيراً ما كان يقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرت بكلذا وكذا».

وكان يزجر عن التنطع والغلو والمبالغة وحمل النفس على ما لا تطيق.

ويقول: «ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٢)</sup>.

ثم في نص القرآن الكريم على كون الأنبياء من البشر، أي أنهم خلقوا مما خلق منه البشر، ففي هذا أعظم الرد على بعض المفترين الضالين الزاعمين أن رسول الله ﷺ خلق من نور، ويَرُوُونَ في ذلك أحاديث مكذوبة موضوعة لا أصل لها، فقد خلق الله تعالى نبيه محمداً ﷺ من أبويه عبد الله بن عبد المطلب وأمه آمنة بنت وهب حملت به ووضعته.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٥٦٣).

نعم قال عليه الصلاة والسلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»<sup>(١)</sup>. فهذا نور رسالته ونبوته الذي عم الأرض جميعاً.

ومع أنهم بشر إلا أنهم أكمل الناس خلقاً وخلقها، ومن خيرة أقوامهم نسباً وأصلاً وحسباً ثم جميعهم رجال ليس في النساء نبوة مطلقاً.

#### المسألة الرابعة :

الأنبياء عليهم السلام فضلهم الله على غيرهم من البشر بخصائص جليلة ليست لغيرهم نجملها فيما يلي:

(١) الوحي العظيم النازل على الأنبياء من لدن حكيم خبير. فالوحي به كانوا أنبياء. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْرٍ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ إِلَّا وَجِئَأَنَّوْ مِنْ وَرَائِيْ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١].

وربما كلام الله تعالى بعض الأنبياء كلاماً مباشرـاً كما كلام موسى بن عمران عليه السلام ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّمِيْا﴾ [النساء: ١٦٤]، وكما كلام نبيه محمداً ﷺ ليلة المراجـ.

(٢) يخرون عند الموت ويستأذنون قبل قبض أرواحهم الزكية. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

(٣) يقبر الأنبياء في نفس البقعة التي ماتوا فيها، في مسند الإمام أحمد وغيره

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٧١٥١)، وابن حبان (٦٤٠٤)، والحاكم (٣٥٦٦) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٦).

بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «لم يعبرنبي إلا حيث يموت»<sup>(١)</sup>.

وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم بإجماعهم من دفن النبي ﷺ في حجرة عائشة، رفعوا سريره الذي توفي عليه وحرقوا له ودفونوه عليه السلام. وهذا أمر متفق عليه.

(٤) لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء إلى يوم القيمة وهم أحياء في قبورهم يصلون، فأجسادهم الشريفة طرية في قبورهم، في سنن أبي داود والنسائي: أن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث الإسراء قال عليه الصلاة والسلام: «مررت على موسى وهو قائم يصلي في قبره»<sup>(٣)</sup>.

(٥) تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم؛ لذلك فما يرونـه في منامـهم وحيـ وحقـ وصدقـ لا سـبـيلـ للـشـيـطـانـ عـلـيـهـمـ، قالـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ قـصـةـ الذـيـعـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ عـلـيـهـمـاـ السـلامـ: ﴿فَكَانَ يَتْبَعُ إِنَّمَاٰتِهِ فَإِذَا نَوَّبَ عَنْهُ أَذْبَحَهُ فَأَنْظَرَ مَا دَرَأَ فَرَأَىٰ فَقَالَ يَأَتِيَنِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمِنُّ بِسَتَّ جُنُونٍ إِنَّ شَاهَ اللَّهَ مِنَ الْمُصَدِّرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

وفي حديث أنس مرفوعاً: «وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»<sup>(٤)</sup>.

#### المسألة الخامسة: العصمة.

عصـمـ اللهـ أـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ الصـلاـةـ وـالـسـلـامـ مـنـ كـلـ ماـ يـخـلـ بـنـبـوتـهـمـ وـيـقـدـحـ فـيـ رسـالـتـهـمـ وـيـضـعـفـ إـتـامـ رسـالـاتـ اللهـ وـالـبـلـاغـ عـنـهـ، فالـعـصـمـةـ فـيـ حـقـ الـأـنـبـيـاءـ تـرـدـ فـيـ أـكـثـرـ مـجـالـ.

(١) أحمد (٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في الصغرى (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

(١) العصمة في حفظ ما أوحاه الله إليهم وفي إبلاغه عن الله؛ فالأنبياء معصومون بعصمة الله لهم من الخطأ والخلل والسوء في هذا الباب، هذا مما اتفق عليه العلماء؛ لأن تجويز وقوع الخطأ والخلل فيما يبلغونه عن الله يفقد الثقة فيهم وفي كلامهم وبلاغهم بتجويز وقوع الخطأ والخلل فيه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِذْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّتْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدah: ٦٧].

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعاني من التزيل شدة، وكان مما يحرك لسانه ليحفظه فقال الله له: ﴿لَا تُخْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمَعَهُ وَفَرَّاهُمْ﴾ ١٧ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَلَيْلَقُ قُرْآنَهُ﴾ ١٨ [القيامة: ١٦-١٨] قال: جمعه له في صدرك فتقرأه»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عائشة في سؤال الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني على مثل صلصلة الجرس وهو أشدك على فيفضم عنك وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعطي ما يقول»<sup>(٢)</sup>.

(٢) العصمة من كبار الذنوب والفواحش وخوارم المروءات.

قال الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنَّهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ [سورة القلم: ٤].

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

(٢) البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

وقال تعالى أيضًا عنه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٣) لكنهم قد يقع منهم بعض الاجتهاد البشري خلاف مراد الله تعالى، فينزل عليهم الوحي بلومهم وعتابهم تطهيرًا لهم واستخلاصاً لهم، وتطيبينًا كما جرى من نبي الله يونس بن متى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَدَا الْئُونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ نَقِيرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فاستجبنا له، وبخسته من العمر وكذاك شجي المؤمنين [٨٨] [الأنياء: ٨٧-٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ يُؤْسِ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٢] إِذْ أَبْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْمَسْحُونَ [١٣] فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ [١٤] فَالْقَمَةُ الْأَثْوَرُ وَهُوَ مُلِيمٌ [١٥] فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحْمِنِينَ [١٦] لَلَّيْلَةِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ [١٧] [الصافات: ١٣٩-١٤٤].

في الحديث: «أن نبياً من الأنبياء قرصته نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت. فأوحى الله إليه: (هلا نملة واحدة)»<sup>(١)</sup>.

#### المسألة السادسة: أدلة صدق الرسل عليهم السلام.

وهي المسماة بدلائل النبوة؛ فإن الله تعالى جعل مع الرسل آيات هي علامات وبراهين يحيط الله تعالى به رسالته عليهم السلام، ويخصهم بها لا توجد لغيرهم يعلم العباد منها أن ذلك إعلام من الله تعالى للعباد وإخبار لهم أن هؤلاء هم رساله الصادقون، فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين ساطعة قاطعة من الله تعالى يقيمهها تعالى دليلاً على صدق رسالته. ولن يكون لدى الناس من الحجج والبراهين ما يفرقون به بين النبي الصادق والمتتبئ الكاذب المدعى ما ليس له.

(١) أخرجه البخاري (١٩)، ومسلم (٢٤١)، ابن حبان في صحيحه (٥٤٧) واللفظ له.

ودلائل صدق الرسل عليهم السلام متنوعة نجملها فيما يلي:

(١) ما يخبر به الأنبياء والرسل من الأخبار الصادقة عن المغيبات الهائلة التي لا سبيل للبشر لمعرفتها والوصول إليها البة.

قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾<sup>٢٦</sup> إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْكُنُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، رَصَدًا<sup>٢٧</sup> لِعِلْمٍ أَنْ قَدْ أَتَلَغَوْ رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾<sup>٢٨</sup> [الجن: ٢٦-٢٨].

فأخبر تعالى أنه يطلع من ارتضى من أنبيائه ورسله على ما شاء من علوم الغيب ليكون دليلاً على صدقهم ونبيتهم ليبلغوه من العلوم النافعة والشرايع المفصلة.

وهنا يظهر أعظم براهين دلائل صدق الرسل. واعتبر ذلك بحال النبي الخاتم محمد ﷺ. رجلٌ عربيٌّ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب في أمة أمية، ثم يأتي بهذه الأخبار الهائلة العظيمة والمعارف والعلوم الجليلة الشريفة إنها لآية قاطعة على أنه نبي من عند الله تعالى، وقد نبه القرآن إلى ذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ نَشْأُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتْبٍ وَلَا تَخْطُطْهُ، سِيمِنِكَ إِذَا لَأْزَنَابَ الْبَطِلُونَ﴾<sup>٣٠</sup> بل هُوَ إِيَّاكَ بِنَتَتْ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُتُواُ الْعِلْمَ وَمَا يَجْعَلُ بِعَائِنَتَنَا إِلَّا الظَّلِيلُونَ﴾<sup>٣١</sup> [العنكبوت: ٤٨ - ٤٩].

ويقول تعالى: ﴿تَلَكَ مِنْ أَبْلَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيَّاً إِيَّاكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَسْتَ وَلَا فَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصِرٌ إِنَّ الْعِنْقَةَ لِلْمُنْقَتِرِ﴾<sup>٣٢</sup> [هود: ٤٩].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فذكر أن هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر إلا قومه، وقومه

يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنه لم يكن تعلم ذلك... صار ذلك حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر قومه»<sup>(١)</sup>

(٢) أن من عرف تفاصيل ما جاءت به الرسل علم أنهم أعلم الخلق وأصدق الخلق، وأنفع الخلق للخلق، لما تضمنته شرائعهم من إيصال الحقوق ونصر المظلوم، وتوجيه العباد لعبادة رب العباد بدل أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

عبر عن ذلك الصحابي الجليل ربيع بن عامر يوم معركة القادسية المجيد مع الفرس وقد أرسله الصحابي سعد بن أبي وقاص ليفاوض رستم قائد الفرس: فقال رستم له: ما الذي جاء بكم؟ ماذا تريدون؟ فقال له ربيع بن عامر رضي الله عنه: جتنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

والله تعالى يقول دلالة على ذلك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ دِينًا مَّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَهٌ وَّهُوَ مُحْسِنٌ وَّاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَّأَخْذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾ [١٢٥]. [النساء: ١٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ فَوْلًا مَّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢٣]. [فصلت: ٢٣]

وقال تعالى: ﴿الَّيْلَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ يُغْمَى وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٣]. [المائدة: ٣]

(١) الجواب الصحيح (٥/٣٢٣) باختصار .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبراني (٣/١١٤)

وفي الصحيح أن يهودياً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أية في كتابكم تقرأونها لو علينا عشر يهود نزلت لاتخذنا اليوم الذي نزلت فيه عيداً»، فقال عمر: أي أية هي؟ فقرأ: ﴿أَيُّومٌ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ...﴾ فقال عمر: قد علمنا أين نزلت ومتى نزلت، نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة يوم الجمعة<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رحمة الله: «وهذا احتجاج منه - سبحانه - على أن دين الإسلام أحسن الأديان، بما تضمنه مما تستحسن العقول وتشهد به الفطر، وأنه قد بلغ الغاية القصوى في درجات الحسن والكمال، وهذا استدلال بغير الأمر المجرد، بل هو دليل على أن ما كان كذلك فحقيقة بأن يأمر به عباده، ولا يرضى منهم سواه ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنْ فَوْلًا مَمَنْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فهذا احتجاج بما ركب في العقول والفطر لأنه لا قول أحسن من هذا القول»<sup>(٣)</sup>.

(٣) ما ظهر من حسن أخلاقهم وطيب شمائهم ومخايل الصدق عليهم. مع حسن صورة وكمال خلقه وتمام رجولته.

فمن عرف ورأى ما عليه الأنبياء الكرام من حسن السجايا وكمال الأخلاق وأنهم من أبعد الناس عن الكذب عرف أنهم بحق أنبياء صادقون من عند الله تعالى.

واعتبر بحال خاتم الأنبياء محمد ﷺ. فقد عاش أربعين سنة قبل النبوة في مجتمع جاهلي يعبدون الأصنام ويأذون البنات ويأكلون الميتة ويشربون الخمر. فما عُرِفَ منه طوال أربعين سنة أي ريبة، لم يتمسح بصنم قط، ولم

(١) أخرجه البخاري (٤٥) واللفظ له، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/١٠).

يقسم باللات والعزى قط ، ولم يشرب الخمر قط ، ولم يؤذ أحداً قط ، بل لم يعثروا له على كذبة واحدة طوال هذه السنين ، أليس هذا أمراً خارقاً عجيباً؟ وحفظاً إلهياً لمن سيكون خاتم أنبيائه وأفضل رسله عليه الصلاة والسلام؟!

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِيمَانَكُمْ لِيَرْجُنَّكُمُ اللَّهَ يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَبِّرُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَأْتِيَنَّهُمْ بِمَا يَحْمِدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَأْتُوا هُنَّ عَلَيْكُمْ بَصِيرَةٌ وَلَا أَدْرِنُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَمَّا  
فِي كُمْ عُمْرًا مِّنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوس: ١٦].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الغار وبده الوحي إلى رسول الله ﷺ: «فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ودخل على خديجة وقص عليها الخبر فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكتسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري: «أن النبي ﷺ لما هاجر واستقر بالمدينة قال عبد الله بن سلام - وهو حبر من أحرار اليهود - لأخرجن إلينه لأنظر إليه. قال عبد الله ابن سلام: فلما دخلت عليه ووقع بصري عليه. علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب وسمعته يقول: أيها الناس أطعموا الطعام ، وأفسحوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نiam ، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(٢)</sup>.

فأسلم عبد الله بن سلام بمجرد ما رأى وجه المصطفى عليه السلام هذا

(١) البخاري رقم (٣).

(٢) الترمذى (٢٤٨٥) وصححه، وابن ماجه (١٣٣٤).

الوجه الأقمر الأزهر الأنور لا يكون وجه كذاب أبداً.

وفي ختام قوله عليه الصلاة والسلام: «تدخلوا الجنة بسلام» جناس خفي. فكأنه قال: أسلم يا ابن سلام. لتدخل الجنة بسلام. فأسلم ابن سلام رضي الله عنه.

(٤) ما أجراه الله تعالى على أيدي رسليه عليهم الصلاة والسلام من المعجزات الباهرة والتي أرغمت أنوف أعدائهم ، وأظهرت الحجة الظاهرة عليهم وقطعت أعناقهم ثم إنها أيضاً نصرة للأنبياء وتشبيتاً لأنباعهم وإيناساً لهم. رغم كثرة الأعداء وحقدتهم وضراوة العداوة.

قال تعالى عن آية نبيه صالح: ﴿ وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانُهُ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٌ فَيَأْدُكُرُ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [٦١] فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَّعِنُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿ ٦٢﴾ [هود: ٦٤ - ٦٥].

وقال تعالى عن معجزات نبيه موسى عليه السلام: ﴿ وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَزَّ كَانَهَا جَانٌ وَلَكَ مُتَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَنْشُوَنَ أَقْلَى وَلَا تَخَفَ إِنَّكَ مِنَ الْآمِينِ ﴾ [٢٣] أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْسِكَ تَغْرِي بَيْضَانَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْسُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ ﴿ ٢٤﴾ فَذَلِكَ بِرْهَنَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْغَوْنَ وَمَلِائِيَّهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدَسِيقِينَ ﴿ ٢٥﴾ [القصص: ٣١ - ٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والتحقيق أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبيه ولصدق الخبر بالنبوه ، فلا توجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول. لا توجد مع التكذيب بذلك. ولا مع عدمه البتة. وليس من جنس ما يقدر عليه لا الإنس ولا الجن... ، فإن ما يقدر عليه الإنس والجن فإنهم يفعلونه لا يكون مختصاً بالأنبياء ، فإن ما يفعله الأنبياء خارق للعادة معجز لا يقدر

على مثله ولا قريبا منه الإنس والجن ولو اجتمعوا...

وكذلك ما يأت به ويفعله السحرة والكهان يمتنع أن يكون آية للنبي بل آية وعلامة الكفر والضلال وفيه من الإضرار بالخلق وإفساد حياتهم ما يجعله من أبعد الأمور عن أفعال وأحوال الأنبياء الذين هم مصدر الخير والهدى والرحمة للخلق»<sup>(١)</sup>.

وما يفعله السحرة والكهنة إنما هو خداع للخلق وكذب وبهتان لا يقلب الأشياء عن طبائعها ولا يغيرها عن حقائقها إنما فيه أخذ الأ بصار وسحر العيون أما الحقائق فكما هي.

أما معجزات الأنبياء فهي خرق حقيقي للعادة يغير حقائق الأشياء ويقللها تماما، كما قلب الله طبيعة النار المحرقة فجعلها برداً وسلاماً على نبيه وخليله إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَنْذَرُ كُوْنِ بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وكما قلب تعالى عصى موسى من خشب جماد لا يتحرك إلى ثعبان عظيم هائل يهتز ويلقف كل ما أمامه قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَنْثُو سَعَىٰ﴾ <sup>١٧</sup> قَالَ هَيْ عَصَمَىٰ أَتَوْكَّأُ عَلَيْهَا وَاهْتَرَّ إِلَيْهَا عَنَّىٰ وَلَمْ يَفِهَا مَارِبُ أُخْرَىٰ <sup>١٨</sup> قَالَ أَلَقَهَا يَنْثُو سَعَىٰ <sup>١٩</sup> فَالْقَنَّهَا فَإِذَا هِيَ حَيَةٌ تَسْعَىٰ <sup>٢٠</sup> قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَفْ سَتُعِيدُهَا سِرَّهَا الْأَوَّلَىٰ <sup>٢١</sup>﴾ [طه: ٢١ - ١٧].

ولذلك أول من اعترف بهذا الفارق الهائل بين معجزات الأنبياء وبين سحر السحرة هم السحرة أنفسهم فلما رأوا آية موسى وانقلاب العصا حية عظيمة تلتف ما صنعوا أيقنوا أنها معجزة بلغة ليست من جنس أفعالهم الكاذبة فخرروا سجداً وقالوا أمنا برب العالمين رب موسى وهرون.

(١) كتاب النبوات (٢٩٥ - ٢٩٦) باختصار وتصريف.

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةُ سَجِدِينَ﴾ [٦٥] ﴿فَالْوَا مَاتَ يَرَى النَّاسِ مَوْسَىٰ رَبِّهِ مُوسَىٰ وَهَزَرُونَ﴾ [٦٦] [الشعراء: ٤٦ - ٤٨].

وأما ما يجريه الله تعالى من بعض خوارق العادة إكراماً وتبييناً لبعض الصالحين من عباده المؤمنين وأولياء المتقين مما أصطلاح على تسميته «بكرامات الأولياء» فهو أيضاً من آيات الأنبياء وبراهين نبوتهم ودلائل صدقهم ، فإن كرامات الأولياء لا تكون إلا للمؤمنين بالأنبياء، المتبعين بصدق لهم، السائرين على منهجهم، المستعين بستهم. فهي إذاً دليل صدق أنبيائهم وشاهد نبوتهم.

وكذلك فإن كرامات الأولياء معتادة للصالحين. ومعجزات الأنبياء فوق ذلك فهي آيات باهرة خارقة بلية لأن آيات الأنبياء ومعجزاتهم منها كبار عظيمة.

قال تعالى: ﴿فَارْتَهَ آلَيَّةَ الْكَبِيرَ﴾ [٢٠] [النازعات: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿لِرِبِّكَ مِنْ أَيْنَنَا الْكَبِيرَ﴾ [٢٢] [طه: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَدَّ رَأَى مِنْ أَيْنَتِ رَبِّهِ الْكَبِيرَ﴾ [٢٤] [النجم: ١٨].

ومنها صغرى دون التي قبلها مثل تكثير الطعام القليل ونبع الماء ونحو ذلك. فالآيات الكبيرة مختصة بالأنبياء وقد يقع من الصغرى لبعض الصالحين على سبيل الكراهة لهم والتبييت.

ثم إن كرامات الأولياء والصالحين، لا تُسأل ولا تنظر ولا يبحث عنها ولا يُعمل من أجل الوصول إليها فإن من انتظرها أو سعى إليها. لا يحصل عليها ولا يصل إليها. ثم غايتها إكرامه من صاحبي عباده ومتقي عباده. وتبييتهم وزيادة يقينهم فهي إن وقعت لهم تسربهم ولا تغرنهم، وتشعرهم ولا تضرهم.

المسألة السابعة :

خصائص الرسائل المحمدية:

من المقطوع به عند أهل السنة والجماعة أن الأنبياء يتفاصلون ببعضهم أفضل من بعض قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرَّسُولُ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَمَ اللَّهَ وَرَفِعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضل الأنبياء جميماً. سيدهم وإمامهم. صاحب المقام المحمود والحضور المورود صاحب لواء الحمد أدم فمن دونه تحت قدمه محشور. وهو نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن التضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معن بن عدنان. بِسْمِ اللَّهِ تَسْلِيمًا كثِيرًا.

وقد آتاه الله من الفضائل، والخصائص ما لم يؤته أحد من أنبيائه ورسله تفضيلاً له وتحميلاً وتشريفاً وتكريماً.

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وخصائص رسول الله محمد بِسْمِ اللَّهِ تَسْلِيمًا تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) القسم الأول: خصائص له في ذات شخصه الشريف عليه الصلاة والسلام لا يشركه فيها أحد من الخلق مطلقاً. لا من الأنبياء ولا من غيرهم. منها:

١ - أعطي جوامع الكلم فكان يتكلم الكلام القليل. الذي يحوي من البلاغة والفصاحة ما أسكط البلغاء والفصحاء. ويحوي من العلوم والحكم والمعارف والخير ما كان منهاً عذباً معيناً للعلماء ينهلون منه ويسربون ويعرفون منه ويسقون. قال عليه الصلاة والسلام: «فضلت على الأنبياء

بست - وذكر منها - أعطيت جوامع الكلم<sup>(١)</sup>.

٢- أول من ينشق القبر عنه يوم القيمة: عندما ينفخ في الصور ل موقف البعث والنشر فأول مستيقظ وأول من ينشق القبر عنه قبره هو عليه.

في مسلم وغيره: قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيمة»<sup>(٢)</sup>.

٣- هو دعوة أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال كما أخبر الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبَقْتَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَنْلُو عَلَيْهِمْ إِذْنِكَ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَرُزِّقْتَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [القرآن: ١٢٩].

وبشرى أخيه عيسى ابن مريم عليه السلام إذ قال كما أخبر الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّنِي مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْهُمْ أَحَدٌ﴾ [الصف: ٦].

وقال عليه: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»<sup>(٣)</sup>.

٤- أذاع الله خبره في السماء، وشاع نباء عند الأنبياء وأخذ الله على الأنبياء المواتيق أن لو بعث محمد عليه وأحدكم حي لزمه أن يؤمن به ويتباه، ولعظيم هذا الأمر ذكره الله تعالى في القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيشَنَ الْتَّيْكَنَ لَمَّا إِاتَّيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَقْرِئُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ إِنَّا أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذى (١٥٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨). (٣) تقدم تخریجه.

إِنَّمَا قَالُوا أَقْرَرْنَا فَقَالَ فَأَشَهَدُوا وَآنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لو أن موسى حي بين أظهركم لما وسعه إلا أن يتبعني» <sup>(١)</sup>.

وفي حديث ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً أو قال متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» <sup>(٢)</sup>.

٥- صاحب المقام المحمود يوم القيمة وهو موقف الشفاعة العظمى لفصل القضاء والله تعالى يقول: «وَمَنْ أَلَّمْ فَنَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَعْتَثِكَ رَبُّكَ مَقَامًا تَخْمُودًا» <sup>(٣)</sup> [الإسراء: ٧٩]، وهو المقام المهيوب الرهيب الذي يتأخر عنه أولوا العزم من الرسل ويعتذرون ويقوم له النبي ﷺ ويقول: أنا لها. فيأتي فيسجد تحت العرش ويفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه عليه من قبل ثم يقال له: يا محمد ارفع رأسك وسلم تعط. واسفع تشفع» <sup>(٤)</sup>.

٦- أول من يمر على الصراط المضروب على متن النار. وأول من يدخل الجنة <sup>عليها السلام</sup>، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز» <sup>(٥)</sup>.

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أتي بباب الجنة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك

(١) أخرجه أحمد (١٥١٥٦).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٦٠٩) وقال حسن، وأحمد (٢٠٥٩٦).

(٣) أخرجه البخارى (٣٣٤٠) مسلم (١٩٣).

(٤) أخرجه البخارى (٦٥٧٣).

أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(١)</sup>.

٧- أعطاه الله الكوثر ، والحوض المورود يوم القيمة.

أما الكوثر فقال الله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» [الكوثر: ١].

ولها تفسيران: قيل الكوثر الخير الكثير والأتباع الكثيرون المحبوون له المعظمون.

وقيل: هو نهر في الجنة يقال له: الكوثر<sup>(٢)</sup>.

والحوض المورود حوض عظيم له بُيُّوْت ترد عليه أمهاته يوم المحشر من شرب منه لا يظمأ بعد أبداً.

قال عليه الصلاة والسلام: «حوضي مسيرة شهر ، ما واؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، كيزانه عدد نجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً»<sup>(٣)</sup>.

٨- وهو صاحب الوسيلة: والوسيلة درجة عالية في الجنة لا تنبغي إلا لعبد واحد من عباد الله. وهو محمد<sup>ص</sup>.

قال عليه الصلاة والسلام: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم سلوا الله لي الوسيلة. فإنها درجة عالية في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو. فمن سأل لي الوسيلة حللت له شفاعتي»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧)، وأحمد (١٢٣٩٧).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٦٧١).

(٣) صحيح البخاري (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٢).

(٤) رواه البخاري (٤٧١٩)، ومسلم (٣٨٤) واللفظ له.

النوع الثاني: خصائص شاركته أمتها فيها ونالها من بركته خير كثير. وهي بحمد الله متعددة:

١ - قال عليه الصلاة والسلام: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»<sup>(١)</sup> وهذا باق في أمتة متى حافظت على عهد الله. واتبعت رسول الله وجاهدت في سبيل الله. لإعلاء كلمة الله، وإظهار دين الله تعالى.

أما إذا ضيغت أمر الله وأضاعت الصلاة واتبعت الشهوات وصار قاتلها على العصبيات والقبليات والملك والرئاسات فإن الأمر سينقلب.

كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا تباعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلة لا يترفع عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم وليلقين في قلوبكم الوهن. قيل ما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهيته الموت»<sup>(٣)</sup>.

٢ - قال عليه الصلاة والسلام: «أحلت لي الغائم ولم تحل لأحد من قبلِي»<sup>(٤)</sup>. وهذا باق في الأمة والحمد لله.

٣ - أمتة المتبعة له المعظمة لسته هي آخر الأمم زماناً. وأفضل الأمم مقاماً وخيراً. وأسبقها.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) واللفظ له، وأحمد (٥٥٦٢)، والبزار (٥٨٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) واللفظ له، وأحمد (٢٢٣٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) واللفظ له.

قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمِئُنَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: نحن الآخرون السابعون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا. ثم كان هذا يومهم الذي أضلهم الله عنه وهدانا له. فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غدٍ<sup>(١)</sup>.

يعنى يوم الجمعة المجيد، الذى هو في الآخرة يسمى يوم المزید.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

النوع الثالث: الشخصيات العظيمة لرسالتها عليه الصلاة والسلام.

١ - ختم النبوة: من العقائد الراسخة والحقائق الساطعة أن النبوة قد انقطعت من الأرض وختمت. وبمحمد ﷺ ختمها الله. فهو ﷺ خاتم النبيين. فكل من ادعى النبوة - بعد الرسول ﷺ فهو كذاب أشر. دعي زنيم. ملعون حقير.

قال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَنْقَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ» وَمَنْ قَالَ سَأَرَى مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوكُمْ أَفْسَسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُنْوَنِ يَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ عَلَى اللَّهِ عِنْدَ الْحِقْرِ وَكُنْتُمْ عَنْ مَا يَنْهِيَ تَسْتَكْبِرُونَ» [٩٣] الأنعام: ٩٣.

وأعلم أن ختم النبوة برسول الله النبي الأمي العربي محمد ﷺ، قد نص الله تعالى عليه في القرآن نصا صريحا وهي حالة فريدة وحيدة في تاريخ الأنبياء جميعا

(١) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠١٥) واللفظ له، والترمذى (٣٠٠١) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٨٨).

فلم يقل أحد منهم قط أنه خاتم الأنبياء ولم يسجل في كتاب منزل سابق قط.

وفي هذا أبلغ الدلالة على رد افتراء النصارى أن عيسى عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء ولم يستطعوا ولن يستطيعوا أن يقيموا دليلاً واحداً لا من الكتاب المقدس ولا من غيره، على ذلك.

نعم نحن المسلمين نعتقد أن عيسى ابن مريم عليه السلام هو خاتمة الأنبياء بني إسرائيل فقط. ثم نزع الله النبوة منهم بعد محاولتهم قتل وصلب النبي الله عيسى عليه السلام.

وجعلها فيبني إسماعيل في محمد ﷺ. وهذا ما يفسر لك حقد اليهود وحسدهم الشديد وغيظهم من رسول الله الخاتم الحق ﷺ.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال الإمام ابن كثير رحمة الله: « فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتوترة عنه: أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب وأفاك دجال، ضال مضل ولو فعل من أنواع السحر والطلاسم والشعوذات ما فعل فكل ذلك محال وضلال عند أولي الألباب وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيمة حتى يختمو بال المسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكاذبين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب ما جاء به وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٠٣) بتصرف واختصار.

فهذا نص قاطع من الله تعالى على أن محمداً النبي الأمي ﷺ هو خاتم الأنبياء وقد اعترف الأعداء بذلك.

يقول كارستن كولبي (Carsten Coipe) في كتابه (خاتم النبيين): «إن الإعلان بأن محمداً هو خاتم النبيين: هو الإعلان الوحيد في تاريخ النبوة الذي يصدر عن صاحبه، وفي حياته، ويسجله في كتابه، وذلك في وضوح ودقة وقطع لا مجال فيه للبس أو غموض، إذ هو ليس كغيره من الإعلانات السابقة التي تَحُصُّل عن طريق الاستنباط أو التحليل»<sup>(١)</sup>.

وقد أعلن وبين رسول الله ﷺ أنه خاتم الأنبياء بصرامة ووضوح وأعلن أنه سيخرج بعده أدباء كذابون مفترون يزعمون أنهم أنبياء وهم كذبة أفاكون. قال عليه الصلاة والسلام: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضع تلك اللبنة. فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين»<sup>(٢)</sup>.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماهي الذي محب الله بي الكفر، وأنا الحاسر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدهنبي»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «سيخرج بعدي ثلاثة كذابون كلهم يزعم أنهنبي، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي»<sup>(٤)</sup>.

(١) نقلًا عن كتاب «نبي الإسلام» للدكتور عبد الرحيم الحسين (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٣٢) مسلم (٢٣٥٤).

(٤) صحيح البخاري (١٥٧)، ومسلم (٣٦٠٩)، والترمذى (٢٢١٨) واللفظ له.

ومعنى ختم النبوة: انقطاع الوحي من السماء وانتهاء إنباء الله للناس بعد محمد ﷺ.

وهذا يعني أن الله تعالى أنهى جميع الأسباب ورفع كل الدواعي التي تتطلب بعثة الأنبياء والرسل والتي يمكن أن نجملها في ثلاثة أسباب:

### السبب الأول

أن لا يكون قد جاء إلى أمة رسول يهديها ويعلمها وكانت حاجتهم إليه ملحة بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيٌ﴾ [الرعد: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وهذا السبب ارتفع بعموم رسالة محمد إلى العالمين وانتشارها في الأرض، وما بقي بيت إلا فيه خبر الإسلام. ومعرفة بما دعى إليه النبي ﷺ من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

وقد راسل رسول الله ﷺ ملوك الأرض في زمانه كلهم يدعوهم إلى الإسلام.

### السبب الثاني

أن تكون رسالة الرسول قد اندثرت وطالها التحرير والتبديل وأصول دينه وسيرته وكلامه ضاعت أو اندثرت مما يجعل التمييز بين ما هو منها وما هو دخيل عليها مستحيل وهذا السبب يعلم كل عاقل منصف ارتفاعه في شأن دعوة رسول الله ﷺ فمصادر دينه محفوظة متمثلة في حفظ القرآن من الزيادة ، والنقصان والتحريف وسيقى كذلك بلينا محفوظاً معجزاً متحداً به جميع الثقلين.

وكذلك سيرته وسنته ولسان كتابه وأمور دينه وفروعه بل كل صغيرة وكبيرة في حياته ﷺ.

وقد اعترف بذلك بعض المستشرقين والباحثين الغربيين.

من ذلك ما قاله جون دينفورت: «يمكننا أن نقول إنه لم تكتب سيرة أحد من المشرعين والفاتحين والمعروفين بإسناد أو ثق وتفصيل أكثر مما كتبت به سيرة محمد»<sup>(١)</sup>.

### السبب الثالث

أن تكون شريعة النبي ناقصة أو محدودة فتحتاج إلى رسالة بعدها تكمل نقصها أو تفصل مجملها. وهذا السبب أيضاً متفي ومرتفع في دعوة رسول الله ﷺ فهي من الكمال والشمول والتمام والتفصيل ما يفي بالحاجات البشرية إلى آخر الزمان. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِمْ أَكَلَمْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بَعْدَىٰ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال أبو ذر: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحية في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»<sup>(٢)</sup>.

- ٢ - عالمية رسالة النبي محمد ﷺ للجن والإنس جميعاً.

وهذه خصيصة عظيمة الشأن. جليلة القدر، رفيعة المقام. فمحمد ﷺ، رحمة الله رب العالمين ، للعالمين أجمعين ، فرض الله على جميع الثقلين الإنس والجن إلى قيام الساعة الإيمان به وطاعة واتباعه. وتوقيره وتعظيمه وسد الله جميع الطرق الموصلة إليه تعالى وإلى جنته ورضوانه، ولم يفتحها لأحد إلا من طريق رسوله الخاتم محمد ﷺ.

(١) نقلًا عن كتاب النبوة في الإسلام. عبد الحميد صدقى (٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧)، وأبو طاهر المخلص في المخلصيات (١٩٤٤).

وقد دلّ القرآن الكريم بآيات كثيرة غاية في الوضوح والصراحة على أن محمداً عليه السلام هو رسوله إلى الثقلين الجن والإنس إلى قيام الساعة.

كما دلت سنته القولية في أحاديث كثيرة على ذلك وكذلك سنته العملية وسيرة أصحابه وخلفائه وأمته من بعده.

### دلالة القرآن الكريم:

\* قال تعالى: «فُلْ يَتَأْبِئَا النَّاسُ إِذِ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّكُمْ جَيْعَانًا لَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي، وَيُمِيتُ فَقَاتِلُوكُمْ بِإِلَهِكُمْ وَرَسُولِهِ أَلَّذِي أَلْمَتَ لَذِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَهْتَدُونَ» <sup>(١٥٨)</sup> [الأعراف: ١٥٨].

يقول ابن كثير رحمه الله: «قل يا لها الناس خطاب للحرير والسود من العرب والعجم إني رسول الله إليكم جميعاً وهذا من شرفه عظمته عليه السلام لأنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة» <sup>(١)</sup>.

\* وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» <sup>(٢٨)</sup> [سباء: ٢٨].

يقول الطبرى: «وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين من قومك خاصة ولكننا أرسلناك للناس جميعاً العرب منهم والعجم والأحرار والأسود بشيراً لمن أطاعك، ونذيراً لمن كذبك. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر» <sup>(٢)</sup>.

\* وقال تعالى في النساء: «يَتَأْبِئَا النَّاسُ فَدَجَاءُكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِيقَةِ مِنْ رَبِّكُمْ فَقَاتِلُوكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم (١٨٥/٢).

(٢) تفسير الطبرى (٣٧٧/١٠).

خيراً لكم» [النساء: ١٧٠].

يقول الطبرى: «يأيها الناس من جميع الأصناف والمملل يهودها ونصاراها ومشركيها الذين قص الله قصصهم في هذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم أي حجة من الله تبرهن لكم بطلان ما أتتم عليه مقيمون من أديانكم ومللکم وهذا البرهان هو محمد ﷺ الذي جعله حجة قطع بها عذرکم وأبلغ إليکم في المعدنة بآرساله إليهم مع تعريفه إياکم صحة نبوته وتحقيق ورسالته»<sup>(١)</sup>.

\* قال تعالى: «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ» [القلم: ٥٢].

قال الطبرى: «وما محمد إلا ذكر الله به العالمين التقلين الجن والإنس»<sup>(٢)</sup>.

\* قال تعالى: «بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١].

قال الطبرى: «ليكون محمد لجميع الجن والإنس والذي بعثه الله إليهم وداعيا إليه ونذيرا منه»<sup>(٣)</sup>.

\* قال تعالى: «إِنَّ فِي هَذَا لِكْنَجًا لِّقَوْمٍ عَنِيدِينَ وَمَا أَرْسَنَتْكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٦ - ١٠٧].

وذكر الطبرى خلاف المفسرين هل الرحمة شاملة للخلق مؤمنهم وكافرهم.

ويدل على ذلك حديث مسلم عن أبي هريرة وقيل يا رسول الله ادع على

(١) تفسير الطبرى (٤/٣٧٧).

(٢) المصدر السابق (١٢/٢٠٤).

(٣) المصدر السابق (٩/٣٦٣).

المشركين: قال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»<sup>(١)</sup>.

أما دلالة السنة على عالمية الرسالة فمن جهتين:

الجهة الأولى: السنة القولية. فقد وضح النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أنه رسول إلى أهل الأرض كلهم عربهم وعجمهم أسودهم وأحمرهم وأبيضهم جنهم وإنهم من كان في زمانه ومن يأتي بعده إلى قيام الساعة وإليك بعضًا من هذه الأحاديث الشريفة.

١ - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً... إلى أن قال: وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويعث إلى الناس كافة»<sup>(٢)</sup>.

٢ - وفي الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ قال: «بعثت إلى كل أحمر وأسود»<sup>(٣)</sup>.  
قال مجاهد: «يعني الجن والإنس»، وقال غيره يعني العرب والعماليق والكل  
صحيح.

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرسلت إلى  
الخلق كافة وختم بي النبيون»<sup>(٤)</sup>.

٤ - وعن أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي  
أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٣) مسلم (٥٢١).

(٤) أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذى (١٥٥٣) وقال حسن صحيح.

كان من أهل النار»<sup>(١)</sup>.

أما الجهة الثانية: فهي سنته العملية، ويتمثل ذلك في كتبه ورسائله التي بعثها إلى ملوك الأمم من حوله يعلمهم أنه رسول الله ويدعوهم إلى الإيمان بالله وبه وعبادة الله وحده لا شريك له.

فأرسل إلى هرقل عظيم الروم ، وإلى كسرى عظيم الفرس وإلى النجاشي ملك الحبشة وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى المنذر بن ساوي ملك البحرين، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا نص كتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم كما ذكره البخاري في الصحيح من حديث ابن عباس في قصة هرقل مع أبي سفيان «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم وسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً. ولا يت忤ذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون»<sup>(٣)</sup>.

فانظر إلى هذا الكتاب ما أعظمها وأجملها. مع ما فيه من وضوح العبارة ورفع الأدب ووضوح المقاصد.

(١) آخر جهه مسلم (١٥٣).

(٢) جمع العلماء نصوص كتبه ورسائله إلى ملوك الأرض في زمانه. انظر. كتاب: المصباح المضيء في كتب النبي الأمي ورسلمه إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي. للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن حديدة الأنباري المتوفي سنة ٧٨٣هـ. وكتاب: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين للإمام محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ.

(٣) صحيح البخاري. بدء الوجه حديث رقم (٧).

ثم سار خلفاء وأصحابه من بعده فنشروا دين الله في الأرض كلها. وبلغت رسالته ودعوته ما بلغ الليل والنهار ودخل الناس في دين الله أفواجاً وتحقق وعد الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِدِينِ الْمُقْرَبِ لِطَهْرِهِ، عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وتحققت وعده ﷺ عندما قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»<sup>(١)</sup>.

#### المسألة الثامنة: حقوق النبي ﷺ على أمته:

للنبي ﷺ حقوق عظيمة على أمته، فقد أنقذهم الله به من الضلال إلى الهدى، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، فحقه جد عظيم، ومقامه جد شريف.

١- فأعظمها الإيمان الصادق به نبياً ورسولاً ختم الله به الأنبياء فلا نبي بعده، وشرح الله صدره، ونور قلبه وجعل رسالته رحمة للعالمين. وهداية للخلائق أجمعين. وهذا الإيمان يجب أن يكون صادقاً يقينياً يصلح درجة الرضا التام به نبياً ورسولاً ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا مُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَلْأَتِيَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلَّمَنِيهِ، وَأَتَيْعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

عن العباس بن عبد المطلب قال: قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ريا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن نطيه طاعة تامة في كل أمر ونتهي بما عنه نهى وزجر لعلمنا أنه عليه

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (٣٤).

السلام لا يأمر إلا ما فيه الخير والهدى والصلاح لنا في الدنيا والآخرة، ولا ينهى إلا عن ما فيه الضر والشر والخسارة في الدنيا والآخرة، وأن طاعته من طاعة الله تعالى.

قال الله تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا» [ النساء: ٨٠]، وقال تعالى: «وَلَمْ تُطِعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَبْلَغَ أَمْرِهِ» [ التور: ٥٤].

٣- محبتـه عليه السلام محبـة عظـيمة تفـوق محبـة كل محبـوب لدينا سـوى الله تعالى من والـد وولـد وزوجـوـمـال وأرـض حتـى نـحبـه أـكـثـر من أنـفسـنا.

عن أنس بن مالـك رضـي الله عنـه قال: قال النـبـي ﷺ «لـا يـؤـمـن أحـدـكـم حتـى أـكـون أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ والـدـهـ وـولـدـهـ وـالـنـاسـ أـجـمـعـينـ»<sup>(١)</sup>.

٤- أن نـبذـلـ الغـالـيـ وـالـنـفـيـسـ فيـ الـذـيـ عـنـ عـرـضـهـ وـشـخـصـهـ وـدـعـوـتـهـ وـنبـوـتـهـ وـرسـالتـهـ؛ بلـ وـأـهـلـ بـيـتـهـ وـزـوـجـاتـهـ أـمـهـاتـ المـؤـمـنـينـ وـأـصـحـابـ الـغـرـ المـيـامـينـ. ضـدـ كـلـ طـاعـنـ وـكـارـهـ وـحـاقـدـ. وـنـجـاهـدـ فـيـ ذـلـكـ بـكـلـ مـاـ أـوـتـيـنـاـ مـنـ طـاقـةـ وـجـهـدـ وـمـالـ وـغـيـرـ ذـلـكـ.

فـهـذاـ مـنـ تعـزـيرـهـ وـتـوـقـيرـهـ عـلـيـهـ الصـلـاةـ وـالـسـلامـ.

وـقـدـ وـصـفـ اللـهـ الـمـؤـمـنـينـ بـذـلـكـ فـقـالـ تـعـالـىـ: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوا وَنَصَرُوا وَأَتَبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف: ١٥٧].

قال الإمام إسحاق بن راهوية أحد الأئمة الأعلام رحمـهـ اللهـ: «أـجـمـعـ الـمـسـلـمـونـ عـلـىـ أـنـ سـبـ اللـهـ تـعـالـىـ أـوـ سـبـ النـبـيـ ﷺـ، أـوـ دـفـعـ شـيـئـاـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، أـوـ قـتـلـ نـبـيـاـ مـنـ أـنـبـيـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ: أـنـ كـافـرـ بـذـلـكـ وـإـنـ كـانـ مـقـرـاـ بـكـلـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٤) واللفظ له، ومسلم (٤٤).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٤).

وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتل ساب النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وتحrir القول فيه: أن ساب النبي ﷺ إن كان مسلماً فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف وهو مذهب الأئمة الأربع وغيرهم وقد تقدم فممن حكم الإجماع على ذلك إسحاق بن راهوية وغيره»<sup>(٢)</sup>.

٥ - تعلم سنته المباركة الشريفة وحفظ أحاديثه المنيفة ما أمكن والاقتداء بهديه واتباع سنته في كل أمر صغير أو كبير. لأن ذلك من صفات المؤمنين وسيماً المتقيين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ فَحَذِّرُهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ [الحضر: ٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً لَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٦ - كثرة الصلاة والسلام عليه في كل وقت فإنها عبادة مستقلة مقربة إلى الله يحبها الله ويرضاها رسول الله ﷺ، ويتأكد ذلك بل ويجب عندما يذكر ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدُهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: «البخيل من ذُكرْتُ عنده ثم لم يصلّ عليّ»<sup>(٤)</sup>.

ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة لأن يوم الجمعة هو سيد الأيام، ومحمد ﷺ سيد الأنام، فناسب الإكثار من الصلاة والسلام على سيد الأنام في سيد الأيام.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه الترمذى (٣٥٤٥) وقال حسن غريب.

(٤) رواه الترمذى (٣٥٤٦) وقال حسن صحيح.

قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ... فَأَكْثِرُوا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ فِيهِ»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید.

#### المسألة التاسعة :

الإيمان بما أنزله الله من الكتب على أنبيائه ورسله عليه السلام.  
 وما يتصل بالإيمان بالأنبياء الإيمان بما أنزل الله من كتب على أنبيائه.  
 والإيمان بكتب الله تعالى المنزلة. أحد أركان الإيمان العظيمة التي لا بد منها.  
 والإيمان بكتب الله إجمالي وتفصيلي:  
 أما الإجمالي: فنؤمن بما أنزل الله من كتاب سواء عرفنا تلك الكتب أم لم نعرفها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [ النساء: ١٣٦].

فالكتاب الذي نزل على رسوله: هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ  
 والكتاب الذي أنزل من قبل: اسم جنس يشمل كل كتاب أنزله الله تعالى من قبل القرآن الكريم.

(١) مسلم (٤٠٨) مختصره، وابن ماجه (١٦٣٦) واللفظه له، والنثاني في الصغرى (١٣٧٤)، وأبو داود (١٥٣١) وهو صحيح.

(٢) يراجع في ذلك كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية رحمة الله.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].

أي آمنت بكل كتاب أنزله الله من قبل.

و حكم الله بـكفر من كفر بكتبه وكذبها وأنكرها فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [ النساء: ١٣٦].

أما الإيمان التفصيلي فـؤمن على سبيل التفصيل بما ذكر لنا من كتب الله المنزلة على أنبياءه وهي أربعة:

التوراة أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام والإنجيل أنزله على نبيه عيسى عليه السلام.

والزبور أنزله على نبيه داود عليه السلام.

وصحف إبراهيم.

والقرآن الكريم وهو أشرف كتب الله المثلة وخاتمتها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَرُبُورًا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَصِিলًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَحَمَدُهَا يَقُوَّةً وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِتَنَاهُ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَارُودَ رَبُورًا﴾ [ النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِفِي الْكِتَابِ الْأُولَى ﴿١٦﴾ صُحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٦].

المسألة العاشرة: القرآن الكريم.

قال تعالى: «فَلَا أُقِسِّمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَرَآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْثُلُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَرْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ ﴿٨٠﴾» [الواقعة: ٧٥ - ٨٠].

كتاب الله المجيد. فيه نبأ ما قبلنا وحكم ما بيننا. هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله. ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله.

تكلم الله به على الحقيقة فهو كلام الله بحروفه ومعانيه. وسمعه جبريل الأمين من الله ونزل به على قلب رسول الله محمد ﷺ.

هو حبل الله المتين. وحجۃ الله البالغة. ومعجزة رسول الله الخالدة تحدی الله به البلوغ والفصحاء والجن والإنس أن يأتوا بشيء من مثله.

قال تعالى: «قُلْ لَئِنْ أَجْمَعَتِ الْأَنْشَاءُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِعْنَاضِيْرًا ﴿٨١﴾» [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾» [المائدة: ٤٨].

أي أن القرآن الكريم مصدقًا لما في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل وناسخًا لها ومهميًّا عليها.

فما فيها من حق وصدق فالقرآن يصدقه ويأتي بمثله وأحسن منه فقيه الغنية عنها من هذه الجهة.

وما فيها من حق أخفاه الأخبار والرهبان وأخرجوه من الكتاب وحذفوه ظلماً واعتداءً.

فالقرآن يظهره ويبينه ويكشفه.

قال تعالى: ﴿ يَتَاهُلُ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبِينٌ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِيُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَقْعُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ نُورٌ وَكِتَبٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

وما فيها من باطل وبهتان افتراء كذبة الأخبار والرهبان ونسبوه إلى الله وأدخلوه في كتاب الله. فقد كشفه القرآن ورد باطلهم وحكم عليه بالضلال والبهتان.

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَعْوَلُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشَرُّوْا بِهِ ثُمَّ أَقْبَلُوا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنْبَتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [٢٧٩].

ثم إن هذا القرآن باقي كما أنزله الله محفوظ بحفظ الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْآيَةِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال الإمام الطبرى رحمه الله: «يقول تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْآيَةِ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، قال: وإنما للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ليس منه، أو ينقص منه ما هو من أحكامه وحدوده وفراصمه»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالذين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعاً ظاهراً معلوماً، وهو منقول عن نبيهم نقلأً متواتراً نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسننه مفسرة للقرآن مبينة له، فصار معانى القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثه الأمة عن نبيها كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن ولله الحمد فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعانى فكيف بألفاظ تلك المعانى»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الطبرى (٤٩٣/٧).

(٢) الجواب الصحيح (١٧/٣).

وقال: «ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَأَنَا  
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾<sup>(١)</sup>».<sup>(٢)</sup>

ففي ذلك أعظم البرهان على نبوة النبي الخاتم محمد ﷺ لذلك فإن القرآن هو معجزته الخالدة الباقيه التي تشع أنوارها. تأثيراً في القلوب وشرحاً للصدور وهداية للخلق فهي الشفاء والرحمة والهدى والنور والموعظة والتذكرة والتبصرة لذلك أثره سيقى ما بقي كتاب الله. لأنه الأثر الباقي من آثار الأنبياء والصلة الباقيه من وحي الله المنزلي من السماء.

وقد نوه النبي ﷺ بذلك وبين أن القرآن هو آيته المعجزة المؤثرة الباقيه لذلك سيكون هو أكثر الأنبياء من جهة الأتباع المؤمنين من المتبعين لكتابه المنزلي البلigh المعجز.

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما على مثله آمن البشر. وإنما كان الذي أعطيته وحيناً أو وحاه الله إلى فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا إِكْتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَنْقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

[الأنعام: ١٥٥].

## مختصر

(١) المصدر السابق (٣٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

## الفصل الرابع

### الإيمان بقضاء الله وقدره

مقدمة :

إثبات القدر والإيمان به من الدين المشترك، ومن أصول الديانة التي دعا إليها ووضحتها جميع رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام، ومما يدل على ذلك ويوضحه:

\* قال الله تعالى في خطاب نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنْعَكِشُ نُصْحِحُ إِنَّ أَرْدَتُ أَنْ أَنْصَحَّ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة هود: ٣٤].

\* وقال هود لقومه: ﴿فَكَيْدُونِي جَيِّعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [٥٥] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَاٰ مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْيَذُ بِنَاصِيَّهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦] [هود: ٥٥-٥٦].

\* وكان نبينا من أعظم الداعين لهذا الأصل العظيم والموضعين له والرادين على المنازعين فيه.

ولقد كان إثبات القدر والإيمان به هو ديانة هذه الأمة أجمع عليه الصحابة والتبعون التابعون لهم.

ولم يقع في عهد النبوة أي نزاع في القدر وأي جدال لله إلا ما جاء في حادثة معينة واحدة حُسِمَ النزاع فيها بأشد درجات الحسم.

خرج النبي ﷺ على أصحابه يوماً وهم يتجادلون في القدر وأحدهم ينزع بأية

والآخر بآية أخرى فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان من الغضب وقال: «أبهذا أمرتم؟! أم بهذا أرسلت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه بعض؟! إنما أنزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا»<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الأمر في عهد الخلافة الراشدة وكان كلما يظهر نزاع في المسألة حسم ونقض.

لما فتح الصحابة بلاد الشام. وفد عمر الشام سنة ١٥ هـ نزل بمكان يقال له «الجایة» وحضره كبراء النصارى وجلس إليه «الجاثيليق» يُتَرْجَم له ما يقول عمر فخطب عمر خطبته المشهورة وقال في فاتحتها: «من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له» فلما ترجمت للجاثيليق نقض ثوبه وتكلم بكلام لم يفهمه عمر فقال عمر: ما يقول؟ فقال له الترجمان: يقول: «إن الله لا يضل أحداً» فقال عمر: «كذبت أي عدو الله بل الله خلقك، وقد أضلتك وسوف يدخلك النار أما والله لولا عهد لك لضررت عنقك إن الله خلقخلق أهل الجنة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون: هؤلاء هذه وهؤلاء هذه».

فقام الناس وما يختلفون في القدر<sup>(٢)</sup>.

وكذلك حصل نوع نزاع في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنا عند علي رضي الله عنه فاختلفوا في القدر، فأدخل علي إصبعه السبابية في فيه فرقم بها باطن يده وقال: «أشهد أن

(١) أخرجه الترمذى (٢١٣٣) وقال غريب، وابن ماجه (٨٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٤٠).

(٢) أخرجه ابن بطة فى الإبانة (١٥٦١) واللفظ له، والدارمى فى الرد على الجهمية (٢٥٧)، والبيهقى فى القضاء والقدر (٣٦١).

هاتين الرقمتين كانتا في أُم الكتاب<sup>(١)</sup>.

ثم في آخر عصر الصحابة في أثناء الدولة الأموية وأوائلها عاد النصارى مرة أخرى ليثروا مسألة القدر والشبهات فيها وليبذروا بذرة شر في هذه المسألة في هذه الأمة على يد رجل نصراني اسمه «سيسيويه البقال».

قال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رحمه الله: «أول من تكلم في القدر رجل نصراني اسمه «سيسيويه البقال» كان نصرانياً فأسلم ثم عاد نصرانياً. وعنه أخذ معبد وأخذ غيلان عن معبد»<sup>(٢)</sup>.

وتلقى مقالة نفي القدر من سيسويه البقال النصراني: كل من معبد بن عويم وغيلان بن مسلم الدمشقي، وروجوا لها ونشروها.

وتكونت على يد معبد وغيلان ما يسمى بالقدريّة الأولى.

وقد رد عليهم وتبرأ منهم الصحابة؛ كعبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن عمر: «إذا لقيتم أولئك فأخبروهم أنني بريء منهم وأنهم براءاء مني. والذي يحلف عليه ابن عمر: لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما تقبل منه حتى يؤمن بالقدر»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٨١).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١٩٥٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٣٩٦).

(٣) صحيح مسلم (٨) وهذا أول حديث في صحيح مسلم.

المسألة الأولى: القدر لغة:

القضاء والحكم.

قال الراغب الأصفهاني: «القدر بوضعه يدل على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم ويتضمن الإرادة عقلاً والقول نقاً وحاصله وجود شيء في وقت وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول»<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: «القدر: علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها. وخلق ما سبق به علمه وإرادته»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو المظفر بن السمعاني: «سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتأه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه النبي مرسلاً ولا ملكاً مقرباً»<sup>(٣)</sup>.

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أنه قادر كل شيء وأراده وخلقه على وفق ذلك التقدير كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بِقَدْرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرِهِ﴾ [الفرقان: ٢٦]

والتقدير على خمسة أنواع:

النوع الأول: التقدير العام لجميع الخلائق وهذا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن

(١) المفردات (١١٥).

(٢) فتح الباري (٤٨٦/١١).

(٣) فتح الباري (٤٨٦/١١).

النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(١)</sup>.

وحدث عمران بن الحصين أن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض»<sup>(٢)</sup>.

النوع الثاني: وهو تقدير سعادة الإنسان أو شقاءه وعمله وأجله وما هو فيه على مقتضى التقدير الأول إلا أن يمحو الله ما يشاء ويثبت لأنه تعالى يقول: «يَمْحُوا اللَّهُمَّ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» [٣٩] [الرعد: ٣٩].

النوع الثالث: التقدير الخاص لكل إنسان بحسب ما قضي في النوع الثاني: وهو في بطن أمه كما دل عليه حديث ابن مسعود. مرفوعاً: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً... وفيه: «فيبعث الله إليه ملكاً. فينفع فيه الروح ويؤمر بكتاب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشققي أو سعيد»<sup>(٣)</sup>.

النوع الرابع: التقدير السنوي في ليلة القدر للأحداث من يلد ومن يموت، قال تعالى: «أَنْ هَمَّ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [٦] [الدخان: ٦-١].

قال قتادة: هي ليلة القدر<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من

(١) صحيح مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (٣١٩١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٩٤).

(٤) تفسير الطبرى (١١/١٩٧).

موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس أيضاً: «إن الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى»<sup>(٢)</sup>.

**النوع الخامس:** التقدير اليومي، دل عليه قوله تعالى: «يَسْأَلُهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»<sup>(٣)</sup> [الرحمن: ٢٩].

قال ابن عباس ومجاهد وعطاء: «من شأنه أن ينظر كل يوم فيخلق ويرزق  
ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم: «فهذا تقدير يومي، والذي قبله حولي والذي قبله تقدير عمري  
والذي عند أول تخليقه وكونه مضغة والذي قبله تقدير سابق لوجود البشر  
لكن بعد خلق السماوات والأرض والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات  
والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(٥)</sup>.

**المسألة الثانية:** مراتب القدر.

الإيمان بالقدر لا يكون ولا يتحقق إلا أن تؤمن بأربع مراتب:

**المربطة الأولى:** العلم، أجمعـت عليه الرسل، وهو علم الله بالأشياء قبل كونها،  
بعـلمـهـ السـابـقـ، قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَكِّـةـ إِنِّـي جَاعِـلـ فـي الـأـرـضـ حـلـيقـةـ  
فـالـوـاـ أـجـعـلـ فـيـهـاـ مـنـ يـفـسـدـ فـيـهـاـ وـيـسـفـكـ الـإـمـاءـ وـنـحـنـ سـيـحـ مـحـمـدـكـ وـنـقـدـسـ لـكـ قـالـ

(١) الدر المثبور (٧/٣٩٩).

(٢) الدر المثبور (٧/٤٠٠).

(٣) تفسير الطبرى (١١/٥٩٢).

(٤) شفاء العليل (١/١١٣).

إِنَّ أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَرَى الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حِسْبٌ حَمِيرٌ ﴿٢٦﴾» [لقمان: ٤٣].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ عِلِّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ يَنْكُمْ وَلَقَدْ عِلِّمْنَا الْمُسْتَخِرِينَ ﴿٢١﴾» [الحجر: ٢٤].

قال عكرمة: «علم من قد خلق ومن خلا من الأمم وعلم من لم يخلق»<sup>(٢)</sup>.  
وقال قتادة: «المستقدمين: من مضى، والمستأخرين: من بقي في أصلاب الرجال»<sup>(٣)</sup>.

والى علم الله وحكمته ترجع الحكمة الكلية التي تقف خلف تقدير الأقدار، وهي التي عناها السلف بقولهم: القدر سر الله في خلقه.

وعلم الله تعالى بالأشياء على نوعين:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٧).

(٢) الطبرى (٧/٥٠٧).

(٣) المصدر السابق.

علم الغيب السابق للأشياء قبل كونها، وعلم الشهادة وهو علمه تعالى بالأشياء كائنة حاصلة. وأضاف الله العلم إلى نفسه بالتوين فقال تعالى في أكثر من آية: «عَلَمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَدَةَ الْعَرِيزُ لِغَيْكُمْ» [١٨] [سورة التغابن: ١٨]، وقال تعالى: «هُوَ اللَّهُ أَلَّا إِنَّهُ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْعَيْنِ وَالشَّهَدَةَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» [٢٢] [الحشر: ٢٢].

ومن أدتها قوله تعالى: «وَتَبَلُّوْكُمْ حَقَّ نَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلُّوْا أَخْبَارَكُمْ» [٣١] [محمد: ٣١].

وقال تعالى: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ» [٧] [العنكبوت: ٣].

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»<sup>(١)</sup>.

المরتبة الثانية: مرتبة الكتابة، قال تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْأَثْبَرِ» [٩] [صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ مُسْتَطْرِئٌ] [٥٢-٥٣] [سورة القمر: ٥٢-٥٣].

وقال تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَبَتْهُ فِي إِيمَانِ مُشْبِّنٍ» [١٢] [يس: ١٢].  
«مَا أَصَابَ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ تَبَرَّأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» [٢٢] [الحديد: ٢٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَهُ مِنَ الزَّنَادِرِ كَذَلِكَ لَا مَحَالَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٩٣-٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

قال ابن القيم: «أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة أن كل كائن إلى يوم القيمة فهو مكتوب في أم الكتاب»<sup>(١)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ أن هذه الكتابة لمقادير الأشياء كانت قبل خلق الله للسموات والأرض بخمسين ألف سنة فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم قال: قال النبي ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(٢)</sup>

### المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة.

قال الإمام الشافعي - في رواية الربيع - عن المشيئة: «إرادة الله قال الله عز وجل: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى في بيان عموم مشيئته: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاءَ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ غَدًا﴾ [٢٢] <sup>(٤)</sup>  
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] <sup>(٥)</sup> وَمَا  
 شَاءَوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٩] <sup>(٦)</sup> [التكوير: ٢٨-٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [١٦] <sup>(٧)</sup> [البروج: ١٦].

وأعلم أن إرادة الله تعالى، ومشيئته متعلقة بكل ما يقع ويحصل سواء كان هذا الواقع محبوها له أو مكروها له.

ولذلك قسم العلماء الإرادة إلى إرادة كونية قدرية متعلقة بكل واقع كل ما يقع فقد أراده الله حتى الكفر والفسق والعصيان.

(١) شفاء العليل (٤١/١).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) شفاء العليل (٤٥/١).

وإرادة دينية شرعية هي ما أمر الله به شرعاً ودينًا وأحبه ورضيه سواء وقع أم لم يقع. وقد ذُكرت كلا الإرادتين في القرآن.

**فالإرادة الأولى:** هي إرادة القضاء والتقدير الكونية العامة.

كقوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدَرَهُ ضَيْقَانًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأنعام: ١٢٥].

وقوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّهُمْ أَخْتَلَفُوا فِيمَنْ هُمْ مَعَاهُمْ وَمَنْ هُمْ مَنْ كَفَرُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» [آل عمران: ٢٥٣].

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَسَلَوْهُ» [الأنعام: ١١٢]، «وَلَوْ شِئْنَا لَا نَنْهَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَنَّا هُنَّا» [السجدة: ١٣].

**والإرادة الثانية:** إرادة الأمر والتشريع بمعنى المحبة والرضا، كقوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ يُكْثِرُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يُكْثِرُ الْمُسُرَ» [آل عمران: ١٨٥]، «يُرِيدُ اللَّهُ لِمُبَيِّنِ لَكُمْ وَلَهُدِيَكُمْ شَيْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ» [آل عمران: ٢٦].

وقد تشتهر الإرادتان وقد تنفصل ولذلك تكون الأحوال على أربعة أقسام بحسب تعلق الإرادة:

١ - **القسم الأول:** ما تعلقت به الإرادتان الكونية والشرعية كالإيمان من المؤمن فقد أراده الله كوناً لذلك وقع وهو تعالى قد أمر به وأحبه ورضيه.

٢ - **القسم الثاني:** ما لم تتعلق به أيُّ من الإرادتين كالكفر من المؤمن، فالمؤمن حال إيمانه؛ الكفر مرتفع عنه وغير واقع منه فدل على أن الله لم يرد منه الكفر كوناً

وقدراً لذلك لم يقع وهو في نفس الأمر لم يأمر بالكفر ولا يحبه ولا يرضاه: ﴿وَلَا يرْضَى لِعَبَادِهِ الْكُفَّارُ﴾ [الزمر: ٧].

٣- القسم الثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية دون الشرعية كالكفر من الكافر، فالكافر عندما يكفر علمنا أن الله أراد كفره كوناً وقدراً لذلك وقع منه الكفر ولكن هذا الكفر من الكافر لم يأمر الله به ولا يحبه ولا يرضاه بل يبغضه ويكرهه وينهى عنه.

٤- القسم الرابع: ما تعلقت به الإرادة الشرعية دون الكونية بالإيمان من الكافر فالكافر حال الكفر مرتفع عنه الإيمان فدل على أن الله لم يرد منه الإيمان قدرًا وكونًا، وإن كان أراده منه شرعاً وأمره به وطالبه به.

وبهذا يزول الإشكال في سؤال هل المصائب والشروع والأثام أراد الله أن تقع؟

الجواب: نعم أرادها قضاء وقدراً وكوناً لِحِكْمَ يعلمها ولكنه لم يردها شرعاً بل نهى عنها وأبغضها وحذر منها. وهذا الموضع ضلت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وبفهم ما سبق بالتفريق بين ما أراد الله تعالى كوناً وقدراً، وبين ما أراده شرعاً وأحبه ورضيه يزول الإشكال ونقف على المحجة الواضحة، فنؤمن بأقدار الله، ونتبع شرع الله تعالى.

#### المرقبة الرابعة: مرتبة الخلق:

يؤمن المسلمون أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن الله تعالى خلق كل شيء وقدره تقديرًا.

والمخلوقات على نوعين:

إما أعيان كالإنسان والحيوان والجبال والبحار والأشجار ونحوها.

وإما أفعال: هي حركات تلك الأعيان، فيؤمن أهل السنة بالجميع: أن الله خالق الأعيان وخالق حركات تلك الأعيان.

أما كونه تعالى خلق الأعيان فهذا إجماع من جميع طوائف الأمة.

أما خلقه تعالى لأفعال العباد وحركاتهم فالذي عليه أهل السنة: الإيمان بأن أفعال العباد وحركاتهم فالله خالقها سبحانه وهنا مباحث مهمة...

المبحث الأول:

أن الأفعال والحركات الصادرة من المخلوقات على نوعين:

١- حركات اضطرارية: وهي الصادرة من المخلوقات من غير إرادة ولا اختيار مثل حركة الأشجار والبحار وحركة الساقط من شاهق وحركة العروق داخل الإنسان وحركة المرتعش من الكبر وهكذا وهذا أجمعوا عليه الطوائف أنها مخلوقة لله تعالى.

٢- حركات اختيارية: وهي التي يفعلها القادر المختار من المخلوقات وتعلقت بها إدارته مثل: عموم حركات الإنسان وأفعاله.

فأهل السنة: يقولون بأن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة، والله تعالى خالقها ولكن العبد هو الفاعل لفعله حقيقة وهو المريد له. ويتبين ذلك بأن نقول: إن أفعال العباد يُنظر إليها باعتبارين:

الاعتبار الأول: ما يتعلق بالله تعالى وهو أنه تعالى خالق أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية وخير وشر لأنه لا خالق إلا الله، فالله تعالى خالق كل شيء.

الاعتبار الثاني: ما يتعلق بالعبد الفاعلين وهو أنهم هم الفاعلون لأفعالهم على الحقيقة وأفعالهم قائمة بهم منسوبة إليهم ويتحملون نتائجها مدخاً أو ذماً خيراً أو شرّاً ثواباً أو عقاباً.

وسبعين الاعتبارين وأدلتها.

الاعتبار الأول: وهو أن الله خالق أفعال العباد هذا قضية إجماعية أجمع عليها أهل السنة من لدن الصحابة فمن بعدهم لا خالق إلا الله.

قال تعالى: ﴿أَللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَمْلِئُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْرُوا فَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٢] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَبِيرُ﴾ [١٤-١٣] [الملك: ١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله خالق كل صانع وصنعته»<sup>(١)</sup>.

الاعتبار الثاني: من جهة العباد وأنهم هم الفاعلون لأفعالهم على الحقيقة وأن أفعالهم تنسب إليهم وتعود إليهم مدخاً أو ذماً وثواباً أو عقاباً.

والقرآن دل على صحة نسبة الأفعال إلى فاعليها من العباد.

قال الله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَغْنَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَنِيلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: «يا عبادي إنما

(١) أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد حديث رقم (١١٧-١١٨)، والحاكم .(٣١/١).

هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى هو الخالق، والعبد هو الفاعل وإليه ينسب فعله ذمًا ومدحًا، وهو المستحق لنتيجة عمله ثوابًا أو عقابًا.

المبحث الثاني :-

فإذا تبين مذهب أهل الجماعة في هذه المسألة العظيمة، وهي مسألة أفعال العباد بجانبيها: ما يتعلق بالله تعالى وأنه خالق أفعال العباد، وما يتعلق بالعباد وأنهم الفاعلون لأفعالهم.

هنا ينشأ سؤال مهم:

ما الفرق إذن بين ما يتعلق بالله تعالى ويقوم به، وبين ما يتعلق بالعبد ويقوم به؟

إن علم أن أهل السنة فرقوا بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

فالله تعالى متصرف بصفات الكمال، وصفاته تعالى قائمة به، ومن صفاته العظيمة، صفة الخلق، ومن أسمائه الحسنى الجليلة: اسم الخالق والخلاق.

والله تعالى سمي نفسه بالخالق والخلاق، وسلب هذا الاسم وهذه الصفة عن غيره.

قال تعالى: «هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ» [فاطر: ٣]

وقال تعالى: «اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» [الزمر: ٦٢]

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وغيرها كثيرة

وما هذه المخلوقات الكثيرة والعظيمة المبثوثة في أرجاء هذا العالم الفسيح  
إلا أثر تلك الصفة العظيمة لله تعالى: صفة الخلق.

وقد خلق الله تعالى هذه المخلوقات من الأعيان والأفعال منفصلة عنه، بائنة منه، فلا يقوم بذاته تعالى شيء من مخلوقاته، فالخلق فعله تعالى، وهو من صفاته القائمة به والمخلوق هو أثر ذلك الفعل من أفعاله تعالى، وهو من صفاته القائمة به والمخلوق هو أثر ذلك الفعل من افعاله تعالى، فالمخلوقات، ذواتها وحركاتها وصفاتها مخلوقة لله تعالى، والله عز وجل بذاته وصفاته هو الخالق المصور.

فأفعال العباد إذن مخلوقة لله تعالى مفعولة له وليس هي نفسه فعله وصفته تعالى.

وقد وضح أئمة السنة هذه المسألة توضيحاً شافياً.

١ - قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح  
موضحاً هذه المسألة (باب: ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من  
الخلائق، وهو فعل رب تبارك وتعالى وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره هو  
الخالق المُكَوَّنُ غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتكوينه وتخليقه فهو مفعول  
مخلوق مُكَوَّن) <sup>(١)</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على كلام البخاري السابق:  
(وسياق المصنف يقتضي التفرقة بين الفعل وما ينشأ عن الفعل، فال الأول من صفة

(١) صحيح البخاري (٤/٢٠٤)

الفاعل، والباري تعالى غير مخلوق فصفاته غير مخلوقة، وأما مفعوله وهو ما ينشأ عن فعله فهو مخلوق<sup>(١)</sup>

٢- وقال الإمام البخاري أيضاً ناقلاً التفريق بين الخلق والمخلوق، والفعل عن المفعول عن أهل العلم من السلف الصالح: «واختلف الناس في الفعل والفاعل والمفعول فقالت القدريّة: الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله. وقالت الجبرية: الأفاعيل كلها من الله.

وقالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد لذلك قالوا، لكن<sup>(٢)</sup> مخلوق وقال أهل العلم: التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة... فَقُلْ اللَّهُ صَفَةُ اللَّهِ، والمفعول غيره من الخلق<sup>(٣)</sup>

٣- وزاد الإمام البخاري رحمه الله هذا الموضع وضوحاً فقال: «أاما الفعل من المفعول: فالفعل إنما هو إحداث الشيء، والمفعول هو الحديث<sup>(٤)</sup> ، لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، فالسموات والأرض مفعولة، وكل شيء سوى الله بقضاءه فهو مفعول.

(١) فتح الباري (٢٢٤ / ٢٨)

(٢) كذا هو في جميع طبعات كتاب: خلق أفعال العباد المتشرة، وليس معناه واضحاً، والظاهر أن فيه تصحيفاً، والصواب «لذلك قالوا: كن مخلوق» والمعنى أن «كُن» في قوله تعالى «كُنْ فَيَكُونُ» [آل عمران: ٤٧] مخلوق لأن الفعل عندهم وهو قوله «كُن»، والمفعول وهو المُكَوَّن بكن واحد، ويريد وجود التصحيح أن الحافظ بن حجر نقل العبارة في فتح الباري كذلك فقال ناقلاً عن البخاري: «وقالت الجهمية... ولذلك قالوا: كن مخلوق» فتح الباري (٢٢٥ / ٢٨) وكذلك هو في كتاب الأبواب والتراجم للكاندلسي (٦ / ٣٤٣). والله أعلم

(٣) كتاب: خلق أفعال العباد (١٨٨).

(٤) كذا ولعل الصواب: «والمفعول هو الحديث».

فتخليل السموات فعله تعالى، لأنه لا يمكن أن تقوم سماء ب نفسها من غير فعل الفاعل، وإنما تُنسب السماء إليه لحال فعله، ففعله من ربوبيته حيث يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، و «لكن»<sup>(١)</sup> منه صفتة وهو الموصوف به كذلك قال: رب السموات ورب الأشياء<sup>(٢)</sup>

٤ - وقال الإمام البخاري أيضًا... «وكذلك مُؤَدِّي جميع لغات الخلق من غير اختلاف بينهم، وإنما هو الفاعل والمفعول، فالفعل صفة، والمفعول غيره وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا أَشَدُّهُمْ حَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]

ولم يرد بخلق السموات نفسها، وقد ميَّزَ فعل السموات وكذلك فعل جملة الخلق، وقوله: «ولا خلق أنفسهم»، وقد ميَّزَ الفعل والنفس، ولم يصر فعله خلقاً، وأما الوصف من الصفة: فالوصف إنما هو قول القائل: الله رحيم، والله علِيم، والله قدير، فقول القائل وصف وهو عبادة، والرحمة والعلم والقدر والكُبرى، والقوة كل هذا صفاتة<sup>(٣)</sup>

وما ذكره الإمام البخاري هنا من وجوب التفريق بين الفعل والمفعول. وبين التخليل وهو صفة الله تعالى، والمخلوق، وبين التكوين الذي هو فعل الباري تعالى وبين المُكَوَّن. هو الجواب الفصل في هذه المسألة وقد وافق كثير من علماء الكلام والمقالات على هذا وقرَّوه<sup>(٤)</sup>

(١) كذا والصواب: و «كُنْ».

(٢) خلق أفعال العباد (١٨٦)

(٣) المصدر السابق (١٨٧)

(٤) انظر كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٨/٧٥) وكتاب جمل أصول الدين لأبي سلمة السمرقندى (٣/١٨)، وأصول الدين للبزدوي (٤/٦٩)، وكتاب التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي (٢/١٩١)

والمخطلون في هذا الباب: لم يفرقوا بين التكوين وبين المُكَوَّن، وبين التخليق وبين المخلوق فجعلوا التكوين والمكون واحداً، وكذا الخلق والمخلوق.

فصار بعضهم إلى جعل الجميع من فعل العبد وإحداثه فالترزوا لأجل ذلك كون العباد هم الخالقون لأفعالهم المحدثون لها. وهذه طريقة القدرية من المعتزلة<sup>(١)</sup> ومن رافقهم وصار بعضهم إلى جعل العبد في الصورة فاعلاً وفي الحقيقة مجبوراً. على طريقة الأشاعرة ومن وافقهم. حتى قال أحدهم<sup>(٢)</sup>: (ثبتت بهذا أن أفعال العباد بقضاء الله وقدره، وأن الإنسان مضططر باختيار، وأنه ليس في الوجود إلا الجبر)<sup>(٣)</sup>.

وقال آخر<sup>(٤)</sup>: (إن الناس مجبورون بشرط أنهم مختارون، ومختارون بشرط أنهم مجبورون)<sup>(٥)</sup>.

وقال آخر<sup>(٦)</sup>: (وعلى التقاضي فلا اختيار للعبد فيكون مجبوراً)<sup>(٧)</sup>

٥ - ويزيد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله موقف أهل السنة توضيحاً فيقول: (وأئمة السنة وجمهورهم يقولون أن الله خالق هذا كله، والخلق عندهم ليس هو المخلوق، فيفرقون بين كون أفعال العباد مخلوقة مفعولة للرَّبِّ تعالى، وبين أن يكون نفس الذي هو مصدر فعل يفعل فعلاً، فإنها فعل العبد بمعنى

(١) انظر لمذهبهم في هذا كتاب: الفائق في أصول الدين لمحمود الملاحمي الخوارزمي (٥٥٩).

(٢) هو محمد بن عمر الرازي

(٣) المباحث المشرقية (٥١٧ / ٢).

(٤) هو عبد الكريم الشهري

(٥) مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار (٩٥٩ / ٢)

(٦) هو عاصد الدين الإيجي

(٧) المواقف (٣٢٤)

المصدر، وليس فعلا للرب تعالى بهذا الاعتبار، بل هي مفعولة له، والرب تعالى لا يتصف بمحمولاته<sup>(١)</sup>

٦ - وقال أيضاً بعد أن أورد هذا السؤال: «إذا قيل: كيف يكون الله مُحدِثًا لها؛ والعبد مُحدِثًا لها؟

قيل: إحداث الله تعالى لها يعني أن خلقها منفصلة عنه، قائمة بالعبد، ف يجعل العبد فاعلاً لها، بقدرته ومشيته التي خلقها الله تعالى، وإحداث العبد لها يعني أنه حدث منه هذا الفعل القائم به، بالقدرة والمشيئه التي خلقها الله فيه، وكل من الإحداثين مستلزم للأخر، وجهة الإضافة مختلفة، فما أحدثه رب تعالى فهو بمشيئته وقدرته حتى يجعله الله كذلك، فيحدث قدرته ومشيئته والفعل الذي كان بذلك، وإذا جعله الله فاعلاً وجوب وجود ذلك»<sup>(٢)</sup>

٧ - وقال أيضاً: ( وأما من قال، خلق الرب تعالى لមخلوقاته، ليس هو نفس مخلوقاته. قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات، ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل إنها نفس فعل الرب تعالى وخلقها، بل قال: إنها نفس فعل العبد، وعلى هذا تزول الشبهة، فإنه يقال: الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصرف بها من كانت فعلاً له كما يفعلها العبد، وتقوم به ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له، إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به، وإذا خلق رائحة منتنة، أو طعمًا مُرًّا، أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكرهه مذموم مستقبح لم يكن هو

(١) منهاج السنة (٣/١١٢)

(٢) المصدر السابق (٣/٢٣٩-٢٤٠)

متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكرهه والأفعال القبيحة»<sup>(١)</sup>  
المبحث الثالث،

وإذا قيل ما مدى تأثير قدرة العبد في مفعولها؟

قيل: الجواب على أصول وقواعد أهل السنة والجماعة: أن لفظ التأثير لفظ مجمل فنفأة القدر من المعتزلة ومن وافقهم، جعلوا قدرة العبد مؤثرة في إحداث مفعولها على سبيل الاستقلال والاختراع، وقابلهم طوائف الجبرية فسلبوا قدرة العبد أي تأثير في مقدرها ومعمولها.

والحق أن لفظ التأثير إذا فسر بوجود شرط الحادث، أو سبب يتوقف حدوث حق يقول به أهل السنة، وبناء عليه فتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار ولكن إن فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالأثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثراً، بل الله تعالى وحده خالق كل شيء، لا شريك له ولا ند له، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول لأحد ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٢)</sup>

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا السؤال: هل قدرة العبد المخلوقة مؤثرة في وجود فعله، فإن كانت مؤثرة لزم الشرك<sup>(٣)</sup>، وإنما لزم الجبر؟ ثم أجاب بقوله «التأثير اسم مشترك قد يراد بالتأثير الانفراد بالابداع والتوحيد<sup>(٤)</sup> بالاختراع، فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله لم يقله

(١) مجموع الفتاوى (١٢٣/٨)

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٣٤/٨)

(٣) أي الاشتراك مع الله في التأثير والإيجاد

(٤) كذا والمعنى تَوَحَّد بالأمر وانفرد به.

سني، وإنما هو المعزو إلى أهل الضلال<sup>(١)</sup>.

وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل، أو في وجه من وجوهه كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات<sup>(٢)</sup>، فهو أيضاً باطل بما به بطلَ التأثير في ذات الفعل ...

وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة؛ بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة كما خلق النبات بالماء، وكما خلق الغيث بالسحب وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بواسطته فهذا حق، وهذا شأن جميع الأسباب والمسببات، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً، وإلا يكون إثبات جميع الأسباب شركاً<sup>(٣)</sup>

### المسألة الثالثة: ثمرات وفضائل الإيمان بالقضاء والقدر.

لهذه العقيدة الجليلة: الإيمان بقضاء الله وقدره ثمراتها العظيمة ونتائجها الطيبة على النفس والحياة والدين والدنيا.

١ - فهو أحد أركان الملة الإسلامية، وأحد أسس العقيدة الإيمانية فهو مما لا يكون الإيمان ولا الإسلام إلا به، ونقضه نقض للدين، وردّه رد للإيمان وكفر بالرحمن.

وحقيقة ذلك أن القدر من أعظم الدلائل على علم الله العظيم وأنه سبحانه علام الغيوب فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض

(١) هو قول نفاة القدر من المعتزلة ومن وافقهم.

(٢) هو قول أبي بكر الباقلاني

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٣٨٩-٣٩٠) وانظر بقية كلامه فهو مهم.

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

فالمجادلة في الأقدار والكفر بها وردها إنما هو بالضرورة مجادلة في سعة علم الله تعالى وفي هذا من المشاقة لله والكفر به ما فيه، لأن أصل القدر وقاعدته التي بُني عليها هو علم الله تعالى السابق للأشياء قبل كونها. المحيط بكل شيء ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهنا نفهم عمق عبارة الإمام الشافعي رحمه الله عندما قال: «ناظروا القدرة»<sup>(١)</sup> بالعلم فإن أثبتوه فقد خصموا، وإن أنكروه فقد كفروا»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك القدر وإثباته إثبات لقدرة الله رب العالمين القدير القوي المتين. الذي قدر ما شاء فلا يقع إلا ما شاء. فمن أنكر القدر أو جادل فيه فهو منكر ومجادل لقدرة الله تعالى ناسب العجز إليه زاعم أن الخلق يغالبونه إذ يفعلون ما لم يعلمه وما لم يقدره وهنا يأتي الجواب البديع للإمام أحمد رحمه الله عندما سئل عن القدر فقال: «القدر هو قدرة الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقول الإمام أحمد: القدر قدرة الله. واستحسن ابن عقيل»<sup>(٤)</sup> هذا الكلام جداً وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبعّره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء: فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الله تعالى على خلق الأفعال وكتابها وتقديرها»<sup>(٥)</sup>.

(١) القدرة هم نفأة القدر، ينظر: شرح الطحاوية (٤٣٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٣٩).

(٣) مسائل ابن هانيء (٢/١٥٥).

(٤) العالم الحنبلي الشهير أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي (توفي سنة ٥١٣هـ).

(٥) شفاء العليل (٢٨).

٢ - حسن التعبد لله تعالى والشعور الدائم بالافتقار إليه وأن أزمة الأمور كلها في يديه، فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، ولا رافع لما خفض، ولا خافض لمارفع، ولا معز لمن أذل، ولا مذل لمن أعز، فيكون العبد بهذا دائم الافتقار والانكسار لله تعالى، والتعلل إليه تعالى في جلب الخير ودفع الضر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِصَرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾١٧﴾ وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادَةٍ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ ﴾١٨﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِصَرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ، يُصْبِبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾١٧﴾ [يونس: ١٠٧].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه... وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادَةٍ ﴾١٧﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبارية، وعنت له الوجوه، وقهـرـ كل شيء ودانـتـ لهـ الـخـلـائـقـ، وتـواضـعـتـ لـعـظـمـةـ جـلالـهـ وـكـبـرـيـائـهـ وـعـظـمـتـهـ وـعـلوـهـ وـقـدـرـتـهـ الأـشـيـاءـ، وـاسـتكـانـتـ وـتضـاعـلتـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـتحـتـ حـكـمـهـ وـقـهـرـهـ﴾<sup>(١)</sup>.

٣ - الرضا عن الله تعالى في أقداره والصبر على بلائه. لأن العبد بين نعمة يشكر الله عليها لأنها منه تعالى منحة ورحمة. وبين بلائه يصبر على شدتها وألوائها، ويحتسب الأجر على صبره وشكـرهـ منـ ربـهـ تعالىـ.

فلا ييأس ويقنط عند البلاء وإنما يعلم أنه مقدر عليه من ربـهـ تعالىـ فيصـبرـ

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/٣).

ويحتسب ويتطلع إلى ربه تعالى بكشف البلاء وإزالة الشقاء.

قال تعالى: ﴿ وَتَبَلُّوكُمْ بِشَنِي وَمِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ ﴾١٠٠﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصْبَبْتُهُمْ مُصْبِبَةً فَالْوَآتَانَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴾١٠١﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ ﴾١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس: «يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأّل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا شيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا شيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(١)</sup>.

فالعبد المؤمن يحتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وفي ترك المحظورات وفي الصبر على المقدورات اتباعاً لأمر الله بذلك، واقتداء بأنبياء الله عليه السلام، فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يفقد ابنه صبياً صغيراً. فلما بلغه الخبر قال كما أخبر الله عنه في القرآن: ﴿ فَصَبَرَ جَيْلٌ وَاللَّهُ أَمْسَتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

ولا يبطر عند النعمة والصحة والغنى، وإنما يعلم أنها من الله تعالى فيرضى عن الله ويرفع الحمد والشكر له ويتطلع إليه وحده في حفظ النعمة والزيادة منها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَذَمَّتْ رَبِّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِدَّنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣)، والترمذى (٢٥١٦)، وأبو يعلى في مستنده (٢٥٥٦).

ذلك لأحد إلا للمؤمن»<sup>(١)</sup>.

٤ - الإيمان بالقدر من أعظم البواعث على العمل والنشاط والسعى في مناكب الأرض لطلب العلم وكسب الرزق. فهو عقيدة إيجابية كل الإيجاب. لأن المؤمن بالقدر لا يعرف اليأس والقنوط إلى قلبه سبيلاً فهو دائم التفاؤل. منشرح الصدر، قرير العين، قانع بما رزقه الله. متظراً الفرج والنصر والرزق من ربه وخالقه وذلك لأنه معتمد على ربه ومتوكل عليه لعلمه أن أزمة الأمور كلها بيده تعالى، ولهذا قال النبي ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خمامصاً وتعود بطاناً»<sup>(٢)</sup>.

وأمرنا عليه الصلاة والسلام بالجد والعمل لكسب الرزق ومدافعة الذل والفقر والكسل.

فقال عليه الصلاة والسلام: «احرص على ما ينفعك، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»<sup>(٣)</sup>.

فيكون العبد المؤمن بذلك حازماً في أموره، متهزاً للفرص المتاحة له، حريصاً على ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

ولقد لحظ حتى غير المسلمين هذه الجوانب الإيجابية العظيمة لهذه العقيدة الكريمة: الإيمان بقضاء الله وقدره.

وهذه شهادة أحدهم:

يقول الرحالة والكاتب الشهير «ر.ن.س.بودلي» في كتابه: «رياح الصحراء»:

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٤٤) وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٣٦٦٤).

لقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمون يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدتهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلاً هيناً، فهم لا يتعجلون أمراً، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقاً على أمر، إنهم يؤمنون بأن ما قدّر يكون، وأن الفرد منهم لن يصيّب إلا ما كتب الله له وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلاماً وخلاصة القول: إنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء ما زلت أتتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقبل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بهدوء وسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح المسكنات والعقاقير الطبية»<sup>(١)</sup>.

ପ୍ରକାଶକ

(١) نقاً عن كتاب: «دع القلق وابدا الحياة» تأليف: «ديل كارفيجي» (٢٩١-٢٩٣) باختصار.

## الفصل الخامس

### الإيمان باليوم الآخر (يوم القيمة)

مما لا شك فيه أن لكل شيء نهاية، وأن كل ما سوى الله تعالى فان، وأن هذه الحياة الدنيا تزول وتنتهي وتفنى وتضمحل... وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وقد أعلن رب العالمين جل ذكره في كتابه الكريم أن الساعة قد اقتربت وأن أوان وقوعها: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعَرْضُونَ ۚ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ فَنَرَيْهُمْ مُّحَدِّثِينَ إِلَّا أَسْتَمْعُوهُ وَهُمْ لَيَعْبُرُونَ ۚ ۝ لَاهِيَةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ١-٣].

والباقي من الدنيا قليلٌ بالنسبة لما مضى منها.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس»<sup>(١)</sup>.

والله عز وجل قد أخفى وقت الساعة عن جميع الخلق فلا يعلم أوان وقوعها أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُّرْسَنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ لَا يُجَلِّهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ فَلَمَّا تَقْرَئَ الْأَرْضَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْنَهُ يَسْأَلُونَكَ كَانَكَ حَقِيقٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۚ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي حديث عمر بن الخطاب في سؤالات جبريل للنبي ﷺ: «قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»<sup>(١)</sup>.

#### \* منزلة الإيمان باليوم الآخر:

ورد ذكر اليوم الآخر في القرآن العظيم مقرونًا بالإيمان بالله تعالى في آيات كثيرة، وما ذلك إلا لعظيم منزلته وعظميّة أهميته، وعظميّة أهمية الإيمان به، فإن الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالله تعالى، والكفر به أو إنكاره والتشكيك فيه كفر بالله تعالى، وطعن في قدرته.

قال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَآتَيْتُهُ الْآخِرَةَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْفٌ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّرَّبَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَآتَيْتُهُ الْآخِرَةَ وَالْمَلِئَكَةَ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [آل عمران: ٦٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَآتَيْتُهُ الْآخِرَةَ فَقَدْ ضَلَّ صَلَالًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ فَرِيقٌ ١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَحْقُّ الْآَيَاتِ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِرُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي صَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [آل عمران: ١٨-١٧].

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

وقال تعالى: ﴿وَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِنَ�يْتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٦].

وقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالظَّلَلِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨].  
وغيرها كثير في كتاب الله تعالى.

## القيامة وأسماؤها

يوم القيمة. يوم الفزع الأكبر. اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة بعد أن تقع أشراط الساعة وأماراتها. وتستوفي علاماتها. يكون الكون قد تهيأ للفناء. والخراب والدمار. وقد رحم الله كل المؤمنين فأعفى كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من فجأة القيمة. فيبعث الله تعالى ريحًا طيبة بين يدي الساعة فتقبض روح كل من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان حتى لو أن أحدهم دخل في جوف جبل لدخلت عليه. فلا يبقى في الأرض أحد يقول: الله. الله. قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة في الأرض أحد يقول الله. الله»<sup>(١)</sup>.

فلا يبقى إلا شرار الخلقة. لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، يتсадدون في الطرقات كما تتсадد البهائم. وهم مع ذلك صحيحة أبدانهم. كثيرة أرزاقهم. في نعيم وحبور حتى تتمكن منهم الغفلة فما يفاجئهم إلا قيام الساعة. قال تعالى: «هَلْ يُظْرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ» [الزمر: ٦٦]، وقال تعالى: «لَا تَأْتِكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» [الأعراف: ١٨٧].

وقد سمي الله هذا اليوم بأسماء كثيرة تُشَيَّعُ عن عظيم شأنه وكثرة أهواله وأحداثه.

فهو يوم القيمة. واليوم الآخر. والغاشية. والقارعة. والحاقة. والصاخة. والطامة الكبرى. ويوم الحسرة. ويوم الحساب. ويوم الدين. ويوم الأزمة. ويوم البعث. ويوم الخروج. ويوم الفصل. ويوم الوعيد. ويوم الخلود. ويوم الجمع.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨).

و يوم التغابن . ويوم التnad.

ولكل اسم منها دلالته على نوع من أنواع أحداثه وأهواه .

ـ ص ٥٣ ~

## البعث بعد الموت وأدله

إن الله تعالى الذي خلق هؤلاء الخلق هو الذي يتوفهم ويميتهم. ثم هو الذي يبعثهم بعد موتهم ل يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

والإيمان بالبعث بعد الموت وحشر الله تعالى للأجساد ل يوم القيمة العظيم من أركان الإيمان العظيمة والمهمة.

وهو أحد الجدليات الكبيرة والمستبعدات في تصور واعتقاد كل من كفر بالله تعالى وكذب أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَّبْ فَوَهُمْ أَذَّاكَا تُرَبَّا أَئَنَّا لِفِي خَلْقِ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

والبعث كائن لا شك فيه ولا مزية. وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم من الأدلة العظيمة والحجج الباهرة الدالة حقاً وصدقًا على أن الله تعالى يبعث من في القبور ل يوم البعث والنشور لتجزى كل نفس بما عملت في حياتها الدنيا وبما اكتسبت.

فمن هذه الأدلة العظيمة:

- إخبار الله تعالى وهو العليم الخبير بوقوع البعث يوم القيمة. وقسمه على ذلك وأمره نبيه ﷺ في القرآن أن يقسم للمعاذنين بربه على وقوع البعث. وفي القرآن العظيم ثلات آيات أمر الله فيها نبيه محمداً ﷺ أن يقسم بربه

تعالى على أن البعث حق وأنه واقع لا محالة ولن تفلت منه نفس واحدة.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَخِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّمَا لَعَّقَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِي بَرِّ [٥٣] ﴾ [يونس: ٥٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ويستخرونك أحق هو» أي: المعاد والقيام من الأجداث بعد صيرورة الأجسام تراباً. «قل إى وربى إنما لعّق وما أنتم بمعجزتي» أي: ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم»<sup>(١)</sup>.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّنَا لَتَأْتِنَّكُمْ عَلَيْمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزِزُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَضْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [٢] ﴾ [سبأ: ٣].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّنَا لَتُبَعِّثُنَّ مِمَّ لَنْبَيِّنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ [٣] ﴾ [التغابن: ٧].

قال الإمام ابن كثير: «هذه الآيات الثلاث التي لا رابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لقا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد»<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومن أدلة ذلك أن الذي سينشأ النشأة الثانية هو الذي خلقنا أول مرة وأنشئنا النشأة الأولى. قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ إِنَّسٌ أَءَذَا مَا مِتُّ لَسْوَفَ أُخْرَجُ حَيًا [٤] أَوْلًا يَذْكُرُ إِنَّسٌ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَئِنْ يُكَثِّفْ شَيْئًا [٥] [٦٦-٦٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [٦] [٢٧] ، وقال تعالى:

(٢) المصدر السابق (٦/٢٦٠).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠٤).

﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَيِّدَ حَلْقَهُ ﴾ قَالَ مَنْ يُخْيِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ ٧٨ ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ حَقٍّ عَلِيمٌ ﴿ ٧٩ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وقدأتى أحد هؤلاء المنكرين للبعث وهو أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم ففتهه أمام رسول الله ﷺ ثم قال: تزعم يا محمد أن الله يبعث هذا بعد أن كان رميمًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم الله يحييتك ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار» ونزلت هذه الآيات، وقيل إن الذي فعل ذلك هو العاص بن وائل السهمي.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث. والألف واللام في قوله: ﴿ أَولَئِرَ إِلَانَسُنٌ ﴾ للجنس، يعم كل منكر للبعث ﴿ أَنَّا حَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين... فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس قادر على إعادته بعد موته؟!»<sup>(١)</sup>.

وأكّد الله تعالى هذا المعنى فقال تعالى: ﴿ أَيْخَسَبُ إِلَيْنَاهُ أَنْ يُرَكَّ سُدًى ﴾ أَنْزَلَ يُكْ نُطْفَةً مِّنْ مَعِيَ يُعْنِي ﴿ ٣٧ ﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى ﴿ ٣٨ ﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿ ٣٩ ﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿ ٤٠ ﴾ [القيمة: ٣٦-٤٠].

٣- ومن أدلة ذلك خلق السماوات والأرض وخلقهما أعظم بكثير من خلق الإنسان وبعثه، قال الله تعالى: ﴿ لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْثَرُ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، ويقول تعالى:

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٣٥٨-٣٥٩) باختصار.

﴿أَوْلَئِرَبُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْنِي بِخَلْقِهِنَّ يُفَدِّرِ عَلَى أَنْ يُخْتَىءَ  
الْمَوْتَ بِكُلِّ إِنْهَىٰ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى منها على أنه يعيد الخالق يوم القيمة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأخرى... فلهذا لا يتذرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعاداً وكفراً وعناداً، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا». <sup>(١)</sup>

٤- ومن أدلة ذلك أن الله أمات بعض الناس في هذه الدنيا ثم أحياهم كما صنع ذلك بعض بنى إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ  
وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُؤْمِنُوا ثُمَّ أَخْيَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ  
وَلَذِكْنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَ  
كَالَّذِي مَكَرَ عَلَى قَرْبَتِهِ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُمْكِنُ  
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِنَّ فَأَمَانَهُ  
اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعْدَهُ قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتَ ثُمَّ بَعْدَهُ قَالَ لَيْتَ  
عَامٌ فَأَنْظُرْ إِلَيْنِ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَمَّهُ وَأَنْظُرْ إِلَيْ حِسَارِكَ وَلَنْجَعَلَكَ  
إِلَيْنَاسِ وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ أَطْعَامَ كَيْفَ تُشَيَّرُهَا ثُمَّ تَكْسُوهَا لَتَحْمَأْ فَلَمَّا تَبَيَّنَ  
لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكإحياء الله تعالى الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ  
قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ أَرْبَقِ كَيْفَ تُحْكِمُ الْمَوْتَ قَالَ أَوْلَئِنَّ تُؤْمِنُ قَالَ بَلْ وَلَكِنْ لَيَطْمِئِنَ قَلْبِيْ قَالَ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٥٠٣-٥٠٢) باختصار.

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِمْهَنَ جُزْءاً ثُمَّ أَدْعُهُنَ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أما الذين خرجوا من ديارهم فهم كما قال عبد الله بن العباس رضي الله عنهم: «كانوا أربعة آلاف من بني إسرائيل خرجوا في الزمان الأول فراراً من الطاعون قالوا: نأتي أرضاً ليس فيها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا، قال الله لهم: موتوا، فمر عليهم النبي من أنبيائهم فدعوا ربهم أن يحييهم فأحياهم تعالى»<sup>(١)</sup>.

وهذا مثل عظيم ضربه الله واقعاً علينا دليلاً على قدرته تعالى على إحياء الناس بعد موتهم ليوم البعث والنشور، وأن إحياء الناس جميماً في قدرة الله تعالى كإحياء نفس واحدة.

قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَתُمْ إِلَّا كَفَرِيْسَ وَحْدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ بَصِيرًا﴾ [لقان: ٢٨].

والمعنى: ما خلق جميع الناس وكذلك بعثهم يوم القيمة بالنسبة إلى قدرة الله تعالى إلا كما يخلق نفساً واحدة يبعثها، الجميع عليه هين يسير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَجْهَةً كَلَّمَجْ يَالْبَصِيرِ﴾ [القمر: ٥٠] أي لا يأمر بالشيء إذا أراده إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكراره وتوكيده سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>.

وأما الذي مر على تلك القرية الخراب قيل هو عزير بن سروفاف من بنى إسرائيل، وقيل بل هو إرميا أحد أنبيائهم وقيل غير ذلك.

وفي هذه الآيات الكريمتات من الدلائل على البعث والنشور أمور:

(١) تفسير الطبرى (٢/٦٠٠).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٦/١٢٩).

- إن الله تعالى أمات عزيزاً مائة عام كاملة ثم بعثه حياً من جديد، وأخبر تعالى أنه فعل ذلك ليجعل من هذا الرجل الذي ذاق الموت ثم بُعث آية للناس تدل على قدرته جل وعلا على بعث العباد ل يوم المعاش. فقال تعالى: ﴿وَلَنَجْعَلَنَاكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، على جواز البعث وإمكانه، والحضر وكيفية تأليف أركانه.

- وكذلك الطعام والشراب لذلك الرجل أبقاهما تعالى على حالهما لم يفسدا ولم يَسْسَهْ ولم يتن. بينما عظام حماره وهي أبعد عن التغير والاستحالة من الطعام والشراب إلا أنها تفتّت وصارت رميمًا، فنشرها الله من جديد بمرأى منه وكساها اللحم وهو يرى، فلم يبق له ريب.

- قال بعض العلماء: إن عزيزاً حين أطلاعه الله على كيفية إحياء الموتى لم تكن صيغته صيغة إنكار بل تعجب واستخبار واتبع قصة عزيز بقصة إبراهيم عليه السلام فكان عزيزاً يطلب اليقين بالإحياء بعد الإمامة على صيغة التعجب، وكان إبراهيم عليه السلام يطلب الطمأنينة وعين اليقين على إحياء الموتى على صيغة الطلب والسؤال. وذكر الله الخبرين. وفصل القصتين لتكون آية بينة للناس أجمعين على أن الله تعالى على كل شيء قادر، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور<sup>(١)</sup>.

٥ - ومن أدلة ذلك إحياء الأرض الميتة بالمطر والغيث الذي يسوقه الله إليها، قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ائْثِرٍ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا إِنَّ ذَلِكَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٥٦-٢٥٧)، وتفسير الشهري مفاتيح الأسرار (٢/٩٨٢-٩٩١).

لَمْ يُحِيِ الْمَوْقَنْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَقٍّ وَ قَدِيرٍ ﴿٥٠﴾ [الروم: ٥٠]، وقال تعالى: «وَمِنْ مَا يَنْهَا  
أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَيْثَعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْبَرَتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْ يُحِيِ الْمَوْقَنْ  
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَقٍّ وَ قَدِيرٍ ﴿٥١﴾» [فصلت: ٣٩]

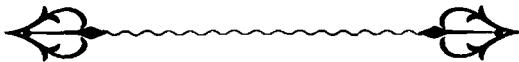
٦ - وكذلك فإن حكمة الله وعدله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب فمتى  
يأخذ المؤمن الصابر على مُرّ الدنيا أجره ومتى يعاقب المجرم على جرمه  
والكافر على كفره ومتى يأخذ المظلوم والمقهور والمأسور والمقتول حقه  
من ظالمه وقاهره وأسره وقاتلته، قال تعالى: «أَفَنَجَّلُ الْشَّيْطَانِيْنَ كَالْمُجْرِمِيْنَ ﴿٥٢﴾ ما  
لَكُمْ كَيْفَ تَخْكِمُوْنَ ﴿٥٣﴾» [القلم: ٣٥-٣٦]، وقال تعالى: «أَمْ تَجْعَلُ اللَّذِينَ أَمْسَأْنَا وَعَسْلَمْوْا  
الصَّالِحَاتِ كَالْمُقْسِدِيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَقْبِلِيْنَ كَالْفَجَارِ ﴿٥٤﴾» [ص: ٢٨]، هذا لا  
يليق بحكمة الحكيم العليم ولا بعدل الملك الحق المبين.

وقال تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنَّ يَسْبِقُوْنَا سَاءَ مَا يَخْكُمُوْنَ ﴿٥٥﴾»  
[العنكبوت: ٤].

ومعنى يسبقونا أي يفوتونا ويعجزوننا فلا نطلبهم ولا نبعثهم ولا نساء لهم ولا  
نجازيهم.

وقال تعالى: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبْرَنَا وَأَنَّكُمْ إِلَنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ فَتَعَالَى  
اللَّهُ الْمَكِّلُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ ﴿٥٧﴾» [المومنون: ١١٥-١١٦].  
فسبح نفسه تعالى وزنه نفسه أن يترك الخلق هكذا سدى وعبثًا لا يأمرهم ولا  
يشرع لهم ولا يبعثهم ويحاسبهم ويساء لهم.

## أشراط الساعة



قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَسَاعَةً أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْدَهُ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَإِنَّهُمْ إِذَا  
جَاءَهُمْ ذِكْرَهُمْ ﴾ [الحمد: ١٨] .

جعل الله تعالى بين يدي الساعة علامات وأمارات، وممهدات ومنبهات. وأخبر النبي ﷺ بما سيكون بين يدي الساعة من أماراتها وأشراطها، ونالت أشرطة الساعة نصيباً وافراً من أحاديثه الشريفة وذلك يحقق مقاصد شرعية عظيمة هي:

- ١ - أشرطة الساعة وأماراتها والفتنة والملاحم الكائنة بين يدي الساعة: هي جزء من الاعتقاد الغيبي مما يجب أن نصدق فيه نبينا محمدًا ﷺ. الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.
- ٢ - هي أحد أهم الدلائل العظيمة الدالة على صدق نبينا محمد ﷺ، وعظيم نبوته وصحة رسالته. فإذا وقع ما أخبر به كما أخبر كان هذا من البراهين العظيمة التي تزيد الذين آمنوا إيماناً، وتنير لهم الطريق فيسرون وهم واثقون بما علموا وتعلموا وأمنوا وصدقوا فيكون لهم نصيبيهم من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي  
جَاءَ بِالْحِسْنَاتِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَّوْرُونَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] هُمْ مَا يَسَّأَهُونْ وَنَكِّبُهُمْ عِنْهُمْ  
ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ ﴿ ٣٤﴾ لِئَلَّا كَفَرُوا بِاللهِ عَنْهُمْ أَسْوَى الَّذِي عَمِلُوا وَبَخْرُهُمْ أَخْرَمُهُمْ  
بِأَخْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٣٥﴾ [آل زمر: ٣٣-٣٥].

- ٣ - هذا باب خيري يقيني لذلك هو توقيفي على ما قاله الله تعالى ورسوله ﷺ، لا مدخل فيه نهائياً للاحتمالات والتوقعات ولا للموضوعات والمكتنويات،



ولا للظنون والأوهام ولا للحسابات، ولا يُستند في فهمه وتنزيله على بعض الواقعات على شيء من أخبار أهل الكتاب وحساباتهم وتبيّناتهم فضلاً عن أخبار الكهان والمنجمين. وغيرهم من الراجحين بالغيب. كذباً وزوراً.

وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى قسمين أساسين: أشراط الساعة الصغرى، وأشراط الساعة الكبرى.

أما الصغرى: فهي كثيرة ومتعددة، منها ما مضى وانقضى، ومنها ما هو قائم ظاهر مستحكم، ومنها ما لم يأت بعد.

فمن أمثلة ما وقع وانقضى: بعثته عليه السلام وكذلك وفاته، وفتح بيت المقدس وقد فتحت سنة ١٥ هـ، أيام أمير المؤمنين عمر. وظهور نار بالمدينة تضيء لها أعناق الإبل ببصري من أرض الشام. وغيرها<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ما هو واقع وقائم ومستحكم: رفع العلم ونزول الجهل وكثرة شرب الخمر وكثرة الزنا وقلة الرجال وكثرة النساء<sup>(٢)</sup>. ونحو ذلك مما هو ملحوظ مشاهد. والله المستعان.

ومن أمثلة ما لم يقع: كثرة المال حتى لا يقبله أحد. انحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب تقع عنده مقتلة عظيمة ونحو ذلك<sup>(٣)</sup>.

وأما الأشراط الكبرى: فهي عشر آيات عظيمة كبيرة يكون بها تغيير في الحياة كبير وفتن عظيمة وبلاء كثير وهي تكون بين يدي الساعة. وقد جمعها ذكرًا النبي صلوات الله عليه وسلم.

(١) انظر الأحاديث في هذه الأشراط كتاب: أشراط الساعة للدكتور يوسف الوابل (٦٤-٦٩)، وكتاب القيمة الصغرى للدكتور عمر سليمان الأشقر (٥٧-٦٠).

(٢) انظر أحاديثها: أشراط الساعة للوابل (١٠٢-١٠٥)، والقيمة الصغرى للأشقر (٧٢-٩٠).

(٣) انظر أشراط الساعة للوابل (١٥٠-١٧٥)، والقيمة الصغرى للأشقر (٩٧-١٢٠).

فعن حذيفة بن أسد الغفاري رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا على باب النبي ﷺ فذكر الساعة فاطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكرة، فقال: «ما تذكرون؟» قالوا: ذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات - ذكر - الدخان، والدجال، والدابة، وطلع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، وأaggioج وأaggioج، وثلاثة خسوف: خسف بالشرق، وخسف بالغرب، وخسف بجزيرة العرب، وأآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الذي يترجع من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله وقتله للدجال وظهور أaggioج وأaggioج في زمانه. وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup>.

وقال شرف الدين الطبي رحمه الله: «الآيات هذه أumarات للساعة إما على قربها وإما على حصولها فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وأaggioج وأaggioج، والخسوفات. ومن الثاني: الدخان وطلع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تحشر الناس»<sup>(٣)(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم (٢٩٠١).

(٢) فتح الباري (١١/٣٥٣).

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٥٢-٣٥٣).

(٤) انظر تفاصيل هذه الآيات العشر الكبار كتاب أشرط الساعة للوابلي (١٨١-٣٣٧).

## القيامة وأهوالها

فأول شيء يطرق أهل الدنيا من أحداث الساعة: نفخة الفزع إذ يأمر الله تعالى الملك الموكل بالنفخ في الصور. فينفح في النفخة الأولى التي هي نفخة الفزع. لاستقبال هول المطلع. والصور بوق عظيم وقرن كبير لا يقدر قدره إلا الله. ينفح فيه ملك عظيم من ملائكة الله تعالى قيل هو إسرافيل عليه السلام.

وقد ذكر الله الصور والنفخ فيه في القرآن، فهو من العقائد الغيبة التي نؤمن بها مما هو من القيامة وأحداثها.

قال الله تعالى عن هذه النفخة الأولى نفخة الفزع: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَرَىٰ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْلَ أَنَّوْءَ دَاهِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وأخبر النبي ﷺ عن استعداد الملك الموكل للنفخ في الصور، فقد التقى ذلك الملك ذلك القرن العظيم وشخص يبصره نحو العرش ينتظر الأمر من الجبار جل وعلا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»<sup>(١)</sup>.

فإذا نفخ الملك هذه النفخة الأولى فلا يبقى أحد من أهل الأرض إلا رفع عنقه وأصغى بسمعه. وشُغل عما في يده. حتى الرجل يكون قد رفع اللقبة إلى فمه. فلا يطعمها ولا يضعها. هو لا وفزعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَنَجَدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]. عند ذلك قامت القيامة وقعت الواقعة. وجاءت الصاخة.

(١) أخرجه الحاكم (٤/٦٠٣) برقم (٨٦٧٦) وصححه.

وحلت الطامة. جاءت الراجفة تتبعها الرادفة.

فتimid الأرض بأهلها. وتذهب المرضعة عن رضيعها. وتضع كل حامل ما في بطنهما. والناس في هول عظيم. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبَّكُمْ إِذْ رَزَّلَهُ السَّاعَةَ شَفَعٌ عَظِيمٌ ۚ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرَضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَرَى النَّاسَ سُكَّرَى وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۚ ۝﴾ [الحج: ٢١].

فيهرب الناس شرقاً وغرباً ولكن أين المفر ﴿فَإِذَا رَأَيَ الْبَصَرُ ۖ ۝ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ۖ ۝ وَجْمَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرُ ۖ ۝ يَقُولُ إِنَّمَا يَوْمِي أَنَّ الْمَقْرَ ۖ ۝ كَلَّا لَأَوْرَ ۖ ۝ إِنَّ رَبِّكَ يَوْمِي الشَّفَرُ ۖ ۝﴾ [القيمة: ١٧-١٢].

زالت الجبال من أماكنها فكانت كثيراً مهياً وهباءً متثوراً، وسُجّرت البحار، وفُجّرت تفجيرًا، ومارت السماء موراً، وسارت الجبال سيراً، كشطت السماء وانفطرت وانشققت وأذنت لربها وحقت، وكورت شمسها وخسف قمرها، وتناثرت كواكبها، وعطلت العشار وهي النوق الحوال فلم تحلب، والحلاب فلا يشرب، والسباع الضواري والوحوش الكواسر مكسورة محشورة.

قال تعالى: ﴿إِذَا أَلْتَمِسْ كُوْرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْجُومْ أَنْكَدَرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْجَيَالْ سِيرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْمِشَارْ عُطَلَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْوُحُوشْ خُسِرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْبَارْ سِيرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْنُوْسْ رُوْجَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْمَوْدَهْ سِيلَتْ ۚ ۝ يَأْيِ ذَلِبْ قِيلَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْحَفْ ثُيَرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْسَاءْ كُيَثَتْ ۚ ۝ أَلْجِيْمْ سِيرَتْ ۚ ۝ وَإِذَا أَلْجَنَهْ أَرْلَقَتْ ۚ ۝ عِلَمَتْ نَفَسْ مَا أَخْضَرَتْ ۚ ۝﴾ [التكوير: ١-١٤].

في بينما الناس في هذا الهول العظيم إذ أمر الله الملك الموكل بالصور فينفع نفحة الصعق فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فإذا هم جمیعاً خامدون.

قال تعالى: ﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهلك كل من على الأرض: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [١] وَسَبَقَ وَجْهَ رَبِّكَ دُوَّلَ الْمُجَلَّلِ وَالْإِكْرَامِ [٢] [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وعندما يطوي الجبار جل وعلا وتقدست أسماؤه وجلت صفاته يطوي السماء كما تطوى الصحيفة ويقبضها بيمنيه والأرض ويقبضها بيده الأخرى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَنِي السِّجْلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُبَيِّدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كَافَعَلِينَ﴾ [١٦] الآية [الأنباء: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَنَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [١٧] [الزمر: ٦٧].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيمة ويطوي السماء بيمنيه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»<sup>(١)</sup>.

وإذا هلك العباد تفني أجسادهم وتبلى عظامهم ولا يبقى من أجسادهم إلا عظم صغير جداً يسمى عجب الذنب، وهو عظيم لطيف في أسفل الصلب وهو رأس العصعص فيقى هذا العظم لا يفني لأن منه سيخرج الله الناس مرة أخرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيمة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٥).

ويقى الحال على هذا أربعون، الله أعلم هل هي أربعون يوماً أو شهراً أو سنة، ثم يرسل الله مطراً عظيماً يغمر الأرض فتنبت أجساد الناس من تلك البذرة التي هي عجب الذنب، كما تنبت البقول ل تستعد للنفخة الثالثة التي هي نفخة البعث والنشور والقيام من القبور.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ثم ينفع في الصور. فلا يسمعه أحد إلا صعق ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الخلائق ثم ينفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم»<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو البعث من القبور والقيام من الأجداث ليوم النشور وما يتبع ذلك من السوق الأكبر وجمع الناس في أرض المحشر.

ـ ٢٥٦ ـ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

## البعث والنشور وأحوال الناس في القبور

فبعد أن يصعد الناس جميعاً يوم القيمة ويمكثون في هذا الصعيد أربعين يوماً لله الأرض فما هي بالأرض التي كانوا يعرفون والسماء وما هي بالسماء التي كانوا يشاهدون ﴿يَوْمَ تَدْلُّ الْأَرْضُ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا إِلَيْهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤٨].

فيأخذ الله تعالى للملك فيفتح في الصور نفخة البعث من القبور والخروج من الأجداث ليوم النشور، فتشق عنهم الأرض لخروجهم وتبعث القبور فيقومون ينفضون عنهم التراب فيقومون وقد خلقوا خلقاً جديداً ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسُلُونَ﴾ [٦٥] قالوا ربنا من بعثتنا من مرقدتنا هذاماً وعذ الرحمن وصدق المرسلون ﴿إِنْ كَانَ إِلَّا صَحِّهَ وَجِدَهُ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدِينَابِ مُخْضَرُونَ﴾ [٦٦].

[يس: ٥١-٥٣].

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٦٧] [الزمر: ٦٨].

وأول من ينشق عنه القبر ويُفتح جَدَّه ليوم الحشر هو النبي الكريم والرسول الأمين سيد ولد آدم محمد ﷺ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» <sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

فتبعد الخلائق من القبور ولن يغيب أحد عن هذا المشهد العظيم ﴿فَلَمْ يَأْتِ  
الْأَوَّلُونَ وَلَا الْآخِرُونَ﴾ [١٦] لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [٥٠] [الواقعة: ٤٩-٥٠]  
تَكُونُوا يَأْتِي بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١٤٨] [البقرة: ١٤٨] وَحَشِرْنَاهُمْ فَلَمْ  
يُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

فيبعثون عيدين حفاة عراة غرلا لا يستر أبدانهم شيء من اللباس ولا يقي  
أقدامهم شيء من التعال مختونين شاخصة أبصارهم ذاهلة قلوبهم.

﴿إِنَّ كُلُّ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَأْتِي الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ [١٧] لَقَدْ أَخْسَنُهُمْ وَعَدَهُمْ  
عَدَّا [١٨] وَكُلُّهُمْ يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدًا [١٩] [مريم: ٩٣-٩٤].

كل مسئول عن نفسه مشغول بحاله قد ذهل الوالد عن ولده وغفل المولود  
عن والده ذهب حنان الأمهات وانطفأت شفقة الآباء وتبخر بر الأبناء فكل مشغول  
بحاله يفكر في مآلاته.

قال الله تعالى: ﴿يَأَتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوَا رَبِّكُمْ وَلَا خَشُوا يَوْمًا لَا يَجِزِي وَالَّذِي عَنْ وَلَدِهِ وَلَا  
مُولُودٌ هُوَ جَازِي عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغَرِّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّنَكُمْ  
بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [٢٣] [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرْءُ مِنْ أَنْجِيدِهِ﴾ [٢٤] وَأَنْهُ دَأْبِهِ [٢٥] وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ [٢٦] لِكُلِّ أَنْوَارِ مِنْهُمْ  
يُؤْمِنُ شَانِ يُقْبِلُهُ [٢٧] [عبس: ٣٤-٣٧].

ولشدة هولهم وفزعهم بأنفسهم لا ينظر بعضهم إلى بعض رغم  
العرى الذي هم فيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ  
يقول: «يُحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا» قالت عائشة: يا رسول الله  
الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن

ينظر بعضهم إلى بعض»<sup>(١)</sup>.

وكل إنسان يبعث على الحال التي مات عليها من الأعمال لما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»<sup>(٢)</sup>.

فالذى يموت محروماً يبعث يوم القيمة ملبياً، والذى يموت سكراناً يبعث يوم القيمة سكراناً والذى يموت زانياً يبعث زانياً والذى يموت آكلاً للربا لم يتبع منه يبعث متخبطاً كالجنون الذى به مس الشيطان: «أَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَوَا لَا يَعْوُمُونَ إِلَّا كَمَا يَعْوُمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْتِ» [البقرة: ٢٧٥].

وأول من يكسى من الخلاق خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما رواه البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفة عراة غرلا وإن أول الخلاق يكسى يوم القيمة إبراهيم الخليل»<sup>(٣)</sup>.

فيحشر الناس ويساقون إلى أرض المحشر أما المؤمنون الصالحون فيقومون من قبورهم آمنين مطمئنين بغض الوجوه يحشرون وفوداً مكرمين يتلقون الترحيب المشرقة والسلام المطمئن من الملائكة: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْتَهِيَ الْحُسْنَةِ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَفْسُهُهُمْ خَلَدُونَ ۝ لَا يَخْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝» [الأنياء: ١٠١-١٠٣].

وأما الكافرون والفاسقون والفاجرون وال مجرمون فيقدمون فزعين مذعورين

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

كما كانوا في الدنيا آمنين مستقرين. قد أزرت ألوان أجسادهم من الخوف والوجل  
واسودت وجوههم من الإجرام. تسوقهم الملائكة سوق البهائم ويوردون ورود  
الإبل «يَوْمَ يُنْفَعُ فِي الْصُّورِ وَخَتْرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ إِذْ رُزِقُوا» [طه: ١٠٢]، «وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ  
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَشْرُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى» [طه: ١٢٤] الآيات،  
«وَنَسْوَقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا» [آل عمران: ٨٦].

حتى إذا حشر العباد وأوقفوا على أرض المحسن والمعاد فانظر إلى أحوال الناس هناك.

١- أما الكافرون فإن أبصارهم يومئذ خاشعة وقلوبهم خائفة، يقول بعضهم  
لبعض هذا يوم عسر، وينادون على أنفسهم بالويل والثبور ﴿فَالْوَيْلُ يَوْمَ لِنَا مَنْ  
بَعَثْنَا مِنْ رَّبِّنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمَرْسُولُ﴾ [يس: ٥٢].

- ٢- أما الظالمون المعتدون الذين تمردوا على شرع الله وظلموا عباد الله وأكلوا أموال الناس بالباطل أهل الصلف والغرور والقسوة والتّجْهِر فحالهم يوم القيمة عظيم، فأبصارهم لشدة الهول شاخصة، وأفتديتهم خالية خاوية إلا من الفزع والخوف: ﴿وَلَا تَحْسَبْكُ اللَّهُ غَنِيًّا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾<sup>١٦</sup> مُهْطِعِينَ مُقْبَعِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرَنُّونَ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَفْتَدُوهُمْ هَوَاءً<sup>١٧</sup> [ابراهيم: ٤٢-٤٣]، قد تفرق عنهم أصحابهم وذهب سلطانهم الذي به ظلموا الناس واستطالوا عليهم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاحِرِ كَظِيمَيْنِ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيرٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>١٨</sup> [غافر: ١٨]، يقول قائلهم: ﴿وَيَتَبَتَّئِي لَرْأُوتَ كَنْتِيَّةَ﴾<sup>١٩</sup> وَلَرْأُذرَ مَا حَسَابَيْهَ<sup>٢٠</sup> يليتها كانت القاضية ما أغْفَنَ عَنِ مَالِيَّةَ<sup>٢١</sup> مَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةَ<sup>٢٢</sup> [الحاقة: ٢٥-٢٩].

٣- أما المجرمون المستهترون فإنهم يؤتى بهم إلى ربهم مقرئين



في الأصفاد مسلسين بالأغلال مسربيين بالقطران تغشى وجوههم النار:

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَسْفَادِ﴾<sup>(١)</sup> سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ<sup>(٢)</sup> [ابراهيم: ٤٩-٥٠]، قد يئسوا من كل خير وأفلسوا من كل أمر ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبَيِّنُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [الروم: ١٢].

٤ - أما المتكبرون على أمر الله وشرعيه، وعلى عباده وخلقه فهم البغضاء البداء يحشرون في صورة مهينة ذليلة فقيرة، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْسِرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذِّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ يُغْشَاهُمُ الذَّلِّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»<sup>(١)</sup>، وأكثر من يناله هذا النصيب من الذل أولئك الملوك المتكبرون الظالمون والمرتؤسون الفاجرون المغوروون الذين يلقبون أنفسهم بالألقاب الضخمة الفخمة التي لا يستحقون شيئاً منها. روى الإمام مسلم وأحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَغْيِظُ رَجُلًا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبِثُهُ وَأَغْيِظُهُ عَلَيْهِ رَجُلًا كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالَ إِلَّا اللَّهُ» وفي لفظ آخر: «أَخْنَعُ اسْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا يُسَمَّى مَلِكَ الْمُلُوكِ لَا مَالَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

أما الأثرياء المنعمون الذين ركنا إلى الدنيا واطمئنوا إليها وأصابهم البذخ والترف الذين ما عرفوا لله حقاً في أموالهم ولا سئلوا عن فقير ولا مسكين ولا بيتيم، عن أبي ذر الغفارى أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَكْثُرِينَ هُمُ الْمَقْلُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشَمَائِلَهُ وَبَيْنَ يَدِيهِ وَوَرَائِهِ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٩٢) وقال حسن.

(٢) أخرجه البخارى (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخارى (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).

فاما منح المؤمنين وجوائز الصالحين يوم الدين فبحسب ما قدموا من أعمال صالحة وما قربوا من قربان مقبولة. فالعادلون المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، روى مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلיהם وما ولوا»<sup>(١)</sup>.

أما الشهيد الذي أُريق دمه في سبيل الله فيعطيه الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويختار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه<sup>(٢)</sup>.

أما أصحاب الخلق الكريم والصفح الجميل الذين يكاظمون الغيط ويعفون عن من أساء إليهم ويصفحون ويحلمون فاسمع إلى جوائزهم، يقول تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَشْفِرَقٍ مِنْ رَبِيعِكُمْ وَجَنَّةٌ عَرَضُهَا أَسْمَوَاتٌ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ وَالْكَعَظِيمَ الْفَيْطَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

أما الذين شابت لحاظهم ورؤوسهم وهم مسلمون طائعون لله، فتكون شبيتهم نوراً لهم يوم القيمة، عن كعب بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيمة»<sup>(٣)</sup>.

وكل من توفي محافظاً على وضوئه وصلاته من هذه الأمة فإنه يأتي يوم القيمة

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه الترمذى (١٦٦٣) وقال صحيح، وابن ماجه (٢٧٩٩).

(٣) أخرجه الترمذى (٤٢٠٢)، والنمساني في الصغرى (٣١٤٤).

ذو غرة بيضاء في وجهه تزيده نوراً وبهاةاً، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيمة غرّاً محجلين من آثار الوضوء»<sup>(١)</sup>.

وبهذه الحلة الجميلة يعرف الرسول ﷺ أمهه من بين الأمم.  
فلينظر تارك الوضوء والصلوة مع من سيحشر ومن سيعرفه، فلا حظ له عند  
الله وعند رسول الله ﷺ.

أما المؤذنون فلهم منحة خاصة وفضيلة كبرى، الذين يرفعون أصواتهم بذكر الله ويدعون الناس إلى الصلاة ويدرُّونهم بطاعة الله فمنحتهم أنهم أطول الناس أعنًاقاً يوم القيمة ويشهد لهم كل من سمع صوتهم بالنداء مرفوعة رؤوسهم، يزدادون جمالاً إلى جمالهم. عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعنًاقاً يوم القيمة»<sup>(٢)</sup>.

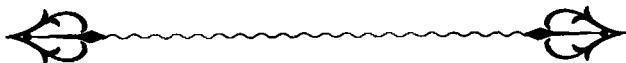
وبالجملة فكل مؤمن صالح طائع لله في يوم القيمة يوم عزه وفرحه ونيل جائزته  
وفتح كنوز عمله.

卷之三

(١) آخر جه البخاري (١٣٦) واللطف له، ومسلم (٢٤٦).

(٢) آخر جه مسلم (٣٨٧).

## الإيمان بالشفاعة



اعلم أن الشفاعة تكون في ذلك المشهد واليوم العظيم ولا يجرؤ أحد من الخلق لا نبي مرسلاً ولا ملكاً مقرباً أن يشفع حتى يأذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يُبَدِّلُهُ﴾ [آل عمران: ٢٥٥]، ولا يشفعون إلا لمن رضي الله أن يشفعوا له، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَنِي وَهُمْ مِنْ خَشِيتِي﴾ [آل عمران: ٢٨].

### الشفاعة العظمى:

وإذا كان يوم القيمة هو يوم عز للمؤمنين وفوز المتقين فإن ذلك اليوم العظيم يوم ظهور فضل سيد المرسلين ويوم بروز مكانة إمام المتقين فهو صاحب لواء الحمد آدم ومن دونه كلهم تحت لوانه، وهو صاحب المقام المحمود والحضور المورود الذي خص به هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وذلك في أرض المحشر بعد الحشر الأكبر وعندما يستند البلاء بالناس في الموقف العظيم قد طال أمر انتظارهم لفصل القضاء والحكم بين العباد فتتجه أنظار ومتطلبات الناس إلى أصحاب المنازل العالية والمقامات الرفيعة من الأنبياء والرسل عليهم السلام، فيطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند ربهم كي يأتي لفصل الحساب وتخلص الناس من هول الكربات فيتأنون أول ما يأتون أيديهم آدم عليه السلام فيطلبون منه أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة والشفاعة العظيمة فيعذر عنها آدم عليه السلام ويدرك معصيته بأكله من الشجرة التي حرم الله عليه الأكل منها ويحليلهم إلى نبي الله نوح عليه السلام فيتأنون نوحاً عليه السلام ويقولون له: أنت أول رسول الله إلى الناس

فسماك الله عبداً شكوراً فيطلبون منه الشفاعة عند الله فيأبى ويعذر ويذكر دعوته على قومه ويحيلهم إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام فيأتونه فيطلبون منه الشفاعة فيعتذر ويحيلهم إلى كليم الله موسى فيأتونه فيعتذر ويذكر قتله النفس التي لم يؤمر بقتلها ويحيلهم إلى المسيح عيسى ابن مريم فيأتونه فيطلبون منه الشفاعة فيعتذر ولا يذكر ذرتا فيحيلهم إلى النبي محمد ﷺ فيأتونه فيقول: أنا لها؛ فينطلق حتى يأتي تحت العرش فيسجد لله تعالى فيفتح الله عليه من المحامد وحسن الثناء على الله ما لم يفتحه على أحد قبله ثم يقال له: ارفع رأسك وسل تعط واسفع تشفع، فيسأل الله في أمته فيستجيب الله له<sup>(١)</sup>، وذلك أن الله أعطى كلنبي دعوة في أمته مستجابة وقد استجل كلنبي دعوته في الدنيا واختبا نبينا ﷺ دعوته ولم يتجلها لتكون شفاعة لأمته يوم الدين فصلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه كما وصفه ربها: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّهُ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلنبي دعوة دعاها لأمته وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لكلنبي دعوة مستجابة فتعجل كلنبي دعوته وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الشفاعة العظمى هي المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ أَنْبَلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٠٤)، ومسلم (٢٠٠) والله لفظ له.

(٣) رواه مسلم (١٩٩).

وهناك شفاعات أخرى للنبي ﷺ ولغيره أيضاً من الأنبياء عليهم السلام؛ بل وللملائكة والشهداء وصالحي المؤمنين كذلك.

١- منها: الشفاعة لكتير من أهل الذنوب والكبار من المسلمين الذين دخلوا النار بسبب ما جنته عليهم ذنوبهم، فيشفع لهم النبي ﷺ فيخرجون منها ويؤذن لهم بعد بدخول الجنة.

٢- الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم بدخولها بعد أن يحبسوا على قنطرة دونها، وهذه خاصة بالنبي محمد ﷺ فهو أول مستأذن بدخول الجنة وله تفتح فيكون أول داخل وأمه على أثره.

٣- الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة درجاتهم ورفع مقاماتهم عما استحقوه وهذه ثابتة ودللت عليها نصوص من السنة.

٤- شفاعة خاصة للنبي ﷺ في عمه أبي طالب بن عبد المطلب في تخفيف العذاب عنه فيكون في ضحاض من النار يغلي منه دماغه ولو لا النبي ﷺ لكان في الدرك الأسفل منها.

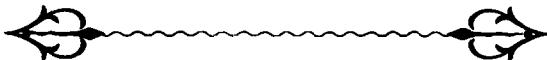
واعلم أن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ الموحدون الصادقون المؤمنون المخلصون، ففي حديث عن أبي هريرة أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظنت يا أبو هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة، من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه»<sup>(١)</sup>.

اللهم تب علينا وارض عنا واغفر لنا واجعلنا من أسعد الناس بشفاعة نبيك

محمد ﷺ.

(١) رواه البخاري (٩٩).

## الإيمان بالحساب والميزان



والناس في يوم الحساب على أصناف؛ فبعض عباد الله لا حساب عليهم ولا عذاب مطلقاً فهم يدخلون الجنة بغير محاسبة ولا مساءلة وهم فئة قليلة وثلة يسيرة، جاء في بعض الأحاديث أنهم سبعون ألفاً فقط، وهم الصفة من المؤمنين.

أما الكفار الخلص فمحاسبيهم عسير و موقفهم طويل خطير ومحاسبيهم إنما هو عرض أعمالهم القبيحة عليهم ونشرها على رؤوسهم توبيناً لهم وتقريراً وخزيًّا وندامة وألمًا وحسرة، فيساقون إلى الجحيم زمراً ويلقون فيها أفواجاً أفواجاً فهم حطب جهنم ووقودها، فتحتضرنهم أمهم الهاوية وتلتهمهم تلك النار الحامية فهم في قعرها ساقطون وفي جوفها يحترقون، قد أغلقت فهي عليهم موصلة في عمد ممدة، لاأمل لهم في الخروج منها مطلقاً.

ومن عباد الله من يحاسب حساباً يسيراً فلا يدقق معهم في الحساب، ولا يحقق معهم تحقيق عذاب وإنما تعرض عليهم ذنبهم وتقصيرهم وهم طامعون في فضل الله راجون في رحمة الله فتدركهم الرحمة وتغشاهم المغفرة ويتجاوزون الله عنهم ثم يؤذن لهم إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَبَهُ، يُسَيِّرُهُ فَسَوْفَ يُحَاسَّبُ حِسَابًا يُسِيرًا﴾<sup>٧</sup> وينقلب إلى أهله، مسروراً<sup>٨</sup> ﴿وَيَنَّقِلُّ إِلَى أَهْلِهِ، مَسْرُورًا﴾<sup>٩</sup> [الأشفاف: ٩-٧].

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيمة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوفِيَ كِتَبَهُ، يُسَيِّرُهُ﴾<sup>٧</sup> فسَوْفَ يُحَاسَّبُ حِسَابًا يُسِيرًا﴾<sup>٨</sup>، فقال: إنما ذلك العرض وليس أحد

يناقش الحساب يوم القيمة إلا هلك»<sup>(١)</sup>.

ومن عباد الله من يناقش الحساب مناقشة ويعسر عليهم حسابهم ويضيع عنهم صوابهم وهم أصحاب الجرائم الكبيرة والذنوب العظيمة التي ما تابوا منها من عصاة المسلمين فحسابهم عسير، وخيرهم قليل، وشرهم كثير؛ هذا ضربته، وهذا سببته، وهذا قتلتة، وهذا أكلت ماله، وهذا ظلمته حقه، وهذا اخنته، وهذه صلوات تركتها، وهذا أيام ما صمتها، هذا عدد زنياتك، هذا حجم غدراتك وفجراتك، هذا أشرك وبطرك وكبرك وتمردك، فهو لاء جنس الحساب لهم عذاب ثم هم بعد ذلك إن شاء الله أن يغفو عنهم وله الحكم وله الأمر ولا يسأل بما يفعل وهو الغفور الرحيم، وقد يلقون في النار فيبيرون فيها ما شاء الله أن يبقو فيها جزاءً وفaca على جرائمهم وفسقهم ثم تدركهم رحمة أرحم الراحمين بعد أن يشفع فيهم الشافعون ويتوسل إلى الله المتسلون بإخراجهم من النار وعلى رأس الشافعين لهم نبيهم الكريم ﷺ، الذي نسوه في دنياهم وخالفوا سنته وتمردوا على شريعته وأصبحوا يتبعون كل ناعق وكل باائق وكل فاسق؛ لكنه ﷺ لا ينساهم ويدركهم وهم في أطباقي الجحيم فلا يزال عليهم حريضاً وبهم شفيقاً فيشفع لهم عند رب الكريم الرؤوف الرحيم فيقبل الله شفاعته فيهم ويخرجون من النار محترقين فيغمضون في ماء الحياة فيخرجون خلقاً جديداً ثم يدخلون الجنة فلا يبقى بعد ذلك في النار إلا الكفار الخُلُص والمشركون.

والميزان حق ينصب يوم القيمة وهو ميزان حق وقسط، فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتى بها رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَضَعُّ الْمَوْزِنَ الْقِسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَنْ كَانَ

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).

مِشْكَأَ حَبَّكُهُ مِنْ حَرَدِ أَنَّنَا بِهَا وَكَفَنْ بِنَا حَسِيرَتْ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

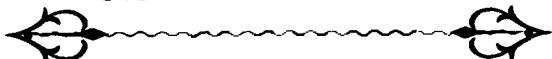
وهو ميزان حقيقي وله كفتان كما ثبت في أحاديث عن رسول الله ﷺ،  
 كقوله ﷺ: «كلماتان خفيتان في الميزان، حبيتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان،  
 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»<sup>(١)</sup> وغيرها<sup>(٢)</sup>.

## ـ ـ ـ ـ ـ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٩).

## الإيمان بالحوض المورود



وفي هذا اليوم العظيم يكرم الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ بإعطائه حوضاً واسع الأرجاء ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحة أطيب من المسك وكizia أنه كنحوم السماء ترد عليه أمة النبي ﷺ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواه؛ ماؤه أبيض من اللبن وريحة أطيب من المسك وكizia أنه كنحوم السماء ومن يشرب منه فلا يظمأ أبداً»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحوض أبعد من أيلة عن عدن فهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولأنيته أكثر من عدد النجوم، وإنني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل أبل الناس عن حوضه، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم؛ لكم سياء ليست لأحد من الأمم تردون علىَّ غرَّ محجلين من أثر الموضوع»<sup>(٢)</sup>.

وسئرَّ عن حوض النبي ﷺ بعض هذه الأمة من أحدث وابتدع في دين الله وغير سنة رسول الله ﷺ، أو كان من المنافقين المندسين في هذه الأمة.

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض فليرفعن إليَّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأنوافهم اختجوا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧).

دوني فأقول يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والرافض على تبain ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلتون بالكثير المستخفون بالمعاصي. وجماعة أهل الزين والأهواء والبدع»<sup>(٢)</sup>.

## سـهـقـيـهـ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٥، ٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى والدار الآخرة (٣٨٧).

## الإيمان بالصراط

والصراط: هو جسر يضرب على متن جهنم إذا انتهى الخلق بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون هذا الصراط حتى يمرون جميعاً عليه في موقف عظيم وخطب جسيم.

عن عائشة رضي الله عنها قال: سُئل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»<sup>(١)</sup>.  
والذين يمرون على الصراط هم المسلمون أتباع الرسل أما الكفار فقد حسروا قبل ذلك إلى النار.

قال ابن رجب الحنبلي في كتابه (التخويف من النار): «فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط فيضرب الصراط على متن النار يمر عليه الناس فهو قنطرة بين الجنة والنار لا يصل أحد إلى الجنة إلا بالمرور عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> ثم شعى الذين آتُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِثْيًا [٧٢-٧١] [مرим: ٧٢-٧١]<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «وَيُضْرِبُ بِحِسْرٍ جَهَنَّمَ» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

(٢) كتاب التخويف من النار والتعريف بدار أهل النار (٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٣).

وفي لفظ: «فَيَمْرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطْرُفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاؤِيدِ التَّقْبِيلِ وَالرَّكَابِ»<sup>(١)</sup>.

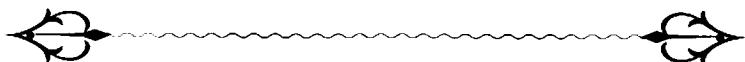
وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه يقول الرسول ﷺ: «فَيُقَالُ: أَنْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُرُ كَانِقَضَاضَ الْكَوْكِبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُرُ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُرُ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْرُرُ كَشَدَ الرَّجُلِ، وَيَرْمُلُ رَمْلًا، فَيَمْرُرُونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمْرُرَ الَّذِي نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدْمِهِ قَالَ: يَجْرِي يَدًا وَيَعْلَقُ يَدًا وَيَجْرِي رِجْلًا وَيَعْلَقُ رِجْلًا وَتَضَرُّبُ جَوَابِتِهِ النَّارِ، قَالَ: فَيَخْلُصُوا»<sup>(٢)</sup>.

卷之三

(١) رواه البخاري (١٢٩)، ومسلم (١٨٣) واللطف له.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٧٦-٣٧٧) واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير (٣/٤٦).

## الإيمان بالجنة ونعيمها والنار وجحيمها



هذا هو نهاية المطاف الطويل ومستقر الخلاق أجمعين إما جنة عرضها السموات والأرض أعدت لعباد الله المتقين، أو نار هي عيادةً بالله الجحيم. مستقر أعداء الله من الكافرين والمرجفين وال مجرمين. ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الظَّالِمِينَ هُنَّ مِنْ فِيهَا دَارُ الْخُلُدُّ جَزَاءً إِمَّا كَانُوا بِإِيمَانٍ مُّحَمَّدُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

والإيمان بالجنة والنار من العقائد المستقرة الضرورية.

فنهى من بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان؛ فإن الله تعالى خلق الجنة والنار، وخلق لكل منها سكاناً وأهلاً وأصحاباً.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَحَبَّتُ الْأَنَارِ وَأَحَبَّتُ الْجَنَّةَ هُمُ الْفَاسِدُونَ﴾ [الحاشر: ٢٠].

فمن شاء الله تعالى جعله في الجنة فضلاً منه وإحساناً، ومن شاء جعله في النار جزاءً وفاقاً.

ولا يزال الله تعالى يزيد في الجنة من النور والجمال، والحسن والبهاء، والنعيم والتكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا نَشَاءْهُ أَنْفُسُ وَتَلَذُّلُ الْأَعْيُنُ وَأَنْسُرُ فِيهَا حَنَدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»<sup>(١)</sup>.

ولا يزال تعالى يزيد في النار من الظلمة والعذاب، والجحيم والأغلال، فإنها عذاب الله تعالى، والله شديد العقاب وأليم العذاب.

وفي القرآن العظيم والأحاديث النبوية الشريفة من الحديث المفصل عن الجنة ونعمتها ما يسر القلوب ويشرح الصدور ويحرك المؤمن للعمل الصالح، وسؤال الله والتقرب إليه والزهادة في متع الحياة الدنيا.

وفي القرآن العظيم والسنّة النبوية الشريفة من الحديث المفصل عن النار وجحيمها وعذابها ما يفزع القلوب ويرعب النفوس لتهرب منها وتلتجأ إلى الله تعالى للنجاة منها. كما قال الله تعالى في دعاء المؤمنين: «الَّذِينَ يَوْمَنَ رَبَّكَ إِنَّا  
هَامَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup> [آل عمران: ١٦].

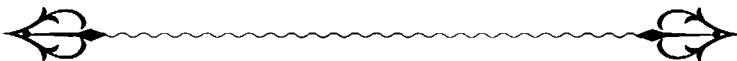
وفي دعاء الملائكة: «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَتَبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابُ أَنْجَحِيمٍ»<sup>(٣)</sup> [غافر: ٧].

وفي دعاء المؤمنين: «سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup> رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ»<sup>(٥)</sup> [آل عمران: ١٩١-١٩٢].

## سـهـقـجـهـ

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

## الإيمان برؤيه الله تعالى في الآخرة



هذا أمر عظيم، وجزاء كريم، ومنحة عظيمة جليلة، يصغر عندها كل نعيم الجنة العظيم وهو رؤية رب العالمين، والنظر إلى وجهه الكريم.

فيالها من لحظة تتحقق لها القلوب المؤمنة شوقاً دونه كل شوق، فيؤمن من أهل السنة والجماعة بأن المؤمنين أهل الجنة يرون ربهم عياناً في الجنة فما أعطوا من النعيم أحب عليهم من النظر إليه تعالى.

قال الله تعالى في بيان أن المؤمنين يرون ربهم تعالى: ﴿وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ تَأْسِرُ إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيمة: ٢٢-٢٣].

وهذه الآية من أوضح وأظهر الأدلة، فوصف وجوه المؤمنين بالنصرة من آثار ما هم عليه من النعيم وأخبر أنهم ينظرون إلى ربهم عياناً بأبصارهم.

قال شارح الطحاوية: «إضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرَهُقُ وُجُوهُهُمْ فَتَرَ وَلَا ذَلَّةُ أُولَئِكَ أَحْبَبُ لِلْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

(١) شرح الطحاوية (١٤٧).

فالحسنی هي الجنة. والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى هكذا فسرها رسول الله ﷺ، فلا كلام بعد كلامه، ولا تفسير بعد تفسيره، ولا رأي لأحد بعد قوله عليه السلام.

عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة، نادى مُنادٍ قال: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْسِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ لابن ماجه: «إذا دخل أهل الجنة، وأهل النار النار، نادى مُنادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يُريد أن يُنجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقل الله موازيننا، ويُبيض وجوهنا، ويُدخلنا الجنة، ويُنجننا من النار؟ قال: فَيَكْسِفُ الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ - يَعْنِي إِلَيْهِ - وَلَا أَقْرَأُ لِأَعْنِيهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى عن الكفار وأنهم محرومون من النظر إلى ربهم، مطرودون من بابه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمٌ لَّمَّا تَحْجُجُوْنَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليلاً على أن أولياءه يرونوه في الرضى»<sup>(٣)</sup>.

وهذا فهم سليم واستدلال كريم من هذا الإمام العظيم بهذه الآية العظيمة الكريمة على أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عياناً في الدار الآخرة.

(١) رواه مسلم (١٨١).

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٧) واللفظ له، والترمذى (٢٥٥٢).

(٣) شرح الطحاوية (١٥٦)، و المعارج القبول (١ / ٣٤٠).

وقد جاءت أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ في إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، منها:

حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُعْلِمُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عُرُوبِهَا فَافْعَلُوا<sup>(١)</sup>.

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُوَّهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد توالت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك جمعها بطرقها الإمام أبو الحسن الدارقطني رحمه الله في كتاب (الرؤيا)<sup>(٣)</sup> فتجاوزت الثلاثين حديثاً وأكثر.

قال شارح الطحاوية رحمه الله: «وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثة صحابياً. ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها... ومن أراد الوقوف عليها فليوازن سماع الأحاديث النبوية،... وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله؟ وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسوله ﷺ»

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور علي ناصر فقيهي.

وأصحاب رسوله، الذين نزل القرآن بلغتهم؟»<sup>(١)</sup>.

اللهم إنا نسأله لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة،  
ولا فتنه مضلة، اللهم زينا بالإيمان واجعلنا هداة مهتدين. آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه



(١) شرح الطحاوية (١٥٣-١٥٤) باختصار.

الخاتمة

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد.  
في خاتمة هذا الكتاب أكيد على هذه الحقائق:

(١) إن معرفة أصول الدين التي بعث الله بها رسوله وأنزل كتابه هو أشرف المعارف والعلوم، واعتقادها أطيب العقائد وأخصها وأصحها. وبه الفلاح والفوز والهدى والرشد.

(٢) إن أصول الدين وحقائق الاعتقاد أمور غيبية، لذلك لا تُتلقى ولا تستقي إلا من الخبر الصادق الحق المتمثل حصرًا في كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وفي هدي وسنة المصطفى ﷺ، لا دخل للعقل البشري والأراء والاجتهادات فضلاً عن الأذواق والاستحسان فيها بشيء.

(٤) قال تعالى: ﴿فُلُوْا مَمْتَكِيْلَ اللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَعِيلُ وَاسْحَقُ وَيَقُوْبُ وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوْقِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْقِيَ آتَيْتُمُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾١٣٦ فَإِنْ ءامَنُوا بِعِيْلَ مَا ءامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا إِلَيْنَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيْكُمْ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيْمُ ﴾١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧]

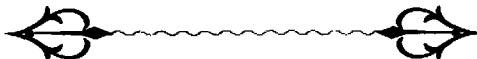
د/ عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي

# كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة

## جامعة أم القرى



## فهرس المصادر



- أبكار الأفكار. لسيف الدين الأمدي. تحقيق د. أحمد المهدى، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر (راجعه ووحد منهج التعليق والإخراج)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١٩.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطبع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرييم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).
- أشراط الساعة للدكتور يوسف الوابل. الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- اعتقاد أصحاب الحديث للإمام أبي عثمان الصابوني. مطبعة أضواء السلف ١٤٢٥هـ.

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان العكيري المعروف بابن بطة العكيري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، الناشر: دار الرأي للنشر - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٣.
- الأدب المفرد بالتعليقات، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيداً من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.
- الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشنرجي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.
- الاشارات والتنبيهات، المؤلف: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ١.
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ٨.

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ - ١٩٨٨، عدد المجلدات: ١.
- التدميرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، المؤلف: تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٢٤١.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ، عدد الأجزاء: ١.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.
- الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معاذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٥٣٥هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بجیدر آباد الدکن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩.
- الجامع المستند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقovan السنة (المتوفى: ٥٣٥ هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلية، الناشر: دار الرأي - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.
- الدر المثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩٦١ هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.
- الذخيرة في المحاكمة بين الغزالى والحكماء، لعلاء الدين الطوسي، الدار المصرية ٢٠٠٥ م.
- الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١.
- الرد على المنطقين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: -، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: -، عدد الأجزاء: ١.
- الرسالة، المؤلف: الشافعى أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلاوى القرشى المكى (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م.
- السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلآل البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١ هـ)، المحقق: د. عطية الزهرانى، الناشر: دار الرأي -

- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ٧.
- الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأَجْرُوُيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميسي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.
- الصلاة وأحكام تاركها، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، الطبعة: ، عدد الأجزاء: ١.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، المؤلف: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: ٥٧٨ هـ)، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ١.
- العبودية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (هذه الرسالة مطبوعة أيضاً ضمن "مجموع الفتاوى" ١٤٩/١٠، وفي "الفتاوى الكبرى" ١٥٥/٥).
- العرش، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
- العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمة الله، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ عدد الأجزاء: ١.

- الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى. طبعة الرياض. دار الإفتاء.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٦٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، عدد الأجزاء: ٥ × ٣.
- القواعد المثلثة في صفات الله وأسمائه الحسنى، المؤلف: محمد بن صالح ابن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).
- القول السديد على مقاصد التوحيد. لعبد الرحمن بن سعدي. ط الثانية ١٤١٠هـ.
- القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، لمصطفى صبرى. دار العلم للملائين، ط ٢٠٠٥م.
- القيامة الصغرى، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١.
- الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقى ، إبراهيم حمدى المدنى، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، عدد الأجزاء: ١.
- الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، المؤلف: أبوبن موسى الحسيني القرىمي الكفوى، أبوبقاء الحنفى (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: ، عدد الأجزاء: ١.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهوماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.
- المستند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمدالمعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهري (المتوفى: ٤٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.
- الموت والعقربة لعبد الرحمن بدوي. مكتبة المتولى. القاهرة ٢٠٠٧م.
- النباتات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطوبان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.
- الواسطة بين الحق والخلق ضمن مجموع الفتاوى. طبعة الرياض. دار الإفتاء.
- تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبرى، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأعملى، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبرى لعربي بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء: ١١.
- تجريد التوحيد المفيد، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس

- الحسيني العبيدي، تقى الدين المقرizi (المتوفى: ١٤٠٩ هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ١.
- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.
- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قائم الزهي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)
- تفسير الشهري المسمى: مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار. طهران. ٢٠١٠ م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلمونى الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤ هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءاً.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٩٨.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧ هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللوبيحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأهمي، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: ١٤١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

- جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدية، المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: ١٣١٧ هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني - رحمه الله -، الناشر: مطبعة المدني، عام النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس. مكتبة الصحابة. القاهرة. ٢٠٠٠ م.
- دموعة على التوحيد، من إصدارات المنتدى الإسلامي.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقرودي الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (المكتبة المعاشر)، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: ج ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ). ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. ط الأولى. عدد الأجزاء: ٢.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، المحقق: محمد محبي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- سير أعلام البلااء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

بن قائم الزبيدي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

• سيرة حياتي. عبد الرحمن بدوي. المؤسسة العربية للنشر ٢٠٠٠م.

• شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبراني الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٩ أجزاء (٤ مجلدات).

• شرح السنة، المؤلف: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ)، عدد الأجزاء: ١.

• شرح السنة، المؤلف: محبي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.

• شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

• عالم الملائكة الأبرار، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

• عبد الرحمن بدوي ومنظمه الفلسفية للدكتور عبد القادر بن محمد الغامدي. مكتبة الرشد. ط ٢٠٠٨م.

• عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: صالح بن عبد الله العبود، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٢.

• فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل

العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعلیقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

- فضل علم السلف على الخلف، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ). أضواء السلف. م ٢٠١٠.

- كتاب الاستغاثة في الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: عبد الله السهيلي. دار الوطن. ط الأولى ١٤١٧ هـ.

- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: -، عدد الأجزاء: ١.

- كتاب التوحيد من الم المحلي، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠ م - بيروت.

- كتاب قصة الإيمان: نديم الجسر. دار الكتب العلمية ١٩٩٨ م - بيروت.

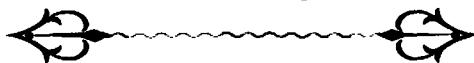
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، الكتاب مشكول ومقابل مع إضافة: ١ - العناوين التي وضعها محققا طبعة دار الوفاء (أنور الباز وعامر الجزار) ط ٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- محصل أفكار المتقدين والمتاخرين، لفخر الدين الرازي. المكتبة العصرية. القاهرة. ١٩٩٩ م.

- مختصر العلو للعلى العظيم للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد

- ابن أحمد بن عثمان بن قائمaz الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، حرقه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١.
- مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المتنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلبي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، آخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكى المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حققت الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حققت الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبرى عبد الخالق الشافعى (حققت الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندى (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغنى للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٤.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محبي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن القراء البغوي الشافعى (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ٥.

## فهرس الموضوعات



الصفحة

الموضوع

المقدمة الأولى: أسماء هذا العلم الشريف.....	٧
المقدمة الثانية: الأصول المنهجية العامة لأهل السنة والجماعة.....	١٠
المقدمة الثالثة: سمات ومميزات أهل السنة والجماعة.....	٢٦
الفصل الأول: الإيمان بالله تعالى وثمراته.....	٣٧
توحيد الربوبية وأدلة وجود الله تعالى.....	٣٧
توحيد الألوهية.....	١٠٥
أسماء الله الحسنى.....	١٤٦
صفات الله تعالى.....	١٤٩
أفعال الله تعالى.....	١٥٦
الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة عليهم السلام.....	١٦١
الفصل الثالث: الإيمان بالأئباء عليهم السلام والكتب المنزلة.....	١٧١
الفصل الرابع: الإيمان بقضاء الله وقدره.....	٢١١
الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر (يوم القيمة).....	٢٣٧
القيمة وأسماؤها.....	٢٤٠
البعث بعد الموت وأداته.....	٢٤٢
شروط الساعة.....	٢٤٩
القيمة وأهوالها.....	٢٥٢
البعث والنشور وأحوال الناس في القبور.....	٢٥٦
الإيمان بالشفاعة.....	٢٦٣

## الصفحة

## الموضوع

٢٦٣.....	الشفاعة العظمى
٢٦٦.....	الإيمان بالحساب والميزان
٢٦٩.....	الإيمان بالحوض المورود
٢٧١.....	الإيمان بالصراط
٢٧٣.....	الإيمان بالجنة ونعمتها والنار وجحيمها
٢٧٥.....	الإيمان برؤية الله تعالى في الآخرة
٢٧٩.....	الخاتمة
٢٨١.....	فهرس المصادر
٢٩٣ .....	فهرس الموضوعات

